

٤٨

سأعدت وزارة المعارف على نشره

الموصل في العهد الأتابكي

تأليف

سعيد الديوبهجي

مدير متحف الموصل

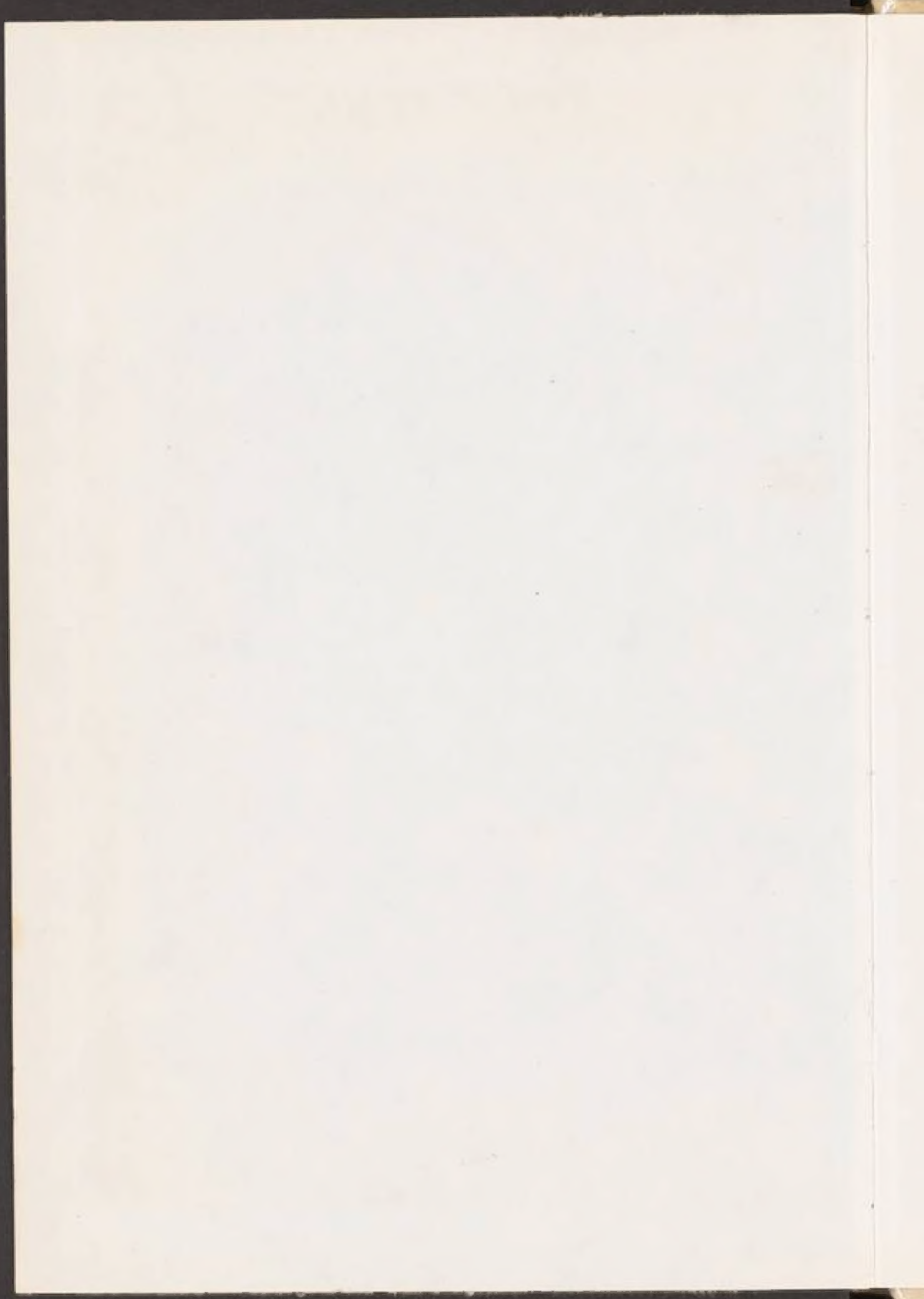
١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م



3 1142 01682 3166

DATE DUE

DATE DUE



BOBST LIBRARY



36

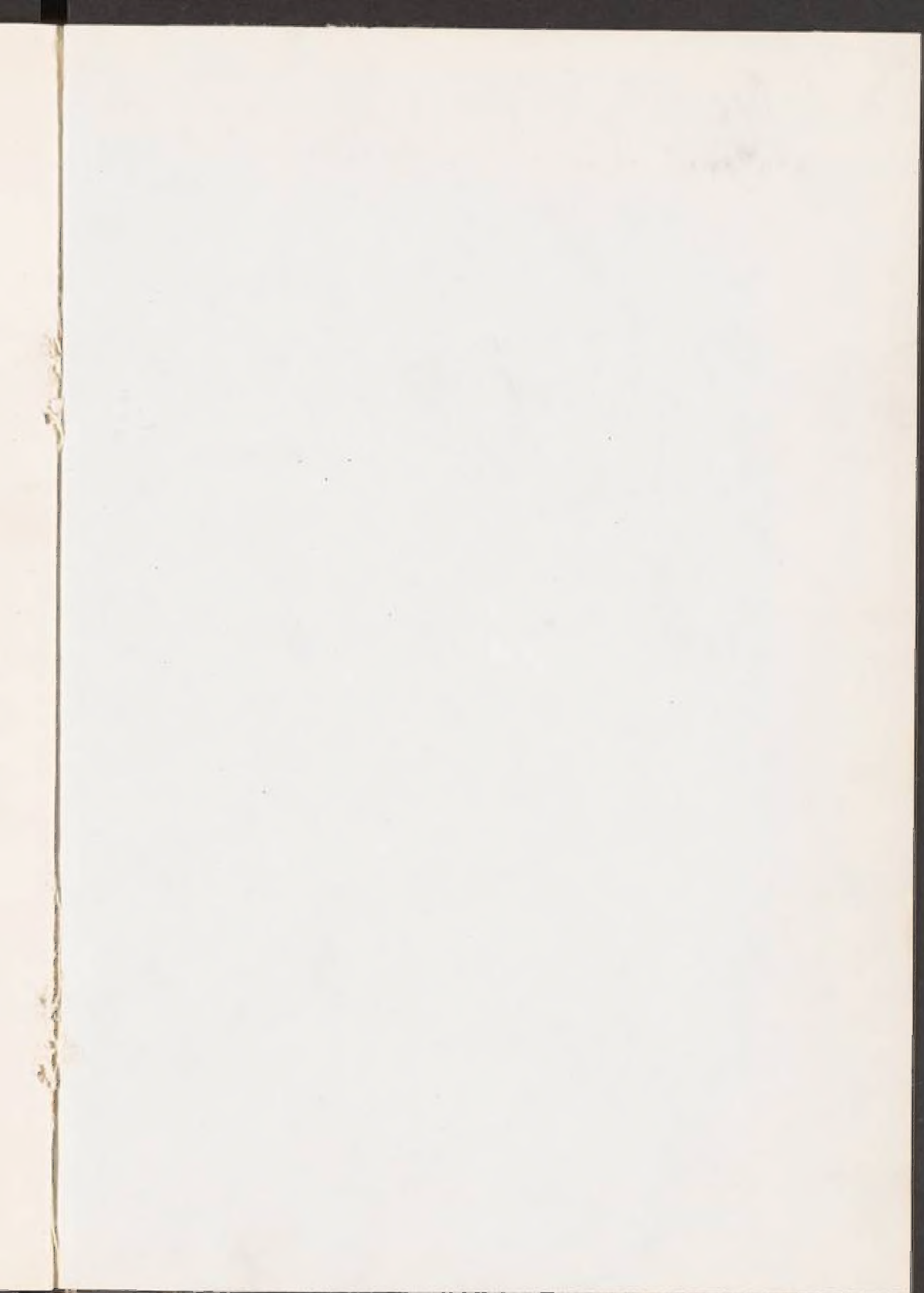


**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

LIBRARY





Daywachi, Sa'id

T

al-Mawsil fi al-'ahd al-Azābaki

ساعت وزارة المعارف على نشره

الموصل في العهد الأتابكي

front

تأليف

سعيد الديوبهجي

مدير متحف الموصل

١٣٧٨ هـ = ١٩٥٨ م

~~Rev. 2-2-51~~

~~DS~~

~~51~~

~~M7~~

~~D3~~

~~C.1~~

DS

79

.9

.M6

D39

1958

C.1

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

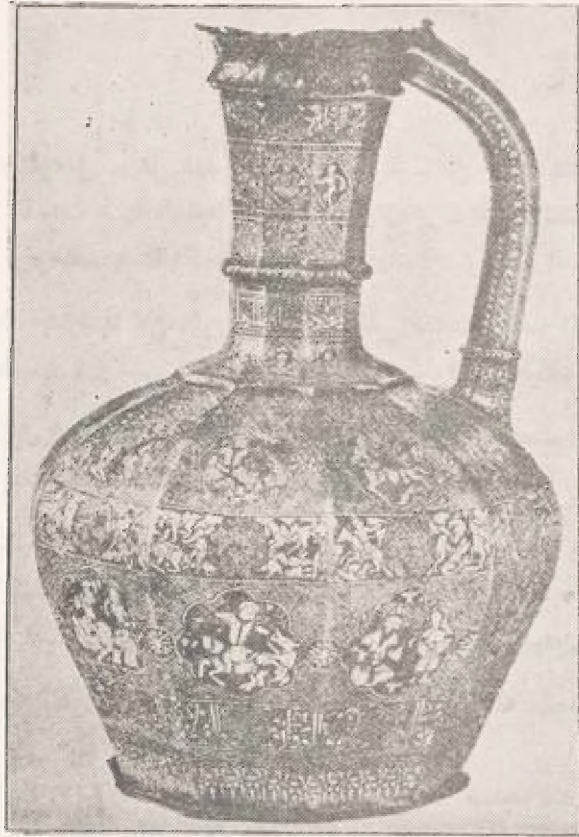
المقدمة

كانت الموصل - على عهد الدولة الاتاكية - من امهات المدن في العالم الاسلامي ، تقدمت فيها العلوم والمعارف ، وازدهرت فيها الصناعة والتجارة والزراعة ، وتوسعت فيها العمارة ، حتى صارت احدى بلاد الدنيا العظام . وكانت جيوشها من اقوى الجيوش التي صمدت زحف الصليبيين عن الهلال الخصيب ، وكسرت شوكتهم بعد ان توغلوا في البلاد . ولم تزل في الموصل آثار شاخصة . وفي متاحف العالم تحف فريدة ، تشهد بما بلغته الصناعة من الدقة والابداع في ذلك العهد . ورأينا من المفيد ان نؤلف كتابا مجملا ، نصف به ما كانت عليه المدينة من التقدم والازدهار ، ونعرف بآثارها وخطتها القديمة ، ونؤمل ان يجد فيه القارئ وصفا حقيقيا لما كانت عليه « ام الربيعين » ونحمد الله الذي وفقنا لهذا ، ونسأله العون ، انه سميع الدعاء .

سعيد الديوهجي

الموصل : ١١/رمضان/١٣٧٧

٣١/آذار/١٩٥٨



شكل (١) إبريق من النحاس المطعم صنعه شجاع بن منعة الموصل سنة ٦٢٩



شكل (٢) بعض الصور التي تزين ظاهر الإبريق

الموصل
قبل العهد الآتابكي

١ - الموصل قبل الاسلام

اتخذ الآشوريون مدينة نينوى عاصمة لهم سنة ١٠٨٠ ق م وحصنوها فأقاموا حولها القلاع ، ومنها القلعة التي كانت في الجهة الغربية من دجلة تقابل مدينة نينوى *

تقع هذه القلعة فوق « تل قلعات » الذي يشرف على السهل الغربية المقابلة لمدينة نينوى ، كما يشرف على السهل التي بين نينوى والموصل . كانت هذه القلعة - الحصن - النواة لمدينة الموصل ، فان مناعة الموقع ، وخصب السهل المجاورة لها ، وقربها من دجلة ، ووجود حامية في الحصن ، ووقوعها على طرق رئيسية تصل بين طرفي الهلال الخصيب - كل هذا شوق الناس على أن يبنوا حول الحصن المذكور ، وأخذت البيوت تزداد على مر السنين *

وفي سنة ٦١٢ ق م سقطت مدينة نينوى فدمرها الأعداء وقتلوا أهلها ، ولم ينج من سكانها الا القليل ، ولا شك أن التخريب والقتل أصاب الحصن الغربي ومن حوله *

وبعد ان هدأت الأحوال واستتب الأمن في البلاد ، تراجع بعض السكان الذين سلموا من سيوف الأعداء الى نينوى ، واستولوا لهم حصنا على « تل توبة » في نينوى ، كما أن قسما منهم رجعوا الى الحصن الغربي فرمسوه وسكنوا فيه (١) *

وصار قرب دجلة حصنان - أحدهما « الحصن الشرقي » وهو الذي فوق « تل توبة » يقابله في الجهة الغربية من دجلة « الحصن الغربي » الذي فوق « تل قلعات » *

وفي القرن الرابع قبل الميلاد - ازدادت العمارة حول الحصن الغربي وصار قرية لها شأن يذكر ، وجاء ذكرها في رحلة العشرة آلاف بقيادة زنفون باسم مسبلا . « فذكرت في الرحلة كنه ولرسة بالتعاقب مما يرجح ان تكون العاصمتين الآشوريتين القديمتين آشور ونمرود » ثم خاضوا

(١) مجلة « المجلة » (١ : ٢٧ ، ٢٨)

الزباب الأكبر ، أما الموصل فيدعوها زفون باسم مسبلا *Mispila* ومسا
يوسف له أن زفون كان يسر في الجانب الشرقي من النهر ، فلهذه مدينة
الموصل ، فيكون مما لا ريب فيه قد سار على أنقاض نينوى دون أن يدري
بذلك . (١)

وعلى هذا فقد سار ، مسبلا ، شأن يذكر بعد سقوط نينوى لموقعها
المهم الذي يصل بين عدة أقطار ، وهذا الموقع نفسه سبب لمدينة ويلات
ومصائب عديدة ، فقد كانت ساحة للحروب التي استمرت نيرانها بين
الشتارين على الحكم ، فكانت الجيوش تكتسحه فدمرها به .

وكان السكنة الآراميون يسمون الموصل « حصن عبورابا » أي
« الحصن الغربي » تسميا له عن الحصن الشرقي - نينوى - (٢) .

وفي القرن الثاني للميلاد توسعت المدينة فكان حول الحصن بيوت
وجنينة ، ثم أخذ الفرس يهتمون بأمرها ويعززون حامية الحصن بالجيوش
والعدد .

ومن اهتم بأمرها هو قبادة الأول ٤٨٨ - ٥٣١ م فانه بنى عدة قرى
بالموصل والعراق ، ونقل العرب والفرس اليها وأمرهم بالصيانة . (٣)

وفي عهد كسرى الأول انوششروان ٥٢١ - ٥٧٩ م كانت الحرب
سجالا بين الروم والفرس ، فأغار الروم وأخربوا الموصل وباعربايا أكثر
من خسين فرسخا ونكبت المدينة من هذا . (٤)

وفي عهد كسرى أبريز بن هرمز ٥٧٩ - ٥٩٠ م اهتم بتعزيز موقع
الموصل ، فبنى عدة دور فيها وحصنها ، وأتى بخلق من فارس واسكنهم
فيها فتوسعت المدينة وكانت من معاول الفرس القوية التي تصد زحف الروم

(١) ايرافدان (ص : ١٢١) النظر « الموصل » في دائرة المعارف
البيطانية

(٢) الديور (ص : ٥٠)

(٣) (٤) التاريخ السعدي (ص : ١٢٥ ، ١٠٥)

عنها (١) .

ولما ملك كسرى الثانى بن هرمز الرابع ٥٩٠ - ٦٢٨ م امر ببناء دور كثيرة حول الحصن ، وسكن الناس فيها ، وكان العرب يغيرون على هذه المدينة ويسبون سكانها . (٢)

وقبيل الاسلام صارت تعرف بـ « نيو اردشير » ولأشك انها لاقت احتسابا من اردشير (٣) وسميت باسمه « نيو اردشير » أى اردشير الجديدة . وأما الكتبة الأراميون فكانوا يسمونها « حصن عبورايا » أى الحصن الغربى . ويذكر البشارى أن العرب كانوا يسمونها « خولان » (٤) وعلى هذا فقد صار للموصل حصن له سور وأبواب .

وإن المؤرخين العرب صاروا يطلقون اسم الحصنين على نينوى والموصل - جاء عن فتح الموصل سنة ١٦ هـ (٦٣٧ م) ما يأتى - « دبر ربعى بن الأفكل خطة الفتح مع القبائل العربية بأن يسبقوا الجيش العربى ويذهبوا إلى أهل الحصنين ويظهروا لهم انهزام العرب ، ولفقهم عليهم فى تكريت ويلزموا أبوابها ، ولما اقتربوا من الحصنين أخبروا أهلها بأن الفوز كان لهم على العرب ، ففرح أهل الحصنين وفتحوا لهم الأبواب » . (٥)

وكانت الموصل وقت الفتح الاسلامى تشتمل على ثلاثة أحياء : حى المجوس وهم الفرس الذين سكنوا الموصل ، والذي نراه انهم سكنوا فى الجهة الجنوبية من الحصن .

وحى النصارى : كان قرب بعة « نار ايشيا » الحالية وكانت تسمى (دير ريان ايشوخ يادقسرى) نسبة إلى الراهب الذى أسس الدير حوالى

(١) . (٢) التواريخ السعوى (ص ٣٣ . ١٢٥) (١٩٩ . ٢٠١)

(١٠٧ . ١٠٩) الرافدان : ١٥٣

(٣) عرف ثلاثة ملوك باسم اردشير فلاندرى أيهم هو الذى اهتم

بها (الرافدان ١٥٨ . ١٥٩)

(٤) أحسن التقاسيم (ص : ١٤٦)

(٥) سومر (٧ : ٢٢٣ . ٢٢٤)

سنة ٥٧٠م وهي تقع في الجهة الشمالية من الحصن ، ولم تزل باقية الى اليوم .

أما اليهود فكانوا يسكنون « المحلة الاحمدية » . وهي المحلة التي كانوا يسكنونها قبل ان هاجروا الى فلسطين . ويدعى اليهود انهم سكنوا هذه المحلة بعد سبيهم من بيت المقدس وان الكنيسة التي تقع في جنوب غربي المحلة المذكورة هي أقدم كنيسة لهم ، أسسوها عندما سكنوا الموصل . ولم تزل باقية على حالها . (١)

أما العرب فقد سكنوا الموصل وبلاد الجزيرة منذ القرن الثالث للميلاد ، والقبائل التي انتشرت في هذه الديار هي بكر وتغلب وآباد والنمر . أما النمر فقد سكنت نينوى . جاء عن سهيب الرومي : انه من النمر بن قاسط الذين كانوا يسكنون نينوى ، وان الروم أسروه من نينوى عندما أغاروا على هذه الديار ، وبعد اسلامه قدم عليه أهله من نينوى الى المدينة المنورة .

كما أن العرب من أهل الجزيرة ساعدوا العرب الفاتحين في وقعتي تكريت والموصل . (٢)

٢ - فتح الموصل

فتحت الموصل سنة ١٦٦ هـ = ٦٣٧م والقبائل التي اشتركت في الفتح هي (تغلب وآباد والنمر) بقيادة ربهى بن الافكل العنزي . كانت متشرة بين تكريت والموصل ، ولما شك ان قسما من هذه القبائل سكنت الموصل بعد الفتح ، والقسم الكبير منها استقر في الزحيف على البلاد المجاورة وخاصة اذربيجان وارمنيا .

وفي سنة ١٧ هـ ٦٣٨م عين الفاروق عتبة بن فرقد السلمي واليا على الموصل وهو الذي بني المسجد الجامع ، والى جانبه دار الامارة ، وكان

(١) . (٢) سومر (٧ : ٢٢٣ - ٢٢٤) المجلة (١ : ٦٦٦) طبقات

ابن سعد (٣ : ١٦٢)

بها أحد الأجناد الستة التي جندتها الفاروق وجعلها تابعة للكوفة . (١)
وفي خلافة عثمان بن عفان كثرت هجرة القبائل العربية اليها خاصة
بعد ان توطدت الامور واستقرت الفتوحات ، واخذ العرب يقتلون البلاد
المفتوحة وينخدونها مقاماً لهم .

واول من نزلها من القبائل هي - الازد وطى وكندة وعبد قيس .
نزل منها أربعة آلاف ، وامر عليهم الخليفة عثمان بن عفان « عرفة بن
هرسة البارقى » وسعى البارقى في توسيع الموصل وتعميرها فأخط منازل
العرب فيها ، ووسع الجامع الذي كان قد بناه عتبة بن ربيعة السلمي (٢) .
ويذكر ابن الاثير ان الهجرة الى الموصل زادت في خلافة علي بن أبي طالب
فهاجرت القبائل العربية من الكوفة والبصرة ، وهكذا توسعت الموصل
واتخذها العرب دار اقامة لهم .

٣ - الموصل في العهد الاموي

انفضى دور الراشدين ، والموصل في توسع حتى صارت من امهات
امصار الجزيرة وبلغ خراجها في خلافة معاوية بن أبي سفيان أربعة ملايين
درهم . (٣)

واهتم الامويون بالموصل كثيراً نظراً لأهميتها الحربية والتجارية فكانوا
يولون عليها أقدر الولاء واحزمهم ، وكثيراً ما كانوا يولون عليها من ثبت
عندهم حبه للاصلاح والعمران .

ومن الولاء الذين خدموا الموصل « سعيد بن عبد الملك » فكان محباً
للخير والاصلاح ، مثلاً زاهداً حسن السيرة سمي « سعيد الخير » بذل
جهداً شكرياً عليه في تعمير الموصل ، فأحاطها بسور ورصف طرقها
بالحجارة ، وبنى بها مسجداً عرف « بمسجد عيسى » نسبة الى مؤذنه ، كما

(١) اسد الغابة (٣ : ٢٦٦)

(٢) الكامل (٢ : ٢٥٧ - ٢٥٨) (الاصابة (٣ : ٤٠١)

(٣) تاريخ اليعقوبي (٢ : ٢٠٨)

بني فيها سوق سعيد (١) .

ومن آثار سعيد أنه جدد عمارة « دير سعيد » في جنوب الموصل ،
بناءً لطبيبة الذي عالجه من مرض أصابه (٢) . وهذا الدير لا يزال باقياً
إلى اليوم يسمى « دير مار ايليا » ويسميه عامة أهل الموصل «الدير الخربان»
لأنه مهجور قد تدعى بنيانه .

ثم ولي عبد الملك أخاه « محمد بن مروان » الموصل ، وكان هذا من
حسب الإصلاح والعمارة أيضاً فجدد سور الموصل ، وربما أكمل السور الذي بناه
ابن أخيه سعيد ، أو أنه وسعه في الأماكن التي توسعت إليها المدينة (٣) .
وسكن الموصل من الخلفاء الأمويين هشام بن عبد الملك ، وذلك قبل
أن يلى الخلافة ، فبني له قصراً في ربضها الأسفل ، وزرع النخيل
والأشجار حوله ، وبقي القصر إلى سقوط الدولة العباسية ، فأقطعه أبو جعفر
المنصور السجاح بن والي الأزدي الذي ساعدهم على الأمويين (٤) .

ومن الولاة الذين خدموا الموصل هو الحر بن يوسف الأموي الذي
تولاه (١٠٦ - ١١٣ هـ) - (٧٢٤ - ٧٣١ م) . فانه وجد نهر دجلة
بعيدا عن المدينة ، وأن السكان يلاقون عناء ومشقة في نقل الماء فشق نهرا من
قرب دير مار ميخائيل ، وسيره محاذيا للتلوك التي تطول على حاوي
الكنيسة ، وأجراد تحت المدينة في مجرى دجلة الحالي ، بدأ بهذا العمل سنة
١٠٨ هـ = ٧٢٦ م واستمر به العمل إلى سنة ١١٥ هـ = ٧٣٣ م فتم فتحه الوليد
ابن تليد العبي وأراح الناس . وعرف بنهر الحر . ورسفوا شوارعها محاذيا
لبحراده ، وغرسوا على جانبيه الأشجار ، فكان أهل المدينة يتزهون به في
الأمسي (٥) وبني الحر قصره المعروف بالنقوشة . وكان من القصور المشهورة ،
بناه سنة ١٠٦ هـ ٧٢٤ م ، ويذكر المؤرخون أنه كان مقوشا بالساج والرخام
الأبيض المعقول والفصوص الملونة والفسافس . وكان من أجمل القصور

(١) - (٥) فتوح البلدان ٢٢٧ ، ٢٢٨ تاريخ الأزدي حوادث
سنة ١٠٦ هـ المعارف (ص : ١٥٧) تاريخ دمشق (٦ : ١٥٣ ، ١٥٤)
سومر (٧ : ٢٢٤ - ٢٢٦) . الكامل (٦ : ٥٠ - ٥٥)

في زمانه ، وبقي القصر الى القرن السابع الهجري .
وتولاها مروان بن محمد مرتين (احدهما ١٠٢ - ١٠٤ هـ ٧٢٠ -

٧٢٢ م والثانية ١٢٦ - ١٢٧ هـ ٧٤٣ - ٧٤٤ م) .
ويذكر المؤرخون عنه انه اول من عظم المدينة « أى الموصل » وألحقها
بالمعسكر العظيم ، وجعل لها ديوانا برأسه ، ونصب عليها جسرا ، ونصب
طرقاتها وبني عليها سورا (١) . وهدم المسجد الجامع ووسعه وبني له
منارة ، وأحاطه بأسواق ، فكانت أسواق الموصل الرئيسية حوله . وعلى هذا
فقد صارت الموصل قاعدة بلاد الجزيرة بعد أن كانت مدينة تابعة للكوفة (٢)
وهاجر اليها كثير من القبائل العربية واتخذتها دار إقامة لها ، فتوسعت
المدينة وتضاعفت مساحتها عما كانت عليه .

وأهم القبائل التي سكنتها في هذا العصر هي : تغلب والازد وشيخان
وسلول والخزرج والامويون وغيرهم (٣) .

٤ - الموصل في العصر العباسي

وفي العصر العباسي الاول نكبت الموصل على اثر ثورة اهلها على محمد
بن صول سنة ١٣٣ هـ ٧٥٠ م وقتل بها العباسيون فتكا ذريعا ، حتى ان
أسواقها بقيت معطلة عدة سنين ، وكان هذا على يد يحيى بن محمد أخى
المنصور (٤) .

وفي سنة ١٣٣ هـ ولي المنصور عليها عبد الله بن علي بن عبد الله
بن العباس ، ولما دخل البلد وجدها بحالة يرثى لها . فجمع الناس وخطبهم
ووعدهم بحسن السيرة فيهم بأن يرد عليهم المظالم ، ويعطيهم ديوات من
قتلهم يحيى ، وكتب الى المنصور يعلمه بسوء حال البلد وخرابه . فكتب
الى المنصور أن أرفق بالناس وتألفهم (٥) . فأخذت المدينة تستعيد مركزها
الاقتصادى حتى بلغت جبايتها في خلافة هارون الرشيد (٢٤٠.٠٠٠.٠٠٠)
درهم و (٢٠٠.٠٠٠) رطلا عسلا (٦) . مع العلم بأن المهدي كان قد خزل

(١) - (٣) تاريخ الازدى حوادث السنوات ١٣٦ - ١٠٧ - ١١٢ .
١٣٥ سور (٧ - ٢٢٥ - ٢٣٠) معجم البلدان (٨ : ١٩٦)
(٤) - (٦) تاريخ الازدى حوادث سنة ١٢٢ ، الجهشيارى (ص :
٢٢٢)

منها كورة دراباذ وكورة الصامغان (١) .

ومع ان المنصم خزل منها أيضا كورة تكريت وكورة الطبرهان (٢)
فانه بلغ ما كان يجبي منها ومن أعمالها في خلافته (٦٠٣٠٠٠٠٠ دينار) (٣)
كان هذا في الربع الاول من القرن الثالث الهجري .

وفي أواخر القرن الثالث للهجرة ملكها بنو حمدان (٢٩٣ -
٣٦٧ هـ) فاهتموا بالزراعة كثيرا ، قال ابن حوقل : ولم يكن بها كثير شجر
ولا بساين الا التافه القليل البير ، فلما ملك بنو حمدان ورجالهم غرسوا
فيها الاشجار ، وكثرت الكروم وغرست الفواكه ، وغرست النخيل
والخضر ، وكانوا يعنون بزراعة القطن والارز والحبوب . وبلغ خراج
الحنطة والشعير فيها خمسة ملايين درهم .

وبعد ان ذكر ابن حوقل ما جبي من رساتيقها قال (فالحاصل على
التقريب من جميع أعمالها وجباياتها عن قيمة عين جبي من الورق ستة
عشر الف الف درهم ومائتان وتسعون الف) (٤) . ولذا كثرت نفوسها وزادت
نروتها وعمرت رساتيقها .

ووصفها المقدسي البساري فقال : * بلد جليل حسن البناء طيب الهواء ،
صحيح الماء ، كبير الاسم ، قديم الرسم ، حسن الاسواق والفنادق ، كثير
الملوك والمشايخ ، لا يخلو من استاذ عال وفقه مذكور ، منها ميرة بغداد ،
واليه قوافل الرحاب ، وله منازل وخصائص وثمار حسنة ، وحمامات سرية ،
ودور بهية ، ولحوم جيدة ، وامور جامعة ، غير أن البساتين بعيدة ، وريح
الجنوب مؤذية ، وماء النهر بعيد عن المشتى (٥) .

أما تجارتها فتوسعت لانها كانت تقع على الطريق الذي يصل
الشرق بالغرب ، فهي فرضة لأذربيجان وأرمينية والعراق والشام ،

(١) - (٣) معجم ما استعجم (ص : ٥٥٦) تاريخ التمدن الاسلامي
(٢ : ٦٠)

(٤) صورة الارض (ص : ٢١٥ - ٢١٩) ، (٥) أحسن التقاسيم
(ص : ١٣٨ - ١٣٩)

ولها احياء ونبود كثيرة تصيف في مصايفها ، وتستو في مشائها ، كل هذا جعل الموصل من المراكز التجارية الكبيرة في العالم . وصارت تصدر الى بغداد الدقيق والسكر والعسل والسمن والجبن ولعل الخيل^(١) والتمجج والسمجوم والمن والسماق وحب الرمان والقيز والحديد والاسططال والسكاكين والشباب والطريخ^(٢) الخالق والاسل والنمكسود والدراج والسماي^(٣) حتى صارت تمر ببغداد أربعة أشهر من كل سنة^(٤) . وكانت مشهورة بحياكة الستور والمنسوج .^(٥)

اما عمرانها فقد توسعت المدينة عما كانت عليه ، لانهم اتخذوها مركزا لسلطانهم ، فكان بها مسكن سلطان الجزيرة ودواوينها ومجئى أموالها ، ولها أقاليم ورسانيق ، ومدن كثيرة مضافة اليها ، وارتفاع جباياتها زادت على ما كانت عليه في سالف الزمان ، فتوسعت عمارتها ، وزاد عدد سكانها ، اذ قبل اليها الناس من البلاد لرخصتها ، قال ابن حوقل : ان للموصل اضعاف أعمال نصيبين في فسيحة الأعمال ، وكثرة الضياع وعظم المجال وغزير السكان واهل الاسواق ، اذ كانت اسواقها واسعة واحوالها في الشرف والتمجج ظاهرة ، وهي مدينة كبيرة غناء وأهلها عرب ولهم بها خطط ، واكثرهم بائنة الكوفة والبصرة ، وكانت من عظم الشأن بصورة أكابر البلدان ، وكان بها لكل جنس من الاسواق الاثنان والاربعة والثلاثة مما يكون في السوق المائة حانوت وزائد ، وبها من الفنادق والمحال والحمامات والرحاب والساحات والعمارات ما دعت اليها سكان البلاد النائية فقطنوها ، وجذبتهم اليها برخصتها وميرها وصلاح أسعارها فكنوها .^(٦)

(١) المنتظم (١٠ : ١٧)

(٢) الطريخ سمك يملح ويكبس ، والنمكسود : اللحم اذا جفف
نبش (كتاب الطبخ : ص : ٦٣)

(٣) - (٥) أحسن التقاسيم (ص : ١٤٥) (٤) النجوم الزاهرة (١ : ٤٥)

(٦) صورة الارض (ص : ٢١٥ ، ٢١٦)

هذه حالة الموصل خلال حكم الحمدانيين . وجمع الحمدانيون
ثروة طائلة حتى صاروا من أغنى ملوك العالم ^(١) .
وخلف العقبون الحمدانيين في حكم الموصل سنة ٣٦٨ - ٤٨٦ هـ
وكانت مدة حكمهم غير مرضية - تنازعوا فيها على الحكم وسبب هذا تأخر
المدينة عما كانت عليه .

ثم اتزع السلاجقة منهم البلاد ، وزادت الاضطرابات والحروب بين
امرائهم ^(٢) على الحكم ولاقت المدينة ويلات كثيرة ومصائب ، فتأخرت فيها
التجارة وقلت المزدوعات وهجر قسم كبير من سكان الموصل مدينتهم ،
وهكذا تقلصت عما كانت عليه ، حتى استولى الخراب على أكثر أحيائها .

روى ابن الأثير ما صارت اليه الموصل على عهد السلاجقة نقلا
عن والده قال : « حكى لي والدي قال : رأيت الموصل التي هي ام البلاد في
اول ايام الشهيد واكثرها خراب ، وكان الخراب من محلة الطبالين الى القلعة
والى دور السلطنة ، وكانت العرصة ترى من قريب مسجد التركمانى وهو
قريب من الطبالين ، وكان الجامع العتيق أيضا بلا عمارة البتة ، وكان
جميع المحال المجاورة للسور من سائر جهاته غير معمورة ، وكان أدنى

(١) الحضارة الاسلامية (١ : ٢١٣)

(٢) وأشهر الامراء الذين حكموا الموصل باسم السلاجقة هم :

كربوغا ٤٨٩ - ٤٩٥ هـ

عومى التركمانى ٤٩٥ هـ

جكرمش ٤٩٥ - ٥٠٠ هـ

جالوى ٥٠٠ - ٥٠٢ هـ

مودود بن الطغتكين ٥٠٢ - ٥٠٧ هـ

ابو سعيد آق سنقر البرسقى الغازى الملقب قسيم الدولة سيف

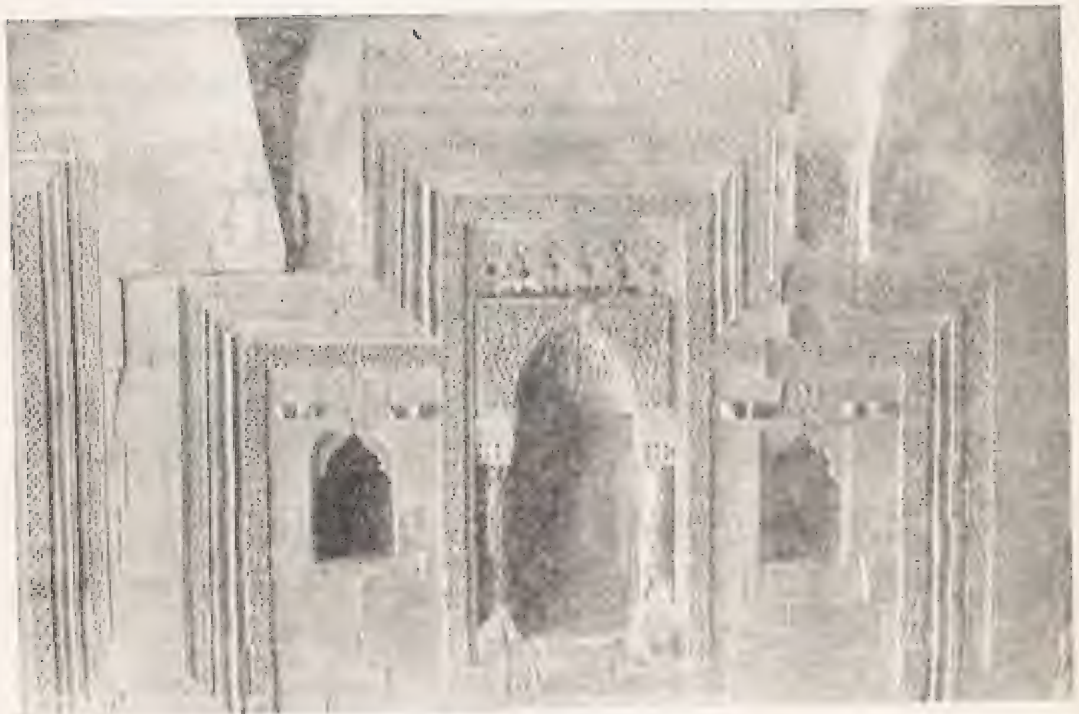
الدين ٥٠٨ - ٥٢٠ هـ ، قتله الباطنية بينما كان يخطب فى جامع

الموصل ، وتولى بعده ابنه مسعود .

مسعود بن آق سنقر ٥٢٠ - ٥٢٦ هـ

انظر : منية الادباء (ص : ٥٢ ، ٥٣)

العمارة من السور ما يكفي رعية حجر ، وكان الناس لا يقدرّون على
 المتّى الى الجامع غير يوم الجمعة لعمدة عن العمارة (١١) وعلى هذا نجد أن
 المدينة تقلصت عمارتها •
 هذه هي حالة الموصل عندما تسلمها عماد الدين زنكي •



واجهة كنيسة دير مار بهنام - دير الجب -

(١) الباهر (ص : ١٣٩)

الملوك الأتابكيون

وكان آل زنكي نعمة أكرم الله بها
على أهل تلك العصور

(ابن الأثير)

آق سنقر الحاجب

كان قسم الدولة آق سنقر الحاجب^(١) واه عماد الدين مملوكا للسلطان العادل ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، فربى مع ولاء السلطان العادل جلال الدولة ملكشاه ، وبقي في صحبته الى ان افضت اليه السلطنة ، فجعله من اعيان امرائه ، واخص اوليائه ، واعتمد عليه في مهماته ، وصار صاحبا للسلطان ، وزاد قدره عنده الى ان صار يقف مثل نظام الملك الوزير مع تحكمه على السلطان وتسكنه من المملكة .

قال ابن الأثير : ومن الدليل على علو مرتبته ، تلقيه قسم الدولة ، وكانت الاقارب حينئذ مصونة لا تطغى الا مستحقيها ، وكان يقف على يمين السلطان .

وفي سنة ٤٧٩ هـ - ١٠٨٦ م اشار نظام الملك على السلطان ملكشاه ان يولى قسم الدولة مدينة حلب واعمالها ، ولعله كان يريد ان يبعده لانه كان ينافسه عند السلطان ، فاحسن قسم الدولة ادارة هذه الولاية .

ثم ان السلطان استدعاه الى العراق فقدم عليه في تحمل عظيم ، ولم يكن في عسكر السلطان من يقاربه ، فاستحسن ذلك منه ، وعظم مجلته عنده ، ثم امره بالعودة الى حلب فعاد اليها واحسن ادارتها ، فبرخت الاسعار حتى ايلته ، واقامت الحدود الشرعية ، وعمرت الطرقات وامنت السبل ، وقتل المنسدون بكل فجع ، وكان كلما سمع يستمد او يقطع طريق امر به عليه على ابواب المدينة ، ثم تسلم مدينة حمص وقلاعها ، وتسلم حصن افامية^(٢) .

وفي سنة ٤٨٧ هـ - ١٠٩٥ م عاد السلطان تاج الدولة من اذربيجان ومعه جموع كثيرة ، وتقدم الى حلب ، فحشد الامير قسم الدولة والامير مجاهد الدين بوزان صاحب الرها ، واعدهما السلطان بركا رقا بالامير

(١) هو ابو سعيد آق سنقر بن عبدالله الملقب قسم الدولة المعروف بالحاجب

(٢) حصن الفاعية : قرب حمص (معجم البلدان : ١ : ٢٩٨)

كربوغا ، فالتقى الجمعان بنهر سجين قريبا من تل السلطان قرب حلب ، فاقبلوا قتالا شديدا ، وانكسر عسكر قسم الدولة فاخذ اسيرا واحضر بين يدي السلطان تاج الدولة ، فقال له : لو ظفرت بيني ما كنت صنعت بي ؟ قال : كنت اري قتلك . قال : فانا احكم عليك بما كنت تحكم علي ، فقتله اسيرا ، ودفن بالمدسة المعروفة بالزجاجية داخل حلب .

كان اميرا عادلا حسن السيرة جميل السياسة ، وكان شرط على اهل كل قرية من بلاده ، انهم من اخذ عندهم قتل او احد من الناس غرمهم بما يؤخذ من الاموال - قليل او كثير - فكانت السيارة اذا بلغوا قرية من بلاده ، آلقوا رجالهم ، ونافوا ، وحرسهم اهل تلك القرية الى ان يرحلوا ، فامنت السبل .

وكان عنده ولاء عظيم وحسن عهد ومروءة غزيرة ، وانما كان قتله ولاء لسلطانه ورب نعمته جلال الدولة وحفظا لولده من بعده (١) . ولم يخلف سوى عماد الدين .

١ - عماد الدين زنكي

ولد عماد الدين (٢) سنة ٤٧٧ هـ - ١٠٨٤ م ولما قتل والده كان عمره عشر سنوات ، وكانت تبدو عليه علامات النجابة والشجاعة . كما التفت حوله ممالك ابيه . وكانوا عددا كبيرا وفيهم الامير زين الدين علي كوجك بن بككين .

ولما تملك (كربوغا) الموصل اراد ان يعزز قوته ، بعناد الدين ، ومن معه من المماليك ، فراسل اتاعه واستمالهم واحضرهم عنده ، وعليهم عماد الدين ، وقال لهم : هو ابن اخي وانا اولى الناس به وبشريته ، واقطعهم الاقطاعات السنية . وزاد ممالك عماد الدين ، واستعان بهم كربوغا في

(١) انظر : وفيات الاعيان (١ : ٧٩) ، الروضتين (١ : ٢١) ،

مفرج الكرب (١ : ١٩ - ٢٧)

(٢) ابو الجود وابو المعطر عماد الدين بن آق سنقر بن عبد الله الملقب بالملك المنصور . ويلقب ايضا بالشهيد

حروبه ، الى أن توفي سنة ٤٩٤ هـ - ١١٠٠ م .

ولما ملك شمس الدين جكرمش الموصل قرب عماد الدين واتخذ له ولدا يستفيد من قوة ممالكه أيضا ، وما زال معه حتى توفي جكرمش سنة ٥٠٠ هـ - ١١٠٦ م .

وبعد جكرمش استماله جاولي ، وبعدد قربه مودود ، واستفاد منه في حروبه . وظهرت شجاعته وطلوته في حصار طبرية ، فان عمادالدين حمل وحده على باب البلد ، وطعنه برمح ، بعد ان فر الفرنج امامه ونحسوا بالمدينة .

وفي سنة ٥١٥ هـ - ١١٢١ م اقطع السلطان محمود السلجوقي الموصل وأعمالها قسم الدولة آق سنقر البرسقي^(١) وأمره بحفظ عماد الدين وتقديسه ، والوفوف عند اشارته ، فكان عمادالدين من العقل والشجاعة وحسن التدبير .

وفي سنة ٥١٦ هـ - ١١٢٢ م اقطع السلطان محمود الامير آق سنقر البرسقي مدينة واسط وشحنكية البصرة ، فارسل اليها عماد الدين زنكي^(٢) ، وظهرت كفاءته وحسن ادارته في القضاء على الثورات وتوطيد الامور التي عجز عنها غيره ، وهابه امراء الاطراف وخاصة ديس بن صدقة الاسدي العقيل صاحب الحلة ، وكان هذا يسعى ضد الخليفة ، وقصد بغداد فسار البرسقي اليه ، وانكسر عسكر ديس وقتل منهم عدد كبير ، وكان لعماد الدين اثر حسن في هذه الحرب .

ثم ان السلطان محمود استدعاه الى بغداد ، وجعله من اقرب مستشاريه وقواده الذين يعتمد عليهم في الحرب والسلام ، حتى كان يقف

(١) وفيات الاعيان (١ : ٧٩ - ٨٠)

(٢) انظر عنه : الباهر (٦٣ - ١٤٨) الكامل (١٠ : ٢١٥ - ٢٤٨) ،

وفيات الاعيان (١ : ١٩٣) ، الروصتين (١ : ٢٧ - ٤٣) ، اخبار بني سجلوق (ص : ١٠٦) ، مفرج الكروب (١ : ٢٨ - ١٠٦) ذيل تاريخ دمشق (١ : ٢١٧ - ٣٠٠) ، مرآة الزمان (٨ : ١١٤ - ١١٦)

الى جانب تخت السلطان عن يمينه ، لا يتقدم عليه أحد - وهو مقام والده -
قسم الدولة -

ثم انتدبه السلطان لتأديب العرب النافرين في البصرة فمسار اليهم
واخذ النوبة ، وأعاد الأمور الى ما كانت عليه ، وكان بين الخليفة المسترشد
العباسي وبين « يرتقش الزكوي » شحنة بغداد - نفرة • وحذر يرتقش
السلطان من الخليفة فرجع السلطان الى بغداد ، واخذ يفكر فيمن يوليه
شحنة بغداد والعراق بحيث يؤمن جانب الخليفة ويضبط الأمور كما
يريد السلطان •

واستشار اهل الرأي من اصحابه فيمن يوليه امر العراق ، بعد ان
استعرض امراءه ، فكلهم اشاروا عليه بعماد الدين ، وقالوا له : لا نغدر
على رقع هذا الخرق واعادة تاموس هذه الولاية ، ولا تقوى نفس أحد
على ركوب هذا الخطر غير عماد الدين ، فولاه هذا في ربيع الآخر سنة
٥١٩ هـ - ١١٢٥ م فقام بعينه خير قيام ، بحيث ارضى الخليفة والسلطان
وازال ما كان قد القاه بينهما يرتقش ، فعظمت مكانه عندهما وصارا
يتقار به •

وفي سنة ٥٢٠ هـ - ١١٢٦ م قتل آق سنقر البرسقي - قتله الباطنية
يوم الجمعة بالجانب الضيق في الموصل فأقر السلطان ولده عز الدين
مسعود على ما كان لآبيه من الاعمال وهي : الموصل وديار الجزيرة وحلب
وحماة وجزيرة ابن عمر وغيرها • وبعد سنة توفي مسعود فقام بأمر البلاد أخوه
الصغير وتولى امره (جاولي) • وكان جاولي يطمع بأمر هذه البلاد التي
يديرها باسم ولد البرسقي • لذا قر رأيه على ان يرسل وفدا الى بغداد
يعرضون على السلطان والخليفة ان يولي ابن البرسقي ليسائر (جاولي)
بالبلاد • (١)

وكان المرسل بهذا : بهاء الدين ابوالحسن علي بن القاسم الشهرذوري ،
وصلاح الدين محمد الباغستاني أمير حاجب البرسقي ، وعصير الدين جقر

(١) الباهر (ص : ٥٨ . ٥٩)

بن يعقوب • وكان بين نصير الدين جعفر بن يعقوب وبين صلاح الدين اليافعي مصادرة • فحذروا من عاقبة جاولي اذا ما لم الامر له • كما انه اخذهما الى عماد الدين زنكي • واتفقا معه على أن يحملوا السلطان على تولية عماد الدين • ^(١) بشرط أن يكون ليهاء الدين قضاء الموصل وجميع البلاد وما فيها من القضاء والامور المدنية • والحجبة وأماره العسكر لصلاح الدين • وولاية الموصل وجميع البلاد الى نصير الدين جعفر • واتفق معهما جعفر على ان يكلموا الوزير شرف الدين آتو شروان ابا خالد بان يحصل السلطان على تولية عماد الدين نظرا لاهمية الولاية • وان الفرنج قد تقدموا في البلاد • ومن الضروري أن يكون للمسلمين قائد كبير يجمع تسليهم ويصد الفرنج • ففعل الوزير هذا • وبين خطورة الولاية للسلطان •

وكان الخليفة نفسه يحب عماد الدين لما له من الايدي البيضاء في انقاذه من ديس من صدقة الاسدي • ثم موقفه المشرف معه عندما تولى تحكيم بغداد • ولذا فان الخليفة ضمن للسلطان مائة الف دينار ان ولي عماد الدين الموصل وأعمالها •

ولما مثل الرسولان بين يدي السلطان • وعرضا عليه أهمية الولاية • وانه يجب أن يشغلها شخص له حكمة وتدبير وعلم بامور الحرب • كالبرسقي - وذكرنا له عدة أشخاص منهم عماد الدين • وأسبأ في مدحه والثناء عليه • والسلطان نفسه يعرف منزلة عماد الدين في الحرب والسلام • وانه كان بطل الملمات • فوافق على تحيته لما يطلبه من كفايته • فولاه البلاد التي كان يقلدها البرسقي • وضم اليه ولديه ألب أرسلان وقروخ شاه المعروف (بالخفاجي) لبريهما • وجعله أتابكهما • فمن ثم قيل لزنكي (أتابك) • ^(٢)

وتوجه عماد الدين الى الموصل وبدأ باليوازيج ^(٣) فسلكتها • وكان يتخوف من

(١) الباهر (ص : ٦٣ ، ٦٤)

(٢) أتابك : لفظ تركي • مركب من : أتا • بمعنى أب • وبك بمعنى أمير • وكان يطلق على من يرعى أولاد الملوك السلاجقة • (وقيات الاعيان : ١ : ١١٤) وصحيح الاعشى (١ : ١٦٧) •

(٣) اليوازيج : تقع على الزاب الصغير من غربية (منية الادباء : ١٢٣)

جاولى ، ولما قرب من الموصل خرج اليه جاولى وتلقاه مع سائر العساكر ،
ولما رأى جاولى ثباتك زكى ازل عن فرسه ، وقبل الارض بين يديه ،
وعاد فى خدمته الى الموصل ، فدخلها فى رمضان سنة ٥٢٩ هـ = ١١٢٧ م .
وأقام بالموصل بقرر أمرها وصلح قواعدها ، فأقطع جاولى الرحبة ^(٢) وسيرة
اليها . وولى نصر الدين جندر دزدانية ^(٣) القلعة بالموصل ، وجعل اليه
دزدانية سائر القلاع ، وجعل صلاح الدين محمدا أميرا حاجبا ، وبهاء
الدين قاضى القضاة فى البلاد جميعها .

بعد أن نظم إدارة الموصل أراد أن يوسع دولته ، خاصة وأنه وجد البلاد مقسمة
بين أمراء الأطراف ، وكل واحد منهم قد استأثر بولايته لا يسه من أمر البلاد
سوى جمع ما يقدر على جمعه ، من أى طريق كان . وأن الصليبيين قد
استفحل أمرهم ، وقد أخذوا أكثر بلاد سورية ، ووصلوا أسوار حلب ،
ولهم المعاقل والحصون والعدد الوفرة ، وهم فى تقدم مستمر حتى وصلوا
الرها وسروج والبيرة وضائقوا أهل حران . ووصف ابن الأثير حالة سورية
أحسن ووصف فقال : « لما ملك المولى الشهيد البلاد كان الفرج قد استعز بالادهم ،
وكرت أجنادهم وعظمت هبتهم ، وزادت حيلهم ، وتضاعفت سطوتهم ، وعلا
شرهم ، واشتد بطشهم ، وأمتدت الى بلاد الاسلام ايديهم ، وضعف أهلها
عن كف عاديهم ، وتنازعت غاراتهم وساموا المسلمين سوء العذاب ، وركبهم
بالبوار والتباب ، وأسطار فى البلاد شر شرهم ، وعم أهلها شديد جفوفهم ،
وعظم قهرهم ، فنجوم سعد المسلمين منكدره ، وساء عزهم منقطرة ، وثسن
أقبالهم منكورة ، ورايات المشركين خلال ديار الاسلام منشورة ، وأنصارهم
على أهل الأيمان منصورة ، وكانت مملكة الفرج حيث قد أمتدت من ناحية
ماردين وشبهخان الى عرش مصر ، لم يتخلله من ولاية المسلمين غير حلب
وحمص وحماة ودمشق ، وكانت سراياهم تبلغ من ديار بكر الى آمد ، فلم

(٢) الرحبة : رحبة مالك بن طوق على شاطئ الفرات (معجم البلدان :
٤ : ٢٣٦)

(٣) دزدار القلعة - محافظها (قلعة الموصل - سومر (١٠ : ١١٨)

بقوا على موحد ولا جاحد ، ومن ديار الجزيرة الى نصيبين ورأس العين ،
 فاستأصلوا ما اهلها من أثاث وعين • وأما الرقة وحران فقد كان اهلها
 معهم في ذل وصغار واستضعاف واقتسار ، كل يوم قد أذاقوهم البوار ،
 وجمعوهم القرار ، وألصقوا بهم الصغار ، فهم ينادون بالويل والثبور ، ويودون
 لو انهم من ساكني القبور ، وانقطعت الطرق الى دمشق ، الا على الرحبة
 والبر ، فكان التجار والمسافرون يلقون من المخاوف وركوب المفازة تعباً
 ومتعة ، ويخاطرون بالتقرب من العرب بأموالهم وأنفسهم • ثم زاد الامر
 وعظم الشر ، حتى جعلوا على كل بلد جاورهم خراجاً وأتاوة يأخذونها
 منهم ليكفوا أيديهم عنهم ، ثم لم يكتفوا بذلك حتى أرسلوا الى مدينة دمشق ،
 واستعرضوا الرقيق حسن أخذ من الروم والارمن وسائر بلاد النصرانية ،
 وخيروهم بين المقام عند أربابهم أو العودة الى أوطانهم والرجوع الى أهلهم
 وأخوانهم ، فمن أختار المقام تركوه ، ومن أتر العود الى أهله أخذوه ،
 واهبوا بيده الجاهل ذلة للمسلمين وصغاراً ، وللكافرين قدرة واقتساراً ،
 وأما حلب فانهم أخذوا مناسفة أعمالهم ، حتى في الرحى التي على باب الجنان
 وبينها وبين المدينة نحو عشرين خطوة ، وأما باقي بلاد الشام فكان حالها
 أشد من هذين البلدين • (١)

ومملكتها محاطة من سائر جهاتها بأغارات وممالك ، منها القوي ومنها الضعيف
 ولكن العدو القوي الذي كان يخشاه ويتقيه هم الصليبيون • ولا يمكنه
 مقاومتهم ما لم يستولى على الإمارات الصغيرة التي كانت تجاوره •

وبدأ بأمراء الأطراف وأخذ يصانع بعضهم ويقصد الآخرين ، وبعد أن يأخذ
 منهم أو يقضي على إمارتهم ، ينقض على من صانعهم فيحتل بلادهم ويضمها
 الى مملكته ، وكان الكل يدارونه ويتقون شره ويخافونه ، حتى ان بعضهم
 طلب الانضمام اليه قبل أن يقصدهم • وهكذا استولى على مدن كثيرة • وقوى
 أمره فاستولى على جزيرة ابن عمر بعد حرب عنيفة ، ثم سار الى نصيبين
 ونسبها من أهلها بلا مقاومة ، ثم سار الى سنجار فصالحوه بعد امتناع ، ثم

(١) الياهر (من : ٥٩ - ٦١)

أرسل نحنة الى الخابور ودانت له هذه البلاد ، ثم توجه الى حران وخرج أهلها اليه مدعين له بالطاعة لأنهم كانوا في حرز من الفرنج .
ثم سار الى حلب وكان فيها نزاع بين الأمراء ، فسير جيشا مع الأمير صلاح الدين اليافسياني - حاجبه - فصعد الى قلعة حلب سنة ٥٢٢ هـ ورأى الأمور فيها .

واستشير به أهل حلب لما كانوا فيه من النزاع بين الأمراء ، فضلا عما يصيبهم من مضايقة الفرنج لهم ، حتى كانوا يقاسونهم في بعض حاصلاتهم ، ثم سار الى حماة سنة ٥٢٤ هـ وملكها في حيلة .

ثم التفت الى ما يجاوره من حصون الصليبيين ، وشن الغارة على تل باشر وحسن الأثارب وفتحهما وعاد الى الموصل سنة ٥٢٥ هـ وفي ربيع الآخر من هذه السنة أضاف السلطان محمود أمر العراق الى عماد الدين مضافا الى ما بهده من الشام والموصل والجزيرتين .

ثم التفت الى الشمال والشرق فاستولى سنة ٥٢٨ هـ على قلاع الأكراد الحسدية - العقير وشوش - .

ثم سير جيشا على قلاع الأكراد الهكارية ، واستولى عليها سنة ٥٢٨ هـ . ثم سار نحو الغرب ونازل الروم وأخذ منهم قلعة بارين سنة ٥٣٤ هـ ثم أخذ المعرة وكفر طاب وكسر شوكة الصليبيين وأسر منهم عددا كبيرا .

فهاجمه الصليبيون كثيرا وشعروا بضعفهم أمام قوته الجارية التي كسرتهم وأرجعتهم خائبين ، فأرسلوا وفودا الى القسطنطينية يستغيثون بالامبراطور البيزنطي يوحنا الثاني كالوجوها نيز Calojohannes (١١١٨ - ١١٤٣ م) فسار بجيش كثير ، وانضم الى الصليبيين ، وفتح بعض الحصون ووصل الى شبزر ، وكان قد انضم اليه جيش كبير من الصليبيين ، ولم يكن لعماد الدين قدرة بمحاربتهم ، فسعى في بث النزاع بين البيزنطيين والصليبيين ، وأخذ يحذر الصليبيين من الامبراطور البيزنطي وقوته الكبيرة واستيلائه على بلادهم ، وادهم ملك البيزنطيين ان الصليبيين خائفون حذرون منه ، وأنه لو فارق مكانه لتخلوا عنه ، وهكذا فرق صفوفهم . فرحل الامبراطور

البيزنطى من شيزر ، وترك ما كان عنده من أدوات الحرب ، ثم أخذ عسكر
عماد الدين بطارد جيش البيزنطيين ، وكسر الصليبيين شر كسرة .

وفيه يقول المسنن بن الخطير بن المسلم بن قسيم الحموى من قصيدة :
بمزمت أيتها الملك العظيم تذل لك الصعاب وتستقيم
ألم تر أن كلب الروم لما تبين لك الملك الرحيم
فجاء يطبق القلوات خيلا كأن الجحافل الليل البهيم
وقد نزل الزمان على رضاء وكان لخطبه الخطب الجسيم
فحين دمنه بك فى خميس يقن أن ذلك لا يدوم
وأبصر فى المفاضة منك لينا فأحرق - لا يسير ولا يقيم
كأنك فى العجاج شهاب نور نوقد ، وهو شيطان رحيم
أراد بقاء مهجة فولى وليس سوى الحسام له حيم
يؤمل أن تجود بها عليه وانت بها وبالدينا كريم
أيتسنى الفرج ليدبك عنوا وانت يقطع دابرها زعيم
وكم جرعتها نخص المنايا يوم فيه يكتهل القطيع
ولما أن طلبتهم تنسى الـ سية جوسلينهم اللثيم
فسار - وما يعادله ملكك - وعاد وما - يعادله سقيم -
إذا خطرت سؤفك فى نفوس فأول مايقار فيها الجيوم

وهكذا اسمر عماد الدين فى توسع ملكه ، فاستولى على بعلبك ثم دخلت
آمد وحصن كيفا تحت ملكه ، واستولى على شهرزور سنة ٥٣٤ .

وكانت الرها منبعه وهى جوسلين الارمنى ، وهو أعظم امراء الصليبيين ،
وكان المسلمون يتقون شره ، ولكنه شدد الحصار عليها سنة ٥٣٩ ،
وحمل بنفسه على باب البلد وفتح ، ثم تسلم البيروا ايضا .

وهكذا فانه كسر شوكة الروم والصليبيين ، فكان أعظم قائد فى الهلال
الخصيب ، وصار ملكه يستمد من شهرزور شرقا ، الى قرب سواحل سورية
غربا ، ومن آمد وديار بكر وحيال الاكراد الهكارية والحبيدية شمالا الى
الحديثة جنوبا .

وفي سنة ٥٤١ هـ حاصر قلعة جعبر وشدد الحصار عليها ، فأغثاله ليلا وهو
نائم أحد مصاليكه المسمى « برنقش » وانهمزم الى جعبر ، وأعلمهم بأنه قتل
عماد الدين فقالوا له « قتلنا المسلمين بقتله » . وهكذا انتهت حياة هذا
البطل المغوار .

كان عماد الدين من أقدر رجال عصره ، وتمكن بدهائه وشجاعته وحسن
تدبيره من تأسيس دولة قوية مرهوبة الجانب ، فكانت من أقوى دول
الشرق .

كان يعنى بتدريب جيشه وتنظيمه وتجهيزه بأحسن العدد الحربية وأقواها ،
ويقود الجيوش بنفسه ، ويشهد معهم معارك الحروب ، وربما كان أول من
يهاجم على العدو في أخرج المواقف وأدفعها - وقلما انكسر له جيش .
وكان يعنى بأظهار عظمة ديوانه ، وحصره بالأجناد والحاشية ورجال الرأي
والفكر والتدبير ، فكان ديوانه يقاس بدواوين السلاطين السلجوقية لكثرة
التجمل ونفاذ الأمر ، وعظم الحاشية والخرج . (١)

وكان كثير الاهتمام باستقصاء أخبار البلاد المجاورة وما يجري لأصحابها
حتى في خاواتهم - وخاصة دركاوات (٢) السلطان السلجوقي - وله عيون
مرتبون في هذه البلاد المختلفة ، يكتبون إليه كل يوم بما يستقصونه من
الأخبار : من حرب وسلم وجه وهزل ، وترسل إليه مع اناس معينين لذلك ،
فكان يطلع عليها بنفسه ، ويكون على بصيرة من أحوال البلاد . (٣)

كان عماد الدين يحسن أخبار رجال دولته ويخطبهم من البلاد المختلفة
ويرغبهم ويذل لهم العطايا الوافرة ، فاجتمع عنده من رجال الادارة والسياسة
والجيش والعلم والدين ، عالم يجتمع عند ملك مثله في زمانه ، ويقول ابن
الاسير « كانت دولة أتابك مملوكة بالرجال والاجناد وذوى الرأي

(١) الباهر (من : ١٤٩) (٢) الدركاء الساحة أمام قصر السلطان أو

الدليلز أو الرواق أو المدخل (٣) الروضتين (١ : ٤٣)

وكان يوسع على عمائه في العطاء ليكفوا عن أموال الناس وليسهل عليهم فعل الجميل وأصطناع المعروف . (٢) كما كان يستحسن أصحابه فلا يرفع أحدا فوق قدره الذي يستحقه ، ولا يضعه دونه ، ويثق الى كل منهم على قدر ما يعلم منه .

سلم خشكناة الى «طشت داره» لدوقال : أحفظ هذه ، فبقي نحو سنة لا يوافق الخشكناة خوفا أن يطلبها منه ، فلما كان بعد ذلك قال له : أين الخشكناة ؟ فأخرجها في منديل وقدمها بين يديه ، فاستحسن ذلك منه ، وقال : مثلت ينبغي ان يكون مستحفظا لحصن ، وأمر له بدزدارية قلعة كواشي . (٣)

وكان اذا وثق من عامل لا يتغير عليه أبدا ، قال ابن الاثير : « وكان قليل التلون والتنقل بطيء الملل والتغير . شديد العزم ، لم يتغير على أحد من أصحابه منذ ملك الى أن قتل ، الا بذنب يوجب التغير . والامراء المقدمون الذين كانوا معه أولا ، هم الذين بقوا أخيرا من سلم منهم من الموت ، فلهذا كانوا يصحونه ويبدلون نفوسهم له . » (٤)

وكان يجزل العطاء لرجال دولته ، ويعطيهم من الأموال ما يفيض على حاجتهم . فأعطى الديوان مائة ألف دينار في السنة ، وأعطى الأمير حاجب أكثر من ذلك ، وأعطى نزيهم كثيرا . (٥)

قل له مرة : « ان كمال الدين الشهرزوري يحصل له كل سنة منك ما يزيد على عشرة آلاف دينار أميرية ، وغيره يقطع منك بخمسمائة دينار ، فقال لهم : بهذا العقل والرأي تدبرون دولتي ؟ ان كمال الدين يقل له هذا القدر ،

(١) (٥) الباهر (ص : ١٢٧ ، ١٥٠) ، (١٤٦ ، ١٤٢ ، ١٤٧)

* خشكناة : فطير مصنوع من الزبد والسكر والجوز والفسق .
طشت دار : المشرف على الطشت الذي يغسل الملك به يديه

فإن شغلا واحدا يقوم فيه كمال الدين خير من مائة ألف دينار . (١١)
كان يسمع أصحابه من اقتناء الأملاك ، لأنه يعلم حق العلم أن الأملاك إذا
صارَت إلى ذوي السلطان ، فإنهم يظلمون الناس ويغصبون حقوقهم ، وكان
يقول لأصحابه : مهما كانت البلاد لنا فأى حاجة لكم إلى الأملاك ، فإن
القطاعات تفسى عنها ، وإن خرجت البلاد عن أيدينا فإن الأملاك تذهب معها ،
ومنى صارَت الأملاك لأصحاب السلطان ظلموا الرعية ، وتعدوا عليهم
وغصبوهم أملاكهم . (١٢)

وكان يسمع أصحابه من مفارقة البلاد والاتصال بغيرهم من الملوك ، ويشدد
عليهم في هذا الأمر ، خشية أن يستفيد منهم العدو في الإطلاع على أخبار
الدولة وأسرارها . ويقول في هذا : إن البلاد كبيتان عليه سياج فمن كان
خارج السياج بهاب الدخول ، فإذا خرج منها من يدل على عورتها ويطلع
العدو فيها ، زالت الهيبة وتطرق الخصوم إليها . (١٣)

وكان يستغنى أخبار عماله ، وله عيون يوافونه بكل صغير وكبير عنهم ،
وعن حالة البلاد ، ويطلع بنفسه عليها ويقول : « إذا لم يعرف الصغير لصنع
صالح كبرا . » (١٤)

وكان لا يتقل أهل البلاد بالضيافات وأطعام الوافدين على البلاد - كما كان
يفعله السلاجقة - بل أنه عين لكل واحد محله ، فإن كان جنديا اشتمل عليه
الاجناد وأضافوه ، وإن كان صاحب ديوان قصد أهل الديوان ، وإن كان
علما قصد القضاة بنى الشهرذوى فيحسنون إليه ويؤسسون عرشه . (١٥)
وهكذا أراح أهل البلاد مما كانوا يلاقونه من الضيافات .

لما قتل عماد الدين زنكي كان ابنه نور الدين محمود معه ، وكان سيف الدين
غازى فى شهرذور . وكان يطمع بالملك ألب أرسلان بن السلطان محمود
السلجوقي ، أما نور الدين فإنه استمر فى فتوحاته فملىسك الرها وحران
وسروج وحلب وحمص وحما ، وزلب فيها الأمور وأستقر له الملك وجعل
حلب قاعدة له .

(١) (٥) الباهر (ص : ١٤٨ ، ١١٣ ، ١٤٠) الروضتين (١ : ٥٣ ، ٥٤)

أما ألب أرسلان بن السلطان محمود - وكان مع عماد الدين - فاجتمعت اليه
العساكر ، وكاد الأمر ان يتم له ، لولا جمال الدين وصالح الدين
الياغسياني ، فانهما كانا من أخلص الناس نلبت الاتاكي ، فأظهرا استعدادهما
على معاونته ، ولأمره في أمره ، وأخذوا يشغلانه في الشرب والمغنيات
والجوارى ، بينما كان جمال الدين يحلف الأمراء لسيف الدين غازي بن
عماد الدين ويسيرهم الى الموصل . وأقام ألب أرسلان في الرقة ثم فسي
ماكسين ، وجيشه يقل كل يوم ويتسل خفية الى الموصل ، ثم قصد سنجار
في جيش قليل ، فأرسل جمال الدين الى دزدار قلعة سنجار ان يعلم ألب
أرسلان بأنه على ولائه ، وأنه يريد منه ان يوجه قوته الى الموصل . فسار
اليها في نفر قليل من اصحابه فوصل بلدة ، وعبر منها الى الجهة الشرقية .
وأرسل زين الدين علي - نائب عماد الدين في الموصل - الى سيف الدين
يستدعيه من شهرزور ، ودخل الموصل ، وأرسل جيشا الى ألب أرسلان ،
فأسره وحجسه في قلعة الموصل ، وهكذا تم الأمر لسيف الدين غازي .
وبقي أخوه نور الدين محمود في حلب وما يتبعها من الديار السورية .

٢ - سيف الدين بن عماد الدين زنكي

٥٤١ - ٥٤٤ هـ = ١١٤٦ - ١١٤٩ م

كان قد تربى في بلاط السلطان مسعود السلجوقي (١) . وكان السلطان
بأنس ، ورجبه ويقدمه على سائر خواصه ، فلم يفارقه سفرا وحضرا ، وكان
لهذا أثر حسن في توجيهه وأطلاعه على ادارة البلاد وسياسة المملكة ،
وكان يثقل السلاطين السلاجقة في زيه ودركوبه وأظهار قوته ، وهو اول من

(١) : (الكامل (١١ : ٥٦) . الباهر (١٥٥ - ١٦٧) وفيات الاعيان (١) :
(٤٠١) ، البداية والنهاية (١٢ : ٢٢٧ ، ٢٢٨) ، النجوم الزاهرة
(٥ : ٢٨٦) . مرآة الزمان (٨ : ١٢٣) . مرآة الجنان (٣ : ٢٨٣) .
صبح الاعشى (١ : ٤١٦)

حمل على رأسه السنجق^(١) من أصحاب الأطراف • فانه لم يكن فيهم من يفعله
 لأجل السلاطين السلجوقية • وهو اول من أمر عسكريه الا يركب أحدهم
 الا والسيف في وسطه والديوس^(٢) تحت ركابه سقرا وحضرا • ولم يكن
 يفعل ذلك في سائر البلاد الا في السفر • وكان يهدي العنايه بجيشه يعني
 بطعامهم وراحته • فكان يذبح لجيشه كل يوم مائة شاة لطعامهم بكرة فينزل
 الجند في خدمته ويحضرون الطعام • وبعد لهم سمانا آخر في آخر النهار •
 وكان يذبح يوم العيد ألف رأس من الغنم الجيدة سوى الجمال والبقر
 والدجاج • ويسد السمان لجيشه وخواصه ومن يحضر في بلاطه •

وكان جيشه مضرب المثل في اليأس والشدة • ولما اشتد حصار الصليبيين
 لمدينة دمشق سنة ٥٤٣هـ - ١١٤٨م استجدوا بسيف الدين • فسار اليهم
 بجيش قدره عشرون ألف مقاتل • وفلك هو وأخوه نور الدين بجيوش
 الصليبيين • وأعملوا فيهم القتل • فأرتدوا خائبين •

وقد أجمع الفرن كتبوا عنه انه كان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وأجودهم
 سريرة وأصبحهم صورة • حازما شجاعا كريما عاقلا منطويا على خير وصالح
 يحب العلم وأهله •

بنى بالموصل المدرسة الانابكية العتيقة • وهي من أحسن المدارس وأوسمها
 وجعلها وفقا على الفقهاء الشافعية والحنفية ودفن فيها • وبنى للصوفية رباطا
 على باب المشرقة ووقف عليه الأوقاف الكثيرة •

وكان يقصده الشعراء وينالون جوائزه • مدحه الخيصر بعض بقصيدة أولها

الأم براك المجد في زى شاعر وقد نخلت شوقا فروع المنابر

فأجزل له العطاء وأعطاء ألف دينار سوى الخلع •

وكان وزيره جمال الدين الاصفهاني المشهور • ونائبه على القلعة زين الدين
 على كوجاك •

(١) السنجق هو العلم (٢) الديوس : قضيب من حديد في نهايته كتلة
 من حديد وهو من أدوات السلاح •

٣ - قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي

٥٤٤ - ٥٦٥ هـ = ١١٤٩ - ١١٦٩ م

لم يخلف سيف الدين غازي سوى ولد واحد، أخذه عنده عمه نور الدين محمود، وتولى الأمر قطب الدين مودود^(١). كان محباً إلى الرعية محسناً إليهم، كثير الشفاعة عليهم، حسن الشكل من أحسن الملوك سيرة وأعفهم عن أموال رعيته، محبوباً إلى الكبير والصغير، كريم الأخلاق.

كان سريع الأفعال للخير، بطيئاً عن الشر، وكانت أيامه في الموصل أيام رخاء وأطمئنان. لما اشتد به المرض أوصى بالملك لابنه الأكبر عماد الدين وكان مقبلاً عنده عمه نور الدين زوج ابنته.

وأما فخر الدين عبد المسيح المدير لأمر دولته، فلم يكن يرغب بعماد الدين لعداوة كانت بين فخر الدين ونور الدين محمود، فاتفق فخر الدين مع خاتون ابنة حسام الدين تمرش بن أيلغازين، على أن يكون الأمر لابنهما سيف الدين غازي بعد أبيه - فتم الأمر له.

٤ - سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود

٥٦٥ - ٥٧٦ هـ = ١١٦٩ - ١١٨٠ م

كان ضعيفاً ألباه فخر الدين عبد المسيح بملذاته، وأستبد به إدارة البلاد^(٢). وكان فخر الدين ظالماً غشوماً، فمقته الناس ومقتوا سيف الدين على إهماله أمور البلاد، وانهماكه بملذاته وشهوته، حتى صار فخر الدين يتحكم به ويأمر البلاد، ولم يرض أهل الموصل بهذا، فكتبوا سنة ٥٦٦ هـ عمه نور الدين محمود وأعلموه بالأمر، فسار نور الدين إلى الموصل وأخذ

(١) الكامل (١١ : ١٤٣ ، ١٤٤) ، وفيات الأعيان (٢ : ١٣٢ ، ١٣٤) البداية والنهاية (١٢ : ٢٦١) ، الروضتين (١ : ١٨٦ ، ١٨٧) التجوم الزاهرة (٥ : ٣٨٤) ، مرآة الزمان (٨ : ١٢٣ ، ١٧٥)

(٢) الكامل (١١ : ١٤٤ ، ١٤٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩) الباهر (٢٧٨ - ٣٢٨) ، وفيات الأعيان (١ : ٤٠١ - ٤٠٢) الروضتين (٢ : ١٧ ، ١٨) ، التجوم الزاهرة (٥ : ٣٨٤)

سنجار ، وسلمها الى ابن اخيه عماد الدين بن قطب الدين مودود ، وعبر
 دجلة من قرب مدينة بلد ، وعسكر شرقي حصن ننوي ، واعلم فخر الدين
 عبدالمسيح بأنه اولى بتدبير ملك اولاد اخيه منه ، واستجد سيف الدين
 غازي باتابك شمس الدين ايلدكر - صاحب همدان وبلاد الجبل وأذربيجان
 وأصفهان والري - وسير اليه عز الدين مسعود بن قطب مودود ، يستجده
 على مساعدتهم ، فأرسل هذا رسولا الى نور الدين بجزيرة من فتح الموصل
 ويقول له : ان هذه البلاد للسلطان فلا تقصدها ، فلم ينفذ اليه وقال
 لمرسول : « قل لصاحبك أنا أصلح لأولاد أخى منك ، فلم تدخل نفسك
 بيتا ؟ وعند الفراغ من اصلاح بلادهم يكون الحديث معك على باب همدان .
 فانك قد ملكك هذه المملكة العظيمة ، وأهملت الثغور حتى غلب الكرج عليها ،
 وقد بليت انا - ولئى مثل ربع بلادك - بالقرنج وهم اشجع العالم ، فأخذت
 معظم بلادهم ، واسرت ملوكهم ، ولا يعمل لى السكوت عنك . فانه يجب
 علينا القيام بحفظ ما أهملت ، وازالة الظلم عن المسلمين . »

وان الامر امن أهل الموصل تعقدوا على تسليم البلد ، وجاهروا بفخر الدين بالعسيان ،
 فانظر فخر الدين الى مفاتيح نور الدين بالصلح . ودخل نور الدين القلعة
 من باب السر ، واطلق ما كان بها من المظالم والمكوس ، وبقي فى الموصل
 اربعة وعشرين يوما ، قرر خلالها شؤون البلاد ، واخذ فخر الدين معه الى
 الشام ، وترك فى القلعة نائباً له مسلوكا اسمه سعد الدين كشتكين .

ذكر المؤرخون عن سيف السدين غازي بأنه لم يكن محبوس
 السيرة ، ضعيفا مغلوبا على امره ، عاكفا على ملذاته ، غير ملتفت الى امسور
 البلاد ، وخاصة بعد موت عمه نور الدين محمود ، فيذكر الذهبي انه ادار
 الخمر والفواحش ببلاد بعد موت عمه فمقته المسلمون .

وفى سنة ٥٧٥ هـ حدث الغلاء العظيم ، وكان الناس قد خرجوا
 للاستسقاء ، ومر سيف الدين غازي بموكبه ولم يشاركهم بما هم عليه
 من الضر ، فناروا به وقصدوه بالاستقامة ، وطلبوا اليه ان يأمر بمنع بيع
 الخبز فاجابهم ، ثم هجم الناس على محلات بيع الخبز وكسروا آيينها

وحدث في البلد هرج ومرج * وهكذا كانت أيامه غير مرضية لاهل الموصل *

٥ - عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود *

٥٧٦ هـ = ٥٨٩ هـ = ١١٨٠ - ١١٩٣ م

كان مدير دوله مجاهد الدين قيسار ، وهو من اعظم امراء عصره
دهاء وسياسة ، وله الحيل والعقد ، وبوابه في البلاد ، واليه يرجع
في كل الامور ، وكان شديد الاخلاص للبيت الاتابكي ، ولم يدور منه
ما يضرهم *

جرت لوز الدين حرط مع صلاح الدين وغيره من اصحاب
الاطراف ، ففي سنة ٥٨١ هـ حاصر صلاح الدين الموصل بجيوش كثيرة ،
وهاله ما وجده من كثرة الجيوش التي كانت محتشدة فوق سور الموصل ،
وما اعدود من الآلات الحربية المختلفة ، وتطوع الناس في الدفاع عن مدينتهم ،
وخرج اليه اهلهما وظهروا عليه ، وكان هذا بفضل تدبير مجاهد الدين
قيसार ، فارتد عنها خائباً * وحاصرها بعد هذا مرتين فلم يزل منها شيئاً *

وكان ينافس مجاهد الدين بعض امراء الدولة ، فأخذوا يوغرون صدر
عز الدين مسعود ، وخوفوه من قوة سلطانه ، وتمكنه في البلاد ، فقبض
عليه سنة ٥٧٩ هـ واعتقله بقلعة الموصل ، وولى قلعة الموصل عز الدين
محمود زنكدار ، وعين شرف الدين أحمد بن أبي الخير أميراً حاجباً - وهما
الذان حرصاه على اعتقال مجاهد الدين - فانقض نواب مجاهد الدين على
عز الدين مسعود ، كما خرجت من حكمه بعض البلاد ، فبين له خطأ وسوء
نية المفسدين ، فأعاد مجاهد الدين الى ما كان عليه ، وبقي هذا يتصرف بامور
الدولة حتى قضى نحيه *

وكان عز الدين زاهداً عابداً ، خير الطبع كثير الاحسان ، يصل الى الشيوخ
والمصوفة ويمنهم بالبر والاحسان ويوزرهم * حج الى بيت الله الحرام ،

* انظر عنه : الكامل (١١ : ١٩٦ - ٢١٠) (١٢ : ٤٢ ، ٤٣)
الروضتين (٢ : ١٨ ، ٢٢٦ - ٢٢٧) ، مرآة الزمان (٨ : ٢٤٥) المحاسن
اليوسفية (ص : ٤٦ ، ٥٤)

وليس بسكة خرقة اتصوف من الشيخ عمر السائي ، وكان يلبس هذه
الخرقة كل ليلة ويخرج الى مسجد بناءه في داره ، يصلي فيه نحو ثلث الليل ،
كان محبوبا من رعيته لبره وشفقته .
ودفن في المدرسة التي انشأها مقابل دار المملكة +

٦ - نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود *

٥٨٩ - ٦٠٧ هـ = ١١٩٣ - ١٢١٠ م

أوصى عز الدين الملك لأبيه نور الدين أرسلان شاه ، وكان يعارض
في هذا الأمر شرف الدين بن قطب الدين مودود أخو عز الدين مسعود ،
وساعدته في الأمر الخاتون والدة ، وبعد وفاة عز الدين توقف مجاهد
الدين قيسار في الأمر ، لأنه وجد معارضة شديدة من شرف الدين وأمه ،
وخشى أن ينقسم البيت الأتابكي على نفسه ، ولكن مجد الدين بن الأثير جمع
الأمراء وأرباب الشأن في الدولة وحلفهم لنور الدين فتم له الأمر +

وكان يدبر دولته مجاهد الدين قيسار الرومي ومجد الدين بن الأثير ،
الذي كان بمنزلة الوزير عنده ، يركن إليه في أمور ، ويستشير في
ملامته . ولما أصابه الفالج وانقطع في داره ، كان نور الدين يزوره في داره
ويستشير في أمور أيضا ، ولما توفي مجد الدين سنة ٦٠٦ هـ - ١٢٠٩ م
حزن عليه كثيرا ومات بعده بانههر +

كان نور الدين شهيدا شجاعا شديدا على أصحابه ، فكانوا يخفونه
خوفا شديدا . وكان قد انزم كلا منهم حدة ، ويذكر ابن الأثير : بأنه
أعاد هبة الدولة الأتابكية ، بعد أن كانت قد تضعفت فهاجم الملوك واجهد
الشعب كثيرا ، ولما مرض زاره الناس على اختلاف طبقاتهم حتى بطلت
معاشهم .

* الكامل (١٢ : ١٢١) ، الناصر (٣٤٦ - ٣٦٥)

٧ - القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه *

٦٠٧ - ٦١٥ هـ = ١٢١٠ - ١٢١٨ م

كان نور الدين قد عهد بالامر قبل موته لابنه القاهر وعمره عشرين سنين . ولما اشتد به المرض جدد له العهد ، وحلف اعيان البلد والجند ، واعطى ولده الاصغر عماد الدين الدين زنكي قلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وسيره الى العقر ، وامر ان يتولى تدبير امر القاهر بدر الدين لؤلؤ وبدر الدين هذا مملوك نور الدين ارسلان شاه ، وصار له مكانة في الدولة بعد موت مجاهد الدين قيمانز ومجد الدين بن الاثير ، ثم اخذ بطمع في الملك ، وصار يكيد لاولاد الاتابكيين واحدا بعد واحد ، حتى قضى عليهم .

ومما يؤيد لنا هذا ما ذكره ابن كثير في حوادث سنة ٦١٥ هـ قال : وفيها جرت خطوب كثيرة في بلد الموصل بسبب موت ملوكها اولاد ارسلان شاه واحدا بعد واحد ، وتقلب مملوك ايهم بدر الدين لؤلؤ على الامور (٢) .

وقال ايضا عند كلامه عن بدر الدين لؤلؤ : ولم يزل يعمل على اولاد استاده ، حتى ابادهم وازال الدولة الاتابكية عن الموصل (٣) . وان بدر الدين اشغل القاهر بسلذانه وشبهواته ، وحجر عليه في دار المملكة ولم يبق له سوى الاسم ، وتفرده هو بالحكم في الدولة ، وصار اليه المرجع في كل الامور ، قال ابن الاثير عند كلامه عن القاهر : « كان كريما حليما قليل الطمع في اموال الرعية ، كافا عن اذى يوصله اليهم ، مقبلا على لذاته ، كأنما ينهيها نهباً ويبادر بها الى الموت » (٤) . وان القاهر نفسه لم يكن مراثيا من وضعه ، يائسا من حاله ، يكثر من ذكر الموت ، وهو ما كان يتوقعه على يد بدر الدين . واذا دققنا ما ذكره ابن الاثير عن القاهر فابنا نجد في عباراته ما يستدل على الوضع الحرج الذي كان عليه القاهر ، وتسلسل

(١) الكامل (١٢ : ١٢١ ، ١٢٢) ، (٢) ، (٣) البداية والنهاية (١٣ : ٧٩ ، ٨١) (٤) الكامل (١٢ : ١٣٧)

بدر الدين في الامر ، ومحبة اهل الموصل للقاهر وتعلقهم به . قال ابن
الانير : « وكان عنده رقة شديدة ويكثر ذكر الموت ، حكى لي بعض من كان
بإلزامه قال : كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده ، فقال لي : قد وجدت
شجرا من القعود ، فقم بنا نمشي الى الباب العمادي ، قال : فقمنا فخرجنا من
داره نحو الباب العمادي ، فوصل التربة التي عملها لنفسه عند داره فوقف
عندها مفكرا لا يتكلم . ثم قال لي : والله ما نحن في شيء ، أليس مصيرنا الى
هاهنا وندفن تحت الارض ؟ وأطال الحديث في هذا ونحوه ، ثم عاد الى الدار
فقلت له : الا نمشي الى الباب العمادي ؟ فقال : ما بقي عندي نشاط الى هذا
ولا الى غيره ، ودخل داره وتوفي بعد ايام ، واصيب اهل بلاده بموته ،
وعظم عليهم فقده ، وكان محبوبا اليهم ، قريبا من قلوبهم فني كل دار لاجله
رقة وعويل » ^(١) وهكذا لم يزل بدر الدين يضيق على القاهر حتى
سسه وقتله ^(٢) .

٨ - نور الدين أرسلان شاه بن القاهر عز الدين مسعود

٦١٥ هـ = ١٢١٨ م

توفي القاهر وعهد بالملك لابنه نور الدين وهو صغير ، ولا شك ان
بدر الدين حصله على هذا العهد ، او انه كتبه بنفسه ليدفع من بطع بالملك
من الاتاكين ممن يخشى بأسهم ، ومن كان يطمع بالملك اخو القاهر ، وهو
في الموصل ، وعماد الدين زنكي بن أرسلان شاه صاحب العقر الحمدي .
وليس من مصلحة بدر الدين ان يتولى الملك رجل خازم مديون يتولى امور
المملكة بنفسه . ولذا فانه ضرب على أيدي الطامعين ، وأخرج أخا القاهر
عن الموصل ^(٣) وانعم بالخلع على الناس فلم يخص بذلك شريفا دون
مشروف ، ولا كبيرا دون صغير ، واحسن السيرة وجلس لكشف ظلمات

(١) الكامل (١٢ : ١٣٧) (٢) شذرات الذهب (٥ : ٦٤) (٣) مرآة

الزمان (٨ : ٣٩٥)

الناس وانصاف بعضهم من بعض» (١) وهكذا تم الملك لنور الدين ، والامر الحقيقي لبدر الدين . واتبع بدر الدين مع نور الدين نفس الطريقة التي اتبعها في القضاء على والده فقد قتله قبل ان تنقض عليه سنة في ملكه ، قال ابن كثير في حوادث سنة ٦١٥ هـ « وفيها توفي القاهر صاحب الموصل فاقسم ابنه الصغير مكانه ، ثم قتل وتشتت شمل البيت الاتابكي ، وتغلب على الامور لؤلؤ غلام ابنه » (٢) .

ولم يرض بهذا الامر عماد الدين زنكي صاحب العقرب وشوش وساعده مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين - صاحب اربل - وخاصة بعد ان علما ان نور الدين مريضا من جروح كانت به وغيرها من الامراض ، وكان يبقى المدة الطويلة لا يركب ولا يظهر للناس ، وان المتسلط هو بدر الدين ، فجهز حملة كبيرة واحتل عماد الدين العمادية وبقية قلاع الهكاريية والزوزان (٣) .

ولما وجد بدر الدين لؤلؤ ان البلاد أوشكت أن تنقض عليه ، فامض الملك الاشرف موسى بن الملك العادل صاحب ديار الجزيرة . وخلال يطلب منه أن يكون في طاعته بشروط أن يعاضده على عماد الدين ومظفر الدين - فقبل الملك الاشرف بهذا - فجهز بدر الدين جيشا كبيرا ، وسار الى العقرب وهزم عماد الدين الى اربل ، ثم وردت رسل الخليفة وتقرر بينهم الصلح (٤) فهدأت الاحوال لبدر الدين ، ولم يبق له سوى القضاء على نور الدين فقتله في نفس السنة .

لم يبق من اولاد القاهر غير ولده ناصر الدين محمود ، وله من العمر ثلاث سنين فلا يخشى له بأس ، فحلف بدر الدين له الجند ، وأعان البلد ، وتفرّد هو بالحكم .

ولم يكن الناس مطمئنين الى ما فعله بدر الدين باولاد الاتابكيين ، فقد قتل القاهر وابنه نور الدين ارسلان شاه ، وهم مترقبون قتل هذا

(١) الكامل (١٢ : ١٣٧) (٢) البداية والنهاية (١٣ : ٨١)

(٣) (٤) الكامل (١٢ : ١٣٨ - ١٤٣)

الصبي ، كما قتل اياه واخاه ، ولذا فان الشعب كان كثيرا ضده .
ولم يكن عماد الدين صاحب العقر يرضى بهذا ، وكان يعاضده بذلك
مظفر الدين كوكبوري ، لصلته بالمصاهرة . معه - كما قدمنا - وفي الموصل
اولاد الاتابكيين الذين يطمعون في الملك ، ويريدون اقضاء بدر الدين عن الحكم ،
ويتألمون مما يفعله مع الملوك الاتابكيين ومن قتلهم واحدا بعد واحد .
أما بدر الدين فانه كان يستند على الملك الاشرف وينتسب اليه ويعدو ويمينه ،
كما كان يرسل الهدايا والوفود الى الخليفة لاقراء الملك الذي يريد لنفسه ،
واراد ان يخفف من شغب أهل الموصل عليه ، فأركب ناصر الدين على
فرس وسار في ركابه ، وأظهره للناس ، مظهرا شقيقته وحنوه عليه ، وانه
يريد ابقاء الملك في اولاد القاهر مثلث الموصل . ويقول ابن الاثير « ان
النفوس طابت لان نور الدين كان لا يقدر على الركوب لمرضه ، فلما ركبوا
هذا ، علموا ان لهم سلطانا من البيت الاتابكي ، فاستقروا وأطمأنوا وسكن
كثير من الشعب بسببه » . (١)

وكانت الحروب مستمرة بين بدر الدين وناصر الدين على الملك ، حتى ان مظفر
الدين حاصر الموصل مرتين ، وحاول الاستيلاء عليها لكي يقض ناصر الدين
ابن ابيه ، ويضرب على يد بدر الدين لؤلؤ فلم يتمكن . (٢)
وفي سنة ٦٣٠هـ توفي مظفر الدين صاحب أربل وهو جد ناصر الدين لأمه ،
ولم يبق من يخشى منه بدر الدين ، ولذا فانه قتل ناصر الدين وقضى على
الدولة الاتابكية ، قال ابن كثير عند كلامه عن ناصر الدين « كان مولده
سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وقد اقامه بدر الدين صورة حتى تمكن أسره ،
وقويت شوكته ، ثم حجز عليه ، فكان لا يصل الى أحد من الجوازي ولا
شيء من السراري ، حتى لا يعقب وضيق عليه في الطعام والشراب ، فلما
توفي جده لأمه مظفر الدين كوكبوري صاحب أربل منه حينئذ من الطعام
والشراب ثلاثة عشر يوما حتى مات كندا وجوعا وعطشا ورحبه الله ، وكان

(١) الكامل (١٢ : ١٤٠)

(٢) الكامل (١٢ : ١٤٠ - ١٤٤ ، ١٧٤ ، ١٨٧)

من أحسن الناس صورة ، وهو آخر ملوك الموصل من البيت الاتابكي . (١)
 وذكر ابن تقي بردي في حوادث سنة ٦٣١ هـ وفيها استولى بدر الدين
 لؤلؤ على الموصل وأظهر أن الملك محمود بن القاهرة قد توفى وكان قد أمر
 بخنقه . (٢)

ويقول ابن الوردي: استقل بدر الدين لؤلؤ بملك الموصل ، وتوفي الطفل
 الذي نصبه - وهو ناصر الدين محمود بن القاهرة مسعود - وتسمى لؤلؤ
 بالملك الرحيم وعاضده الأشرف بن العادل ، وقلع لؤلؤ البيت الاتابكي
 بالكلية ، وملك الموصل ثيفا وأربعين سنة سوى تحكته أيام أستاذه أرسلان
 شاه وابنه القاهرة . (٣)

وهكذا تم الأمر له فراسل الخليفة وقدم له الهدايا الوفيرة فأقره الخليفة
 بالسلطنة سنة ٦٣١ هـ .

قال ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٣١ - وفيها نفذ
 الأمير بدر الدين سنقر جاهد الظباهرى أمير آخور الخليفة المستنصر
 بالله إلى الموصل ، ومعه خلعة السلطنة ، وتقليد لبدر الدين لؤلؤ الرسمى
 الاتابكي صاحب الموصل ، فخلع عليه وأعطاه فرسا بركب ذهباً ، وكنبوش
 أبريسا وسيف ركاب ، ومشدة في عنق الفرس ، ولقب الملك المسعود
 وأذن له أن يذكر اسمه على المنابر ببلده ونقشه على سكة العين والورق . (٤)
 ولهذا فإن بعض المؤرخين - ومنهم ابن الوردي - يرى أن تملك بدر الدين
 الفعلى كان من السنة التى قضى فيها على ناصر الدين ، وأنه مازال يكيد ويدير
 الحيل لاستئصال البيت الاتابكي - أولياء نعمته - حتى تم له الأمر وتولى
 ملك الموصل .

(١) - (٢) ٢٤ البداية والنهاية (١٣ : ١٣٦) . النجوم الزاهرة
 (٥ : ٢٥٧) تلمة المختصر (٢ : ٤٤)
 (٤) الحوادث الجامعة (ص : ٥٢) والكنبوش : بردة توضع تحت
 السرج .
 (٣٨)

الزراعة والتجارة

تأخرت الزراعة في الموصل على عهد السلاجقة ، وتندر وجود الفواكه والثمار فيها ، وصارت أقل بلاد الله فاكهة ، حتى كان الذي يبيع الفواكه يكون عنده مقراض يقص به العيب - لقلته - إذا أراد أن يزنه ^(١) ، وهجرت القرى الكثيرة فزح أهلها إلى البلاد الأخرى ، وهكذا فقد كانت الموصل في قلة من الطعام والغذاء .

وبعد أن أسس عباد الدين دولته ، واستتب له الأمر في البلاد ، أراد القواد والرباب الحكم أن يكون لهم أقطاعات واسعة - كما لغبرهم في البلاد الأخرى - لكي يستغلوها لحسابهم الخاص ، فأبى أن يقطعهم الأملاك لعلة أنها إذا صارت إليهم فأنهم يظلمون الناس ، ويغصبون الأملاك والعقارات من أصحابها - كما فعل السلاجقة قبلهم - وهذا يؤدي إلى تأخر الزراعة ، وكان يقول لإصحابه : مهما كانت البلاد لنا فأي حاجة لكم إلى الأملاك ، فإن الأقطاعات تغني عنها ، وإذا خرجت البلاد عن أيدينا فإن الأملاك تذهب معها ، ومتى صارت الأملاك لأصحاب السطان ظلموا الرعية واعدوا عليهم وغيصوهم أملاكهم ^(٢) . ولذا فإنه أبى الأراضي بأيدي أصحابها ، يسلون بها بحد وشامل ، ويدفعون الضرائب إلى السلطان ، وهي ضرائب محدودة معينة فتشظت الزراعة لأن الناس صاروا آمنين على أراضيهم ومستغلاتهم يحصلون بها ، لا يخشون حاكما يسلبهم ، أو قائدا يظلمهم ، أو متغذا يسلط عليهم ، أو جنديا يغصب ما بأيديهم .

قال ابن الأثير : فلما عسرت البلاد عملت البياتين بظاهرها وفيها ولايتها ، فهي اليوم أكثر بلاد الله فاكهة ، فالرمان يبقى إلى أن يدرك العتيق الجديد ، وكذلك الكمثرى ، وقريب منه العنب والتماح ، فيجمع العتيق

(١) الباهر (ص : ١٣٩) ، (٢) الروضتين (١ : ٥٣)

والجديد (١) .

وعمرت القرى التي كانت مهجورة وزادت عما كانت عليه فزرعوا
الحبوب والبقول والفواكه والاشجار ، وصارت الموصل تميز بغداد اربعة
اشهر من كل سنة (٢) . وبلغ عدد قراها العامرة (٩٠٠٠) قرية . وفي
الجهة الشرقية منها (٣٧٠٠) قرية وفي الجهة الغربية (٢٣٠٠)
قرية (٣) .

وكانت عدد بساتين الخضرة في المدينة (٩٥) بستانا . وعدد بساتين
الفواكه والاشجار (٣٩) بستانا (٤) .

واشتهرت الموصل بزراعة القطن ، فزرعوا منه الحقول الواسعة
لحاجتهم اليه في الحياكة ، وزراعة القطن في بلاد الجزيرة قديمة تعود
الى عهد الآشوريين ، فانهم نقلوا بذوره وزرعوه في بلادهم .
وفي عهد الاسلام اهتم الحمدانيون في زراعته ، حتى انهم قطعوا
كبيرا من بساتين الفواكه والاشجار من بلاد الجزيرة وزرعوها قطناً (٥) .
ثم تأخرت زراعته على عهد السلاجقة ، ثم نشطت كثيرا في العهد الانباكي .

التجارة :

أما تجارتها : فكانت تصلها القوافل من العراق محملة بضائع الهند ،
وتصلها قوافل ايران ومعها بضائع الصين وفارس ، وتحط بها قوافل اذربيجان
وترسو فيها مئات الاكلاك المحملة بحاصلات جزيرة ابن عمر وما يجاوزها
من بلاد الانضول .

ومن الموصل تخرج القوافل العديدة الى بلاد سورية محملة
ببضائع الشرق وحاصلاته ، وتسير الى سواحل البحر الابيض المتوسط .
ومن مواسم هذا البحر يأخذها التجار الجنوبيون والبنادقة وأهل مرسيليا

(١) . (٢) الباهر (ص : ١٣٩) النجوم الزاهرة (١ : ٤٥)

(٣) . (٤) حنية الادباء (ص : ٦٧)

(٥) صورة الارض (١ : ٢١٣)

ويصدرونها الى بلاد اورية ، وهكذا صارت الموصل من المصدن التجارية
الكبيرة في العالم .

قال عنها ياقوت : « هي محط الركبان ، ومنها يقصد الى جميع
البلدان ، فهي باب العراق ، ومفتاح خراسان ، ومنها يقصد الى اذربيجان ،
وكثيرا ما سمعت ان بلاد الدنيا العظام ثلاث : نيسابور لانها باب الشرق ،
ودمشق لانها باب الغرب ، والموصل لان القاصد الى الجهتين قل ما لا يمر
الا بها » (١) . وهكذا فان تجارة الشرق والغرب كانت تنلقى في أسواق مدينة
الموصل .

وكانت دجلة غاصة بالسفن والاكلاك الكثيرة التي كانت تستغل
في نقل البضائع المختلفة .

ويذكر سبط ابن الجوزي انه كان فيها سنة (٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م) -
(٢٥٠) سفينة عدا الاكلاك ، وذكر ايضا ان عدد الدرجيات التي كانت
تؤدي الى النهر ، والتي تستعمل لتحميل السفن والاكلاك يبلغ (١٨)
درجة (٢) .

ويقول أيضا عنها ياقوت : « وما عدم شيء من الخيرات في بلد من
البلدان الا وجد فيها » (٣) وكان فيها عشرات المخازن الكبيرة ، والقيسريات
والمحلات التجارية الواسعة المملوءة بما يصدره الشرق والغرب . وكان بها
اربعة اسواق فأكبر - لكل صنف من البضاعة (٤) .

ويذكر سبط ابن الجوزي ان عدد اسواق الموصل الكبيرة كان
(٣٦) سوقا وبلغ عدد الحوانيت فيها ٤٨٥١٥ حانوتا . وكان في الموصل
قيصرية خاصة لبيع الروائح العطرية وتسمى قيسرية المسك وفيها (١٢)

(١) ، (٣) معجم البلدان (٨ : ١٩٥ - ١٩٦)

(٢) منية الادباء (ص : ٦٧)

(٤) صورة الارض (١ : ٢٢٥)

دكانا (١) .

ومن القيسريات الكبيرة الشهيرة هي قيسرية الجامع النوري ، وكان فيها
٦٩٩ دكانا . والقيصرية التي بناها مجاهد الدين قيمان الرومي المتوفى سنة
٥٥٩٥ - ١١٩٨م قال ابن جبير : « وبني أيضا داخل البلد ، وفي سوقه
قيصرية للتجار كأنها الخان العظيم تتعلق عليها ابواب حديد ، وتطيف بها دكاكين
وبيوت بعضها على بعض ، قد جلى ذلك كله في أعظم صورة من البناء
المزخرف الذي لا مثل له ، فما أرى في البلاد قيسرية تعادلها » (٢) .
ومما يؤيد لنا عظم الحركة التجارية في الموصل ان بلغت الدفعة اليومية
التي كانت تجبي من أسواقها (١٠٠٠٠) (٣) درهم في اليوم وهو مبلغ
كبير يدلنا على سعة الحركة التجارية الواسعة في ام الربيعين .



شكل (٤) سقف قبة المصلى الشمالى في كنيسة دير مار بهنام

(١) - (٣) منية الادباء (ص : ٦٦-٦٨) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٨)



شكل (٦) ، (٧)
 ١ - علبه من النحاس المطعم صنعت لهدر الدين لؤلؤ
 ٢ - غطاء العلبه المذكوره



شكل (٥) صخره من الفضة المطعمه
 (في المتحف البريطاني)

الصناعة والفنون



شكل (٨) جدول للحساب الفلكي عمل ليدر الدين لؤلؤ



شكل (٩) الوجه الثاني من الجدول
(في المتحف البريطاني)

وتقدمت الصنائع في الموصل وحاصرت المصنوعات الموصلية تصدر الى الهند شرقا والى أوروبا غربا ، ومن هذه الصنائع النسيج الموصل المعروف (بالموصلين) وصناعة التكتيف في المادون ، وترصع الخشب والرخام ، وصناعة الحرف والزجاج والخاروف الجسية وغير ذلك . وبيع في الموصل كثير من القنابين الذين كان يروح اليهم ، وكانت بعض نطهم التي يتكرونها مثلا لقناني الشرق يعكفون على تدريسها وتقليدها . وكان اقبال اهل الموصل شديدا على هذه الصناعة حتى الامراء فان الامير مسعود بن اقيسقر الرستقي (٥٢١ هـ - ١١٢٧ م) كان ذا فكر في القمص والتصوير والتزويق ، لا يلحظه احد في ذلك ، وكان احسن الناس نقوشا وتصويرا ، وربما عوض بصور اسطلاح عليها بينه وبين امثاله (١) .

وفي أواخر القرن السادس للهجرة ، هاجر من مصر الى الموصل كثير من الصنائع واهل الحرف ، وذلك على اثر المجاعة التي حصلت فيها سنة ٥٩٥ هـ - ١١٩٨ م . فشرروا فنونهم وصنائعهم فيها ، وكانوا عاملا جديدا في تشييد الصناعة والفنون (٢) . كما هاجر بعض الصنائع والبائعين من صناعي تكرت ، وشرروا فيها صناعة تزيين المائى بخاروف وصور جسة والحفر على الخشب فكانوا عاملا آخر في تقدم فن البناء وزخرفته (٣) .

١ - النسيج الموصل

كانت بلاد الجزيرة مشهورة بنسوجاتها قبل الاسلام ، ومنها انتقلت هذه الصناعة الى غيرها من البلاد ، ففي عهد الآشوريين اشتهرت بلاد الجزيرة بنسيج الكتان والقطن ، لان الآشوريين جلبوا بذور القطن من الهند وزرعوه وكانوا يسمونه (شجرة تحمل الصوف) ، واتخذوا منه ومن

(١) التصوير عند العرب (ص : ١١٣)

(٢) قصة عبداللطيف البغدادي في مصر (ص : ٦٧)

(٣) التاريخ السرياني المجهول (ص : ٤٤٣) (بناء الزمان (ص : ٣٣)

الكتان أحمل الثياب وأدقها^(١) .

وذكر المسعودي ان سابور غزا بلاد الجزيرة وآمد وغيرها من بلاد الروم ، ونقل خلقا من اهلها واسكنهم بلاد القرس وتستر وغيرها من مدن كور الاهواز ، فتناسوا وقطنوا تلك الديار فمن ذلك الوقت صار الديباج تسترى وغيره من انواع الحرير يعمل بتستر والخز بسوس^(٢) .

وبعد الاسلام بقيت بلاد الجزيرة محافظة على صناعة الحياكة ومنها حياكة القטיפه^(٣) فكان مما يجلب من آمد الى بغداد الطيالبسة من الصوف والثياب الموشية والمناديل والمقارم (شراشف الفرش والكلل) وثياب الكتان والصوف ، ومن الموصل الى بغداد الستور والمسوح^(٤) . غلى أن صناعة الحياكة ما زالت في تقدم وتوسع في الموصل حتى صارت الموصل في العصر الاتابكي من اعظم مراكز انتاج النسيج في العالم ، وكانت تصدره الى اوربا وعرف بالمولسليين Moslin نسبة الى الموصل . والنسيج الموصل الى ثلاثة انواع :

النسيج الحريري :

وكان ينسج من الحرير الخالص او من الحرير والقطن ، وكانوا يتخذون له الحواشي المقصبة ويطرزونه بالكتابات المختلفة وصور الاوراق وأغصان الاشجار المختلفة ، وذلك بخيوط الذهب والفضة ، وكانت هذه المنسوجات من امن ما ترتديه نساء الملوك والامراء واعيان الناس ، ويظهر ان هذا النوع من النسيج كان في الموصل قبل العصر الاتابكي . جاء في كتاب الف ليلة ليلة « فينما هو في السوق يوما من الايام متكئا على قفصه ، اذ وقفت عليه امرأة ملتفة بازار موصل الى من حرير ، مزركش بالذهب ، وحاشيته من قصب »^(٥) .

(١) سومر (٣ : ٨٥-٨٠)

(٢) مروج الذهب (١ : ١٦)

(٣) تاريخ بغداد (٢ : ٨٠)

(٤) التبصر بالتجارة (ص : ٣٠ ، ٣٣) وأحسن التقاسيم (ص : ١٤٥)

(٥) حكاية الحمال مع البنات

وشاهد هذا النسيج في الموصل السائح الأوربي "مركو بولو" Marco-Polo عند مروره بها في القرن الثالث عشر للميلاد وذكر عنه : « ان التجار الذين يتاجرون بهذا النسيج يسمون به (موسلينى) ^(١) كما انهم كانوا يتاجرون بالتوابل والمجوهرات واللآلئ والاقمشة الحريرية المطرزة بالذهب . » وبقيت هذه الحرفة النفيسة في الموصل الى القرن الثامن للهجرة . جاء أن « يوسف بن عبدالكريم بن هيل الموصلى » نزيل اليمن عز الدين أبا الحسن قدم اليمن في حدود الثمانين أئ (٧٨٠هـ - ١٣٧٨م) وكان ينسج الحرير الموشى ^(٢) . وعز الدين أبو الفضل الحسن بن الحسين بن يوسف الموصلى النقاش (٦٤٢ - ٧١٠) وكان هذا من الفنانين الذين اشتهروا بنقش الثياب وخياطة الزركش . اتصل بخدمة الخاتون يلفسان زوجة السلطان محمود غازان بن ارغون ، وحصل له المال ، وكان شاعرا له أشعار ذوقية ^(٣) .

النسيج الصوفى :

وكان اتقانهم لهذا النوع من النسيج لا يقل عن سابقه فقد تفنن المواصل في حياكته وتنويعه . وكان في الموصل قبل العصر الاتابكي . ذكر الجاحظ : مما يجلب الى بغداد من الموصل (الستور والسوح) والسوح جمع مسح وهو عبارة عن كساء مخطط يكون في البيت ، يستتر به ويفترش ^(٤) . وفي العصر الاتابكي توسعت هذه الصناعة عما كانت عليه . ولا تزال هذه الصناعة موجودة في الموصل الى اليوم . يشتغل بها الماهرون من الحاكة ويسمون النسيج (جاجيم) وجمعه (جواجيم) . ونساز الجواجيم الموصلية بالدقة والمتانة وتناسق الالوان .

(١) نسبة الى الموصل - Moslin

1- Travels of marco Polo (Vol. 1: 60)

(٢) الدرر الكامنة (٤ : ٤٦٢) ، (٣) الاستاذ (١١٥ - ١١٦)

(٤) التبصر بالتجارة (ص : ٣٣)

النسيج القطنى :

وكانت الموصل تسج منه كميات كبيرة وهو انواع : منه الشان الموصلى وكان يتخذ منه سراويل القوم واغناؤهم عسائم يزينون بها رؤوسهم ، فاذا ما وصفوا رجلا بحسن الزرة فان على رأسه يكون اسلتي الموصلى . جاء في كتاب الف ليلة وليلة وصفه بالجرأ : « ... فرأى في مقدم السفينة رجلا يمد متعل من الذهب الاحمر وهو يعمل فيه العمود القافى ، وعلى ذلك الرجل قباء من الاطلس الاحمر ، وعلى كتفه مزركتى اصفر ، وعلى رأسه شانى موصلى ... » (١) .

ومنه النسيج الدقيق الابيض الذى يتخذون منه العلالى والياب الداخلية وكان مشهورا بدقه ومثابه . . . ومن كمال ثياب القى ان يلبس وقت الظهور ثوبا موصليا ابيض . (٢) . وأدرك آباؤنا هذا النسيج وبسوه . ومنه النسيج الملون الذى يتخذون منه الثياب المختلفة للرجال والنساء . وكانوا يتجور منه كميات كبيرة ويصدرونها شرقا وغربا . وكانت هذه المنسوجات مما يتهداه الملوك والامراء لفاسنها . ذكر أبو الفداء في حوادث سنة ٦٠٥هـ - ١٢٠٨م وفيها : توجه الملك الاشرف موسى بن الملك الناصر من دمشق راجعا الى بلاد الشرقية . ولما وصل الى حلب تلقاه صاحبها الملك الظاهر ، وانزله بالقلعة ، وبالف فى اكرامه وكان يحمل اليه كل يوم خلعة . . . وفى كل واحدة منها خمسة اتواب عابى وبغدادى وموصلى و ... » (٣) .

ومما يدلنا على كثرة اتاج النسيج فى الموصل ما نقله صاحب ميسرة الادباء عن مرآة الزمان لسط ابن الجوزى انه كان فى الموصل سنة (٦٦٠هـ - ١٢٦١م) وهو آخر عهد الدولة الايوبية : (٩٠٨) خانات للحياكة و (٧٥٠٠٠٠) جزمة (٤) فاذا كان معدل النسيج الجزمة الواحدة

(١) حكاية هرون الرشيد مع محمد بن علي الجوهري

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي (٣ - ١٤٦)

(٣) المختصر (٣ : ١١) (٤) مائة الادباء (ص : ٦٦ - ٦٨)

فى اليوم (٥) أمتار فىكون مجموع ما تنتجه الموصل اذ ذاك ٣٧٥٠٠٠
مترا مربعا فى اليوم • وهو مقدار كبير ان صحت رواية سبط ابن
الجوزى •

واذا علمنا ان معظم اهل الموصل فى ذلك العهد كانوا يشتغلون فى
النسيج ، وان الرحالة الذين زاروا الموصل بعد هذا التاريخ يذكرون تقدم
هذه الصناعة فى الموصل ويؤيدون كثرة انتاجها •

فالاب لنزا الذى عاش فى الموصل بعد سبط ابن الجوزى بخمسة
قرون يقول فى حوادث سنة (١١٧٠ هـ - ١٧٥٦ م) - الاقشة القطنية
يصدر منها كل سنة مقدار كبير الى سائر الجهات ، ويمكن القول ان البلد
يستفيد كله فائدة عظيمة من هذا الصنف التجارى ، فان فى القرى التى
يكثر فيها الماء ، يزرع القطن بكثرة ، ولكنه لا يكفى للانتاج المحلى ، ولذا
فان كثيرا من الناس يذهبون الى بلاد الكرد ويجلبونه الى الموصل والقرى ،
فتستغل النساء بقرله ، ويستغل اكثر الرجال بنسجه اشكالا مختلفة ، ويستغل
آخرون بقصره ، وغيرهم يبيعه ونقله ، فكان الجميع مشتغلون به • وان
الاتجار بهذه الانسجة والربح الذى يأتى منه للبلد عظيم جدا (١) •

ولا تزال كثير من محلات الموصل تستغل بالحيكة ، وان السرايب
الكثيرة فى البلد ، والتى كانت تستعمل للحيكة باقية الى اليوم تشهد بما
للمدينة من مزدهر العناية بهذا الشأن •

وكان النسيج بأنواعه يصدر الى سوريا ومصر غربا ، وشترية التجار
البنادقة والجنوبيون ، ويصدرونه الى اوربا ، كما كان يصدر شيئا الى
ارمينية والانضول ، وشرقا الى الهند والصين • جاء فى التعليق على رحلة ماركو بولو
عند كلامه عن الموصل : جاء فى رحلة (Ch'ang Ch'ins) الى المغرب سنة ٦١٨ هـ

١٢٢١م انه شاهد في سمرقند رجال الطبقة العامة والقيس يلقون حول رؤوسهم قطعة من (mo'snye) فلعلها تعني كلمة (moslin) فيكون المؤلفون الصينيون استعملوا هذه الكلمة مقابل استعمالنا كلمة (moslin) وبهذا يصح لنا القول ان النسيج الموصل كان يصدر الى الصين ، ويتخذون منه العمامة الثمينة^(١) . ونرى مما تقدم أن الموصل كانت في العهد الانابكي من اهم مراكز انتاج النسيج في العالم وكانت تصدر منه كميات كبيرة الى كثير من الاقطار .

وتسربت هذه الصناعة من الموصل عن طريق فارس الى الهند فأختضت به بعض المدن الهندية « كمدراس » كما أن مدينة « دكة » كانت قد نالت شهرة فائقة في صناعة النسيج القطني الموصل ، وتطريزه بخيوط الذهب والفضة ، وصيغه بالالوان الزاهية على ما كان يصنع في الموصل ، وامتاز ما كان يصنع فيها بدقته . فالقطعة التي طولها ثلاث ياردات وعرضها يارد واحد كانت تزن « ٤ الاونس » وبلغ سعرها اربعين دينارا انكليزيا . وكان النساء الاوربيات يرغبن فيه كثيرا وفضلنه على سائر الأقمشة المستوردة من الشرق^(٢)

ومن الهند تسربت هذه الصناعة الى انكلترا في القرن السابع عشر واختضت به بعض المدن الانكليزية كمستستر وغيرها^(٣)

على ان المنسوجات الموصلية أخذت بالتقلص والانحطاط حتى اقتصرن على المنسوجات القطنية والصوفية . والسبب الرئيسي هو تحول الطريق التجارية عنها بحفر قناة السويس الى البحر الاحمر فأثر كثيرا على تجارتها واقتصرت على بعض البلاد المجاورة لها وتأخر عمرانها وحضارتها . وهكذا انحطت هذه الصناعة في الموصل .

(1) Travels of marco-Polo (1:6g)

(2) Incyclopaedia Britannica (vol: XIX: P. 93)

(3) Chamber's Encyclopaedia (P. 302)

٢ - التحف المعدنية

ومن الصنائع التي تفوقت فيها الموصل في العهد الاتاكي ، هي صناعة التحف المعدنية ، وتكفيها بالذهب والفضة .

وصناعة التكفيت قديمة كانت معروفة في بلاد ما بين النهرين ، فكان السومريون ومن بعدهم الآشوريون يزبون قصورهم ومعابدهم بالرخام المكث كما عثر المقتنون على أواني كثيرة مطعمة بمادة نسيئة .

فصناعة التحف المعدنية في الموصل من الصناعات القديمة التي كانت معروفة في هذه الديار ، وتشملت في الموصل في القرنين السادس والسابع للهجرة . فإن الصناع المواصل جمعوا بين ما ورثوه من العناصر المحلية القديمة في الزخرفة والنقش ، الى ما تأثروا به من الصناعات المجاورة لها ، وابتكروا عناصر جديدة في الزخرفة والنقوش وتنوع التكفيت ، وكان المطابع الموصل هو الغالب عليها .

ان تراث كل امة لا يكون خالصا لامة دون اخرى ، بل ان الامم تقتبس بعضها من بعض ، ولكن تفوق امة في صناعتها يكون بحذقها وبراعتها لتلك الصناعة ، وذلك بما تجرى عليها من الفتن والابداع في عمليات الحذف والتصحیح والتصحيح والاضافة والتهديب ، ثم الاختراع والابتكار ، فتكون بذلك قد طبعت الفن بطابعها الخاص ، وخلقت لنفسها فنا يوافق ذوقها ، ويتشبع مع طبعها ، ويلتزم عاداتها واخلاقها ، وهذا ما فعلته مدرسة الموصل . فإن صناعة التحف المعدنية فيها تأثرت بما كان يصنع في ايران

انظر عن صنائع الموصل

تاريخ بغداد (٢ : ٨٠) ، البداية والنهاية (١٣ : ٢١٤) خطط القرطبي (٣ : ١٧٠ ، ١٧١) ، السلوك - للمقرئ (ص : ٧٥٨) دائرة المعارف الاسلامية (٨ : ٢٩٩) تراث الاسلام (٢ : ٢٧ ، ٣٢ ، ١١٧) ، الفنون الاسلامية (٨٥ - ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٤٦ ، ١٥٢) الفنون الايرانية (٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٧) التصوير لاحمد تيمور باشا (ص : ٩٨ ، ١١١ ، ١١٣)

وارمينية ، كما تأثرت بالصناعات المحلية التي كانت معروفة في هذه البلاد - قبل الاسلام وبعده - ولكن فضل صنائع الموصل على هذه الصناعة انهم لم يكونوا مقلدين فحسب ، بل انهم طبعوها بطابع خاص ، وتفننوا في تنويعها وتهذيبها ، حتى صارت مدرسة الموصل قبلة مدارس العالم في هذه الصناعة ، وكانت مصنوعاتنا من التحف المعدنية الثمينة التي يتسابق الملوك والامراء وارباب الثروة في اقتنائها ، وتزيين دورهم وموائد طعامهم وشرايهم بها ، وظلت الموصل متولية زمام هذه الصناعة مدة القرنين السادس والسابع للهجرة (الثاني عشر والثالث عشر للميلاد) ثم دهمتها المصائب والغزوات ، فنزقت شمل اهلها ، فهاجر الفنانون الى كثير من البلاد ، ونشروا معهم هذه الصناعة النفيسة .

والطرق التي كانت متبعة في انتاج التحف هي :

أ - الطريقة الاولى (طريقة الرصيع) : وهي انهم كانوا يحفرون التحلوس ويرصعونه بالفضة ثم يطلون غير المرصع منه بالقيز ، فتظهر عليه النقوش الفضية بوضوح ، وهذه الطريقة كانت منتشرة في الشمال الغربي من ايران وبلاد ارمينية وذلك في القرن الثاني عشر للميلاد .

ب - الطريقة الثانية (طريقة الضغط) : ذلك انهم كانوا ينقشون النقوش ويصورون الصور على ظواهر الاناء ، ثم يضغطون على الصصور والنقوش من الداخل ، فتظهر على سطح الاناء بارزة ، وهذه الطريقة كانت معروفة عند الساسانيين ، ثم تفوقت الموصل بها .

ج - الطريقة الثالثة : وهي انهم جمعوا بين الطريقتين فكانوا يرصعون بعض اقسام التحفة على الطريقة الاولى ويزينون بعضها الآخر بصور بارزة

اعلام المهندس (ص: ٨١) خان مرجان (ص: ٣٧ ، ٣٨) آنية الزمان (ص: ٣٣)
التاريخ الكنسي لابن العبري (١ : ٧١٩) التاريخ السرياني المجهول
(ص : ٣٤٣) مجلة سومر (٧ : ٩٢ - ٩٨)

Islam metal works In British museum

بالطريقة الثانية وصارت بعد ذلك من الطرق التي كادت ان تكون محصورة بها .

د - الطريقة الرابعة : وهي الترسيع أو التشفيت بالذهب والفضة فقط . وهذه الطريقة كانت مختصة بمدينة الموصل ، أي انها ما أبدعته فريضة الفنان الموصل ، وفاقته مدرسة الموصل غيرها في هذه الطريقة وتفننت في اخراج اجمل الاواني ، وصار ما يصنع في هذه المدرسة مثالا تحذيه بقية المدارس التي اقتنت اثرها واخذت عنها ، وفي متاحف الشرق والغرب تحف معدنية تعد من اجمل التحف التي صنعت في القرون الوسطى وعليها اسماء صانعها المبدعين من اهل الموصل .

اما الطابع الموصل فكان يجمع بين الكتابة والصور الحية الناطقة ، فكانوا يصورون حياة القصور على تحفهم المعدنية ، يبدو فيها الملك وهو يحسب الخمر يحف به خدمه وموسيقيوه ، أو هو منصرف الى الصيد او اللعب بالكرة او القتال وغير ذلك (١) .

وهكذا كانت هذه الصناعة في تقدم طورا وطورا في ركود ، حتى أوائل القرن السادس للهجرة حيث تفوقت مدينة الموصل فيها ، وصار لها مدرسة خاصة بانتاجها ، واشتهرت المدرسة الموصلية في العالم حتى نسب اليها كل ما يصنع من تحف البرنز والنحاس الاصفر المكفنة بالفضة والذهب والنحاس الاحمر .

وكانوا يجعلون هذه الصور داخل جامات تحف حول الاناء ، كما كانوا يكتبون حوله كتابات مختلفة ، وتكون الكتابة اما داخل جامات تفصل كل واحدة منها بين جامتين مصورتين ، او تكون بشكل شريط يحف بالاناء .

(١) تراث الاسلام (٢ : ٢٧ ، ٣٢) ودائرة المعارف الاسلامية

(٢ : ٢٩٩)

وكانت الكتابات بالخط الكوفي المشجر ، وكثيرا ما كان يكتب على
التحف اسم الصانع والسنة التي صنع فيها التحفة . وكانوا يصورون على
الاناء صورا فلكية كالبروج الاثني عشر والكواكب والشمس والقمر
وغيرها .

بقيت هذه الصناعة مزدهرة في الموصل مدة قرنين ولكن الصدمات
التي لاقتها هذه البلاد من التتار والمغول شتت شمل الصناع فتفرقوا فسي
البلاد .

وبعد غزو تيمورلنك الموصل سنة ٧٩٦هـ اخذت هذه الصناعة بالانحطاط
والدهور . ولم يبق وقت طويل حتى لا يجد لها ذكرا . اللهم الا صورا مسوخة
عن الاصل لا تزال نرى آثارها ، وذلك انهم يحفرون على الاواني النحاسية
زخارف وصورا غير متقنة ، ويملأون الحفر بالقيز او يتركونها خالية .
وكان السلطان بدر الدين لؤلؤ من اكثر الملوك المشجعين لهذه الصناعة
فقد كان يجزل العطايا لاصحابها .

ويروى المؤرخون ان بدر الدين لؤلؤ كان يبعث في كل سنة الى مرقه
الامام علي بن ابي طالب رضى الله عنه - قنديلا كبيرا مطعما بالفضة
بالذهب زنته الف دينار^(١) وستعدانا مطعما بالذهب والفضة وعليه اسمه .
ووصلنا من التحف المختلفة التي صنعت باسمه :

(١) طست بمكتبة الدولة في مدينة مونيخ وعليه اسم بدر الدين
لؤلؤ^(٢) .

(٢) صندوق صغير اسطوانى الشكل مزين بصور اسماك واشخاص
جانسين وحول رؤوسهم هالات وهم يمسكون الكؤوس بأيديهم^(٣) . محفوظة

(١) البداية والنهاية (١٣ : ٢١٤)

(٢) ، (٣) الفنون الاسلامية (١٥٢ ، ١٥٣)

في المتحف البريطاني •

(٣) قاعدة شمعان جميلة للغاية وتكون رخايفها من أربع جامات كبيرة تحكي صورا من حياة السلطان ، والتي عشرة جامة صغيرة أخرى بها رسوم فلكية ورموز ، ومجموعة من الرسوم الأدبية المثلثة بالحياة ، تشتمل على رجال ونساء يحضنون النبيذ من الكؤوس والاقطاح ، وعسلى آخرين يعزفون على القينات والأعواد والصنوج التي ترقص الفتيات على نغماتها • وبين الشفة البارزة التي تدور حول قاعدة الشمعدان من أعلى ومن أسفل نرى شريطين من الرخايف الجديدة بالاهتمام ، فقد صور الفنان بحذق واقتان جميع أنواع الحيوانات والطيور المائية الغريبة والعقبان وسط التفريعات النباتية ، ولا يوجد على تلك التحفة ما يدل على اسم صاحبها أو المكان الذي صنعت به ، على أنه يوجد بها ستة عشر جامة صغيرة مستديرة بها رسوم تمثل القمر ، وهي عبارة عن شكل رجل جالس وبيده هلال يضعه حول وجهه ، ويحتمل أن يكون هذا الرسم رمكا أو شعارا لأحد أفراد أسرة زنكي ، إذ رأيناه أخيرا على بضع قطع من النقود التي ترجع إلى عصر السلطان بدر الدين لؤلؤ • كما رأينا على باب سنجار بالموصل ، وأذن فمن المحتمل أن تكون قاعدة الشمعدان الذي يشير اسمه « بدر » إلى ما على التحفة من رسوم تمثل القمر • وفي كثير من التحف المعدنية المصنوعة في سوريا وإيران ومصر نرى أن ذلك الشخص يمثل القمر فعلا (١) •

ومن الصناع الذين وصلنا أسماؤهم وتحفهم :

- (١) داود بن سلامة - وله شمعان في متحف باريس صنعه سنة ٦٤٦ هـ (١٢٤٨ م) وهو جميل جدا وعليه نقوش وصور مسيحية •
- (٢) محمد بن الزين - صنع حوض الملك لويس وهو من التحف المعدودة في هذا الباب وقد كتب اسمه في ثلاثة مواضع على الأناء (محمد بن الزين غفر الله له) •

والأناء مكنت بالفضة والذهب ويعرف باسم معبدانة سان لويس ،

(١) الفنون الإسلامية (ص : ١٥٢ ، ١٥٣)

وقوام زخرفته في سطحه الداخلي والخارجي مناظر مختلفة للقتال والبلاط
والحياة اليومية ، موضوعة في اشربة وجامات متعددة الاشكال ، وموزعة
في تراصف وتمائل وانزان ، وتجسها اشربة ضيقة تضم رسوم حيوانات
وهذه الرسوم جميعا على مهاد من الفروع النباتية والورقات الدقيقة .

(٣) أبو الفرج عيسى - وله مزولة صغيرة صنعها سنة ٥٥٤ هـ
(١١٥٩ م) للسلك نور الدين وهي محفوظة في متحف المكتبة الوطنية
بباريس .

(٤) محمد بن الحسن الموصلی - وله بدار الأناز المصرية منارة
صغر (نحاس) محلاة بالذهب والفضة وعليها كتابات بالقلم الكوفي وصور
آدميين وصنوف من الحيوانات صنعها سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) وكتب
عليها اسمه .

(٥) شجاع بن منعة - وله تحفة فريدة وهي ابريق من النحاس
الاصفر محفوظ بالمتحف البريطاني صنع في شهر رجب سنة (٦٢٩ هـ -
١٢٣٢ م) . ويثل هذا الابريق غاية ما أصابته مدرسة الموصل من تقدم .
وهو منقش كله باشكال هندسية مكنت بالفضة - وجسم الابريق وعنقه
مضلعان لهما عشرة اوجه وفيهما مناطق افقية عديدة ومساحات محجوزة
بمختلفة الاشكال ، وسطحه مزدهج كله بالزخارف الأدمية والهندسية والنباتية
والكتابية ، وعلى مقربة من القاعدة يرى الناظر الى الاناء ذبلايه رسوم عقيد
كثيرة تنتهي باقراط على شكل ازرار وبهذا الذيل تكمل زخرفة الاناء .
وعلى سطح الاجزاء الدقيقة التي كفت بالفضة ، رسمت الصور بدقة بالغة ،
فظهرت عليها تفاصيل عدة من تقاطيع وجه الى شكل كف الى طيات اردية
منقوشة كلها بعناية فائقة وحول عنق الابريق ترى كتابة هي اسم صانعه
وتاريخ صنعها .

(٦) محمود بن مسنقر البغدادي - وله منقشة من النحاس المكنت
بالفضة والذهب وعليها اسم صانعه ومؤرخة سنة ٦٨٠ هـ (١٢٨١ م) وهذه
المنقشة تحفة فنية جميلة للغاية ، وقد لا تقل عن الابريق السابق الذكر

في ابداع الزخرفة والصناعة • والزخرفة الرئيسية التي ترى على غطاء المقلمة هي الابراج الاتني عشر ، مرسومة في ثلاث جامات ، كل جامة منها تحتوي على اربعة ابراج ، وفي داخل الغطاء زخرفة مؤلفة من صيف من الدوائر ، فيها بعض مصطلحات فلكية ، فالدائرة الوسطى تمثل شمسا على شكل وجه آدمي ، وتنبعث منها الاشعة في كل ناحية ، وفي الدوائر التي تحف بها ترى اشكالا تمثل القمر وعطارد مسكا بقلم وفرطاس ، والزهرة تحمل عودا ، ثم المريخ قابضا على سيف ورأسه مقطوع ، ثم المشتري جالسا جلسة قاض ، ثم زحل ويده صولجان وعصا ، وكل هذه الرسوم على ارضية خضراء بالزخرفة ويحيط بها اشربة (كنادات) من رسوم متداخلة ، وهذه المقلمة مثال لكثير من قطع تشبهها • كانت فيها قديما عيون لوضع المداد والرمل وتجاويف (نقر) مستطيلة لوضع اقلام البوص (القصب) مرتبة • (٧) وفي متحف الآثار العربية - خان مرجان - بغداد مجبرة جميلة من صنع الموصل طولها ٣٠ سم وعرضها ٧ ١/٢ سم وارتفاعها ٦ ١/٢ سم وهي من النحاس المكفت بالفضة خالية من التصاوير • وقد استعاض صانعها عنها بكتابة آيات عليها تناسب عمل المجبرة • ففي داخل الغطاء :
إذا فتحت دواة العز والنعم فأجعل مدادك من جود ومن كرم
وعلى الوجه :

نصرف ووقع بي ي فني امان من حيل الزمان
فني ذي الدواة سرور الصديق وكيد العدو ونيل الاماني
وفي الدائرة - المقر العالي المولوي الاميري المالكى الملكى •

(٨) وفي المتحف البريطاني جدول للحساب الفلكي مطعم بالفضة والذهب فيه قطعة فنية رائعة من النحاس الاصغر المطعم قد نقش عليها اشارات فلكية وهي غنية بالكتابات في داخلها وظاهرها • ومما هو مكتوب عليها الآيات التالية :

انا ذو البلاغة والمحدث صامتا وينطقى الترغيب والترهيب
يخفى اللبيب ضميره فايينه فكأن اعضائي خلقن قلوب

انا كاشف الأسرار في بدائع من حكمة وغرائب وغيوب
لكن بسطت اديم خدى صاغرا وجعلته عوض التراب ينوب

صنعها محمد بن ختلج الموصلى فى سنة ٦٣٩ هـ للملك بدر الدين
لولؤ - صاحب الموصل -

وتسربت هذه الصناعة من الموصل الى البلاد المجاورة • فهاجر قسم
من الصناع الى ايران ، ونشروا صناعتهم فيها •

وبعد موجة التشر هاجر قسم كبير منهم الى سورية ، ومنها الى مصر
واليمن • ولاقى الصناع المواصلة اقبالا حسنا فى سورية ومصر ، فنشروا
صناعتهم فيها ، وكان اقبال المماليك - فى مصر - عليها كبيرا • وخاصة الملك
قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩ هـ) فانه من اكثر ملوك مصر تشجعا لها • فاستقدم
الصناع المختصين بها ، ورغبهم واجزل لهم العطايا ، فانتجوا له تحفا كثيرة
متنوعة ، كان يزين بها قصره ، ثم أعقبه بعد ذلك خلفاؤه • فتأسست محلات
فى القاهرة يعمل بها صناع مواصلة • وانتجوا تحفا عليها اسماء صانعيها
المواصلة ، واسماء الملوك الذين عملت لهم ، كان ذلك فى القرنين الرابع
عشر والخامس عشر للميلاد • وسار فى مصر سوق خاص لصناعة التطبيق
فى النحاس والخشب عرفت بسوق « الكفتين » وانتجوا مقدارا كبيرا من
التحف^(١) • وقد نكلم « المقرئى » المؤرخ المصرى المشهور عنها فى كتابه
المواعظ والاعتبار فقال « سوق الكفتين ويشمل على عدة حوائث لعمل
الكفت : وهو ما تعلم به اوانى النحاس من الذهب والفضة ، وكان لهذا
الصنف بديار مصر رواج عظيم ، وللناس فى النحاس المكفت رغبة عظيمة
أدركنا من ذلك شيئا لا يبلغ وصفه واحصف لكثرة ، فلا تسكاد تخلو دار
بالقاهرة ومصر من عدة قطع نحاس مكفتة • »

وان المماليك لم يرغبوا بالصور اتنى كان ينقشها الفنانون المواصلة ،
فانهم استبدلوها بكتابات مختلفة ، فكانوا يكتبون على التحف أسماء السلفطان

(١) خطط المقرئى (٣ : ١٧٠ ، ١٧١) والسلوك (٧٥٨)

والقابه ، ويتفننون بطريقة كتابتها بخطوط مختلفة •

ويرى بعضهم ان هذه الصناعة انتشرت من مصر الى مدن البحر الابيض المتوسط في اوردية وغيرها ، فكان يعمل بها حناع من الموصل منهم محمود الكردي الذي كان يشتغل في البندقية •

وكانوا يصنعون الهاونات من البرونز الاصفر ، ويجعلون لها قاعدة أوسع من الهاون • ويحيط بها عنق تكون واسعة أيضا ، ويربون أعلى العنق برؤوس تماثيل لاسود او كباش او غير ذلك ، ويصورون حول الهاون مسورا مختلفة لحيوانات ونباتات ، ويكتبون حولها كتابات بخطوط مختلفة •

وفي متحف الموصل هاون عثر عليه في قرية الشاروق بسنجار واهدار الى المتحف السيد اسماعيل حقي رسول^(١) • وهو هاون جميل جدا وبحالة مرضية • حول عنقه اربعة رؤوس لاسود ، وفي وسطه حلقة ربما كان بها زنجيل شد بطرفه الثاني المدقة • والهاون غني بزخارفه وكتاباته •

وفي متحف أمستردام هاون آخر من صنع الموصل مكنت بالفضة والنحاس الاحمر وهو من صناعة القرن الثالث عشر للميلاد •

وفي دار الآثار العربية هاون من النحاس المطعم ، وفيها أربعة مقابض على شكل رؤوس حيوانات ، ومزخرف برسوم نباتية محفورة ، وشریط من حروف كوفية ونسخة مكررة • وهو قريب الشبه بالهاون الموجود في متحف الموصل

وكانوا يصنعون من البرونز او الحديد مدقات تثبت فوق الابواب

(١) كان في سنة ١٩٥٢ قائمقام قضاء سنجان وأما اليوم فهو

متصرف لواء الكوت

وتكون على أشكال مختلفة فمنها ما يكون على شكل رأس كبش أو رأس أسد أو طير • ومنها ما تكون على شكل زخارف هندسية ، أو نباتية متشابكة •

٣ - الزخارف الجبسية

ونزح الى الموصل قسم من أهل تكريت في القرن السادس للهجرة ، وانخذوا المدينة وما يجاورها من القرى المسيحية دار اقامة لهم ^(١) • وكان هؤلاء التكراتة يتقنون صناعة النقش على الجبس فنشروها في الموصل وما يجاورها من القرى والقصب ، وصارت من عناصر الزخرفة الرئيسية في المباني ، زينوا بها داخل البنايات وواجهات الاوابين والدهاليز وحول الشايك والابواب ، وخلفوا ألواحاً دقيقة تشهد بما كان لهم من التفوق • وهذه الزخارف كانت مزجاً من الزخارف العربية المعروفة بسمراء ، والزخارف الجوانية والنباتية التي كان قد نشرها السلاجقة في الموصل ، فظهر في الزخارف الجبسية عناصر طريفة من الزخارف فيها صور أشخاص وطيور وحوانات ، ونلاحظ صور الطيور والحوانات تتداخل في بعضها مع الزخارف النباتية تداخلاً تاماً ، وتكون بصورة متناظرة ، بحيث تكون مكسلة للزخارف النباتية والهندسية •

وخير مثال على هذا هو محراب جامع مجاهد الدين قيسار ، فإن الزخارف الجبسية التي تعلو المحراب مؤلفة من زخارف نباتية يتخللها صور حيوانات وطيور كالغزال والأسد والحمام ، وهي متداخلة تداخلاً كلياً مع غيرها من الزخارف بصورة دقيقة ، والزخارف كلها بارزة ويكاد يكون ارتفاعها في مستوى واحد •

ونجد في بعض الكنائس والاديرة تماثيل من الجبس للقدسين الذين بنيت الكنائس تخليداً لذكراهم ، ففي دير الحب (دير مار بهنام) شمال من الجبس لمار بهنام في داخل الكنيسة ، يقابله على الجدار الثاني شمال آخر من الجبس لاخته سارا • والتماثلان من صناعة التكراتة الذين نرحبوا

(١) انظر (ص : ٤٥)

الى قرية قريه قوش في القرن السادس للهجرة ، وهما من أجمل ما وصلنا
من التماثيل الجبسية ، ومما يؤسف له ان ايدي الجهال عبث بهما فسوّهت
كثيرا من معالمهما .

وفي الرواق الشمالي من بقايا قصر بدران الدين لؤلؤ وعلى ارتفاع أربعة أمتار
أفريز داخله صنوبر جبسية وكل صورة داخل دائرة صغيرة قطرها ٥ سم وهي تحيط
بالرواق . وربما كانت هذه الصور تمثل أزياء الجنود الذين كانوا في العهد الأتابكي ،
وقد زال القسم الكبير منها ، ولم يبق منها سوى عدد قليل وهي بحالة
غير مرضية . ويظهر أن الرواق المذكور كان غنيا بالزخارف الجبسية
فلاحظ فيه بقايا زخارف كتابية وهندسية وهي متداخلة كانت تحيط بالرواق
المذكور تحت الصور .

وكان فوق محراب الجامع النوري - قبل تجديده - قطعة زخرف من الجبس
جسيمة للغاية تتداخل فيها الكتابات والزخارف بصورة دقيقة جدا ويظهر
فيها أشكال فنية دقيقة . وهي من القطع الفنية الرائعة في هذا الباب . وقد
أحسن مديرية الآثار القديمة العامة بنقلها الى بغداد وحفظها في القصر
العباسي .

وفي مباني الموصل زخارف كثيرة متنوعة من الجبس وهي مختلفة في
أصولها وحجومها . وأحسن ما بقي منها سلالا ماهو موجود في دين الجب
ومقام ابن الحسن ومقام يحيى بن القسم ومقام الست زينب في سسنجار
وغیرها .

٤ - الزخارف الخشبية

أما الزخارف الخشبية فإن المواصلة طبقوا الصناديق الخشبية بالصدف
وباختشاب ذات ألوان مغايرة للخشب المطلق . ولم يصلنا الا القليل من
آثار هذه الصناعة . أما الحشوات الخشبية فنلاحظ على بعضها زخارف
غائرة وبعضها نافرة ، تحيط باللوح ، ويكون داخل اللوح زخارف دقيقة
للغاية ، كما في الباب الخشبي لجامع النبي جرجيس .

ونجد على صناديق الأضرحة كتابات كبيرة بالخط الكوفي المشجر وتكون الكتابة نافرة على مهاد مورقة مغطاة بتقريعات نباتية * ولم يزل في الموصل نساخ جميلة وبحالة جيدة من هذا النوع ، مثل الصندوق الذي فوق مشهد ابن الحسن والصندوق الذي فوق مشهد يحيى بن القاسم .

ووصلنا نساخ من الألواح الهندسية التي كانت تزين الأبواب الخشبية والمنابر وعليها كتابات تشير الى سنة عملها ، وأسم الصانع الذي قام في العمل ، كالباب الخشبي الذي كان في حضرة الامام الباهر ، والباب الذي كان في عسلي جامع العمادية ، والمنبر الذي كان في نفس المصلى - وهي كلها محفوظة في القصر العباسي بغداد .

وفي مدخل حضرة ابن الحسن باب من الخشب مغطى بصنائج من النحاس مزينة بأشرطة حديدية موضوعة بصورة أشكال هندسية متاظرة وعلى الباب مكتوب اسم صانعه (عسل عمر بن الحصري آل محمد) والسنة التي صنع فيها سنة ٦٤٠ هـ = (١٢٤٢ م) .

وفوق الباب المذكور لوح من خشب التوت مزين بتقريعات دقيقة، ولكن قد تلف قسم لا يستهان به من هذه الزخارف .

٥ - الرخام

أما الرخام فقد تنوعت زخارفه، ووصلنا قسم كبير من الآثار المهمة التي أتجها الفنانون ، فكانوا يطبقون الرخام الأزرق بالرخام الأبيض أو بالصدف ويكون ذلك أما بالكتابة بأحرف كبيرة ، أو تكون على شكل ألواح هندسية جميلة ، وزينوا بها المحاريب والأبواب والجدران التي تحيط بأسفل الغرف . ومن أجمل ما وصلنا من الرخام المطعم هو محراب بنات الحسن ، فانه قطعة قبة خالدة يدلنا على مدى ما وصلت اليه صناعة زخرفة الرخام بالموصل . وفي مقامي يحيى بن القاسم والامام عون الدين ~~بن الحسن~~ - ابن الحسن - كتابات بأحرف كبيرة تحيط بداخل الحضرة ، وهي تكون على ارتفاع متر واحد، فيها نسب كل منهما وألقاب السلطان بدر الدين لؤلؤ ، الذي قام بتشيدهما .

(١) مجموع الكتابات (ص : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ، ١٤٣)

وقبر الامام على الهادى لا يقل فى الاهمية عن محراب بنات الحسن ، فانه من المرمر الازرق الجليل ، مطعم بالمرمر الابيض وعليه كتابات مختلفة وأقاريز عليها نقوش واشكال هندسية مختلفة .

ويظهر لنا مما وقفنا عليه من البنايات الاتاكية ان أكثرها كان لا يخلو من مرمر مطعم بالصندف او بالمرمر الابيض ، فقد وجدنا الواحا كثيرة فى بقايا البنايات الاتاكية بعضها مطبق بالزخارف الهندسية . وبعض عليها كتابات . وكلها جسيمة للغاية . كما ان الابهة الاتاكية التى لم تزل باقية الى اليوم ، لا تخلو من رخام مطعم بهذه الطريقة .

أما الابواب والشبابيك والمحاريب الرخامية فكانوا يزینونها بزخارف هندسية ونباتية وكتابات مختلفة وتكون هذه محفورة بصورة نافرة وغائرة . وخير تحفة فنية تسجل مدى ما وصل اليه من حفر الرخام هو المحراب الذى كان فى الجامع النورى ، فان زخارفه نافرة متشابكة . قد حفر ما حولها ، وقد تقفن الصانع بجعل الزخارف بعضها أكثر غورا من التى عليها ، وهكذا حتى يصل الحفر الى عمق ٢ سم فتؤلف هذه الزخارف المحفورة بعضها فوق بعض قطعة فنية رائعة . ونجد آثار تقليد هذا المحراب واضحا فى المحاريب التى بنيت بعده . ولكن الفنانين لم يتمكنوا ان يحاكيوا هذا المحراب تماما ، ففى ديرايلب فى صدر الاروقة التى أمام الكنيسة ما يشبه المحراب وقد حاول الفنان ان يقلد ما فى محراب الجامع النورى من زخارف ، ولكنه لم يتمكن من تقليدها فهو دونه فى الفن (١) .

ومحرايا ابن الحسن ويحيى بن القاسم هما أيضا صنعا بعد محراب الجامع النورى . وتظهر عليهما آثار تقليد زخارفه . وهما يمتازان بوجود أزهار بارزة فوق المحراب .

وكانوا يكتبون على الرخام بأحرف نافرة يحفرون ما حولها فتظهر الكلمات . وتكون مهاد الكتابة أما مورقة أو خالية من التوريق . وكثيرا ما كانوا يجعلون الكتابات حول الابواب والمحاريب والاروقة والشبابيك .

(١) انظر (ص : ١٤) من الكتاب

كما كان حول محراب الجامع النوري .

وكانوا يجعلون حول الابواب الرخامية جامات كبيرة داخل كل جامعة زخارف هندية دقيقة . أما في الكنائس والاديرة فكانوا يجعلون داخل كل جامعة منها (صورة قدس) كما في دير الحب .

ونجد في الزخارف الحجرية صور اسود وحيوانات مفرسة ضخمة كالجاموس والافاعي والطاووس والحمام وحيوانات خرافية . وهي كثيرة ما تكون فوق الابواب كما هو موجود فوق باب الموصل في العمادية . وفي دير الحب . وكنيسة مار اخوذ ايمي . وكانوا يجعلون فوق الابواب الكبيرة وفي بعض الكنائس صورة انسان يلعن الشين بالرمح . وهي من الصور التي كانت منتشرة في ذلك العهد ، كما نجد فوق بعض الابواب صورة تعابين تحيطان بالباب وينتهي رأسها الى اسان متربع فوق أعلى الباب ، كما هو فوق باب الخان قرب سنجار . ويظهر لنا أن السلاجقة كانوا لا يتورعون من حفر الصور الرخامية حتى على أبواب بعض الأماكن المقدسة للمسلمين ، كما هو موجود فوق باب حضرة الامام الباهر في الموصل ، حيث يحيط بالباب حيطان تتشابكان في اعلى الباب . فالسلاجقة هم الذين كانوا يرغبون بنشر الصور فعممها الصناع على التحف والازياء والنقود والمباني وغيرها . وصارت على عهدهم من أسس الزخرفة في الموصل .

٦ - الخزف

وأشتهرت الموصل بعمل الخزف المشهور بالبريوتين . وهو الخزف الذي يتخذ منه الخوازيق والحباب والزمرميات والجرار . واعتنى الصناع بزخرفته بأشكال هندية جميلة ، كما كانوا يضعون حول الاناء صور حيوانات وطيور مختلفة كالاسد والكبش والطاووس والحمام ، ونجد على بعضها حيوانات خرافية كبيرة ، وهذه الصور تكون قريبا من فوهة الاناء متقاربة الى بعضها ، كما كانت نوضع على ظاهر الاناء بعد صنعه وتكون بارزة أيضا . ولاحظنا في بعض القطع التي عثر عليها في مدينة الموصل أنهم كانوا يصورون على الاواني الخزفية النصف الاعلى لامرأة ويكون وجهها كاملا .

وعلى صدرها ورأسها حلى مختلفة • والملاحظ مثل هذه الصور على النقود
الانابكية ، وكانت الصور المذكورة تثبت على الآلة بعد الانتهاء من صنعها •
وفي متحف الموصل حجاب ماء مختلفة أحدها عثر عليه في قرية المحلبة (١)
وهو دقيق الصنع ، يحيط بأعلاذ حيوانات خرافية كبيرة • وتستمر الزخارف
الى ظاهر فوحة الحب • ويحيط بالحب زخارف مخومة على شكل دائرة
فهي شبه الأزرار وتكون متقاربة بعضها الى بعض • ونسبه في مظهرها
خلية النحل •

وفي المتحف أيضاً حجاب غير هذا أهدها السيد اسماعيل حقي رسول
قائمقام قضاء سنجار عثر عليها في سنجار وهي غنية بالصور البارزة التي
تكون في الثلث الأعلى من الحب وتنتهي الى الفوحة • والصور كما قدمنا
هي رأس أسد أو كلب أو طاووس كامل • اما ما تبقى من الحب فهو خال
من النقوش •

وكانوا يكتبون على ظاهر الزمزمات والجوار شعارات تناسب الآباء وتكون
الكتابة نافذة على شكل زخرف • كما ان بعض الصناع كان يكتب اسمه على
الآباء • فقد عثرنا على قطعة خرف هي جزء من حب أو زمزمة مكتوب عليها
(عبد النعم) وهي محفوظة في متحف الموصل •

٧ - الآجر المزجج

وكان يصنع في الموصل الآجر المزجج ويكون لونه أزرق فاتحاً
يزينون به خارج القباب ، ويظهران القبتين الخارجيتين للإمام يحيى بن القاسم
والإمام عون الدين كاتبا مبنيين من هذا الآجر • وان تأثير العوامل الطبيعية
وترميم القبتين عدة مرات أسقط الكثير منها • ولم نزل نرى عدداً لا يستهان
به من هذه القطع الآجرية بين الانقاض وبعضها أعيد بناؤها في القبتين
المذكورتين •

(١) المحلبة : قرية كبيرة تقع غربي الموصل على بعد ٢٥ كيلومتراً عنها •
ذكر ياقوت في معجم البلدان (٧ : ٣٩٦) انها قسبة كورة الفرج من تلغفر
وحصنها املاك لاصلها •

وكأنوا يتخذون صوراً بثة لحيوانات مختلفة في هذا النوع من الأجر •
ففي دير الجب لوحة جميلة سبنة في الرواق الذي أمام الكنيسة • فيه صور
غزلان بارزة ملونة باللون الأبيض تحيط بها أرضية زرقاء وهي من الأجر
المرجج •

ونعتقد ان هذه الصناعة وصلت الموصل مع الكارثة الذين عاجروا اليها في
القرن السادس للهجرة^(١) فالصناعة المذكورة ليست موضعية ولو كانت
كذلك لوجدنا لها آثاراً كثيرة على مختلف العمارات كالثائر والقبب والمحاريب
وتزيين الغرف وغير ذلك •

والذي نراه ان سهولة النحت في المرمر، ومهارة الصناع المواصله فيه ،
وتوفر الرخام (المرمر) في الموصل ، جعل الصناع يميلون الى صناعة الرخام
أكثر من صناعة الأجر • لأن مادة الرخام تغني عنها ، كما ان صناعة تطبيق
الرخام وإظهاره بأشكال متنوعة حسب رغبة الناس ، ومطابقتها للعمل أغناهم
عن استعمال الأجر الذي هو أكثر تعقيداً في العمل • وتطلب نفقات أكثر •
وعلى هذا فان صناعة الأجر لم يقدروا لها الاستمرار في الموصل •

٨ - تزويق الكتب

وترك الخطاطون نقائس المخطوطات السنية، لم يزل قسم منها في خزائن
الكتب بالموصل ، وهي تمتاز بجودة الخط والتزويق ، وفي بعضها صور
وزخارف متنوعة ذات ألوان زاهية متناسقة •

كما نجد عدداً من الكتب المجلدة بجلود مختلفة الألوان والأنواع، وعليها
الكتابات الجميلة والقوش والزخارف المتنوعة ، وكلها تدل على مدى إتقان
هذه الصناعة في أم الربيعين •

وفي كتاب مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلي الموصل بحث مستفيض
عن خزائن الكتب في الموصل والتي لم تزل باقية الى اليوم • وما فيها من
نقائس المخطوطات التي تمتاز بجمال خطها وتجليدها وزخارفها •

(١) انظر ص : ٦٨ ، ٨٢ من هذا الكتاب •

ونجد في المدارس والجوامع مصاحف هي آية في الفن والابداع والتزييق، وهي كثيرة في الموصل .

على ان بعض المصاحف والكتب الثمينة كانت تطعم أغلفتها بالذهب والنقشة والالوان الزاهية . وقد كان في بيت قاضي الموصل سنة ٦٦٠ هـ مصحف شريف بخط الخليفة عثمان بن عفان (رض) وقد طبقوا جلده بالذهب وزوى بعناية فائقة . وفي سنة ٦٦٠ فتح التتر مدينة الموصل واتهبوا خزانها ، واتهب المصحف المذكور ، وأخذ ما كان طبق على جلده من الذهب والقي هو ، فلف من أوله ثمانية قوائم . ثم نقل الى دمشق ولف من وسطه قدر أربع قوائم بحريق حدث سنة ٧٢٠ هـ فأكمل ما نقص منه . (١)

وهكذا فان الحروب والمصائب التي حلت بالموصل ألفت الكثير من كنوزها الخطية . ومع هذا لم يزل في خزانها ما يشهد ببراعة أهلها في الكتابة وحسن التجليد والتزييق . ومن ذلك أنجيل كان في كنيسة فرد فوش حمله السيد جرجس دلال مطران الموصل الى رومة وأهداه الى البابا بيوس الحادي عشر وحفظ في مكتبة الفاتيكان .

كتب الانجيل المذكور الراهب مبارك بن داود البرطلي بحروف سطر جيكية مستبدعة وزينه بأربع وخمسين صورة ملونة في غاية التألق والاتقان . وأفتح فصول الانجيل بحروف مذهبة . وانتهى منه سنة ١٢٢٠م وأوقفه في دير مار متى (٢) .

وفي المكتبة البطريركية الكلدانية بالموصل مخطوطات منسوخة على ورق اسمانيخولي من صناعة القرن الحادي عشر للميلاد ترسم فيها الآيات الانجيلية بمحلول الذهب . (٣)

(١) المخطوطات المصورة (ص : ٢ ، ٣)

(٢) ، (٣) عصر السريان الذهبي ص (٨٦ - ٩١)

٩ - مطاحن الحبوب

وكانوا يستعملون ثلاثة أنواع من المطاحن في طحن الحبوب وهي :

١ - العروب

وأحدھا عربية • ونجس عربات وعرب • وجسمت الأخيرة على عروب • وهي ^(١) السفينة تعمل فيها رجلي يدبرها شدة جري الماء • فكانت تقوم على سفن متجاورة يتخللها مضائق • ينحس فيها ماء النهر • قد اصب فيها دواليب ذات عنفات ^(٢) تدور بتأثير الماء الشديد الجرية • ونقوم هذه الدواليب بتدوير دواليب أخرى متصلة بالضرائر - أي الحجار الطواحين - •

كانت العروب معروفة في بلاد الجزيرة خاصة في بلدة الموصل والحديثة وتكريت • ومن ذكرها من الرحالة هو ابن حوقل فقال عنها : « وكان بالموصل في وسط دجلة مطاحن تعرف بالعروب يقال نظيرها في كثير من الارض • لأنها قائمة في وسط ماء شديد الجرية موقفة بالسلاسل الحديدية • في كل عربة منها اربعة احجار • ويطحن كل حجر في اليوم والميلة خمسين وقرا ^(٣) • وهذه العروب من الحنطب والحديد • وربما دخل فيها شيء من الساج • »

كانت العروب مورد رزق طيب لأهل البلاد التي تكون فيها • فقد ذكر ابن حوقل أن ارتفاعها بمدينة الحديثة نحو خمسين ألف دينار وهو مبلغ كبير •

وبقيت العروب معروفة بالموصل وينفع بها السكان ارتفاعا كبيرا في العصر الانابكي • وتطرق القزويني اليها فقال : « وأهل الموصل انفعوا بدجلة ارتفاعا كثيرا : مثل شق القناة منها ونصب النواجز على الماء • يدبرها الماء نفسه • ونصب العربات وهي الطواحين التي يدبرها الماء في وسط

(١) الرسالة (٨ : ٨٩٤ - ٨٩٦ -) العروب في العراق ليخائيل

عواد

(٢) جمع عنفة : وهي اجنحة دواليب العربية

(٣) الوقر - الحمل الثقيل •

دجلة في سفينة وتقل من موضع الى موضع * *
وكانت العروب تقع تحت المذير الاعلى وهو موقع باشطابية ففى
الوقت الحاضر *

٢ - الرحى

وهى ظلوخة تدور بتأثير تيار الماء وأكثر ما تكون فى القرى
فيستفيدون من جداول العيون ، فيحصر ماؤها فى ساقية ويوجهونه الى
خفرة واسعة خارج الرحى يسمونها بشر الرحى * ويصب ماء البشر على
دولاب خشبي دونه فيدوره ، ويدور هذا حجر الرحى التى تكون فوقه *
وهكذا تدور الرحى فتطحن الحبوب *

وقد يكون فى الرحى حجر أو حجران أو ثلاث للطحن * وهذا
يتوقف على مقدار ماء العين التى تكون فى القرية *

وكانوا يستفيدون من عباد النهر فيأخذون منه جدولا ويسلطونسه
على رحي يبنونها على ساحل النهر * وان شاطئ دجلة المجاور للمدرسة
زين الدين لم يزل يسمى (شط الرحى) لوجود رحي كانت عليه قبل
قرن من الزمن *

ويذكر سبط ابن الجوزي انه كان فى الموصل نساك يستنون رحي
على الماء - اى على دجلة *

واما الضرائر - احجار الطواحين - فهي غير موجودة فى الموصل *
فكانوا يستوردونها من جزيرة ابن عمر * تنقل اليها بواسطة الاكلاك *

٣ - المدارات

وهى رحي يديرها بغل او كدش وتكون داخل البيوت فى المدينة *
وكانوا يطحنون بها الحبوب وتسمى (مدارا) - من ادوران - ويجمعونها
على مدارات *

ويذكر سبط ابن الجوزي انه كان فى الموصل سنة ٦٦٠ هـ (١٢٠٢)
مدارا وهو عدد ليس بالكبير لان مقدار ما تطحنه الحجرة فى المدار لا
يتجاوز الطغارين فى اليوم والميلة *

وأذكر كنا هذه المدارات وهي كثيرة في الموصل ولم تطل مجلة
من مدارات متعددة ، حتى اننا كنا نجد عدة مدارات في زقاق واحد ،
وبعض الأزقة كانت تسمى (زقاق المدغ) اي زقاق المدارات - جمع
مدار - في العامية الموصلية .
وقد قضت عليها الطواحين الحديدية التي تدور بواسطة النفط
والتي تطفح اضعاف ما تطفحه المدارات في اليوم .

١٠ - معاصر الزيتون

المعصرة : حجر مستدير الشكل يدور على آخر مثله فتعصر ما
يلقى بينهما من الحبوب الدهية ، ويسيل الزيت الى حوض يكون في جانب
المعصرة ، وكانت المعاصر في الموصل كثيرة ، ولا يزال بعض الأزقة يسمى
« شارع المعصرة » او « شارع المعاصر » لكثرة المعاصر التي كانت فيه .
وكانت الحبوب التي تعصر فيها هي السسم وحب القطن والزيتون ،
فيستخرجون منها الزيت ويستعمل هذا للادام والاضاءة حيث تصنع منه
الشموع ويستعمل للوقود ايضا .
وهناك صنائع اخرى : كصناعة الشموع ، وصنع الثياب وطبعها
وقصر الاقمشة ودقها ، والحداذة والتجارة والبناء وغيرها .



قطعة من الآجر المزجج ، فيها ثلاث صور لغزلان بارزة
- وهي في دير الحب -

الجيش والبريد

الجيش

أول من أهتم بالجيش الآتابكية هو عماد الدين زنكي مؤسس الدولة، فكسان يعني ثيابهم وطعامهم وعددهم وتدريبهم ، وكانت جيوشه من أنشط جيوش الشرق بتركاتها وعددها . وقبلما انكسر له جيش - كما مر بنا -

ثم خلفه ابنه سيف الدين غازي ، وكان قد تربى في بلاط السلطان محمد السلجوقي ، فطاعها على رسوم الملك ، فقلد السلاطين في أظهر عقلة ملكه ، وقوة جيشه ، فأمر الجيش بأن يظهروا بظهر لائق في سفرهم وحضرهم ، فكانت ثياب ابدانهم يلبسون الاقية^(١) السرية ، والثكلاوات^(٢) فوقها . ثم القباء الاسلامي فوق ذلك . وأمرهم ان يشدوا عليه السنف من جهة اليسار ، والصولي والكرلك^(٣) من جهة اليمين . والديابس تحت ركبهم ، وان يكون هذا لباسهم في السفر والحضر لكي يكون لهم وقع في أعين الناس^(٤) . وكان الجندي يحمل وقت الحرب - فوق هذه العدد - ما يحتاجه في سفره من الادوات : وهي سكين ودرفش ومطوقة ومسلة وخيوط وستر^(٥) وغير ذلك^(٦) . فكانت جيوش الموصل من أقوى الجيوش التي دافعت عن بلاد الشرق وصدت هجمات الصليبيين وارجعتهم الى سواحل البحر الابيض المتوسط ، بعد ان كانوا قد توغلوا في سوريا ووصلوا اسوار حلب ودمشق . وكان في الجيوش الآتابكية فصائل مدربة على هذه الاسوار - وهم

(١) القباء : ثوب يلبس فوق الثياب . وقيل يلبس فوق الثياب ويتمنطق به والجمع اقية .

(٢) غطاء يوضع فوق الرأس

(٣) الصولي : جراب او كيس من الجلد يوضع على الخاتم الايمن من الحياصة توضع به حاجات السفر من الزاد ، والكرلك : غارسي الاصل معناها حنجر او سكين .

(٤) صبح الاعشى (٤ : ٤٠)

(٥) درفش = العلم . المسلة = الابرة . دشتوك = مشمار

(٦) الباهر (ص : ٢٤٢)

الحجاريون أو النقاويون - معاونهم في مهمتهم هذه فصائل أخرى - وهم النفاطون الذين يحسنون استعمال رمي النار العربية وكانوا من أشد ما يخشاهم الصليبيون .

ولما حاصر السلطان صلاح الدين الأيوبي مدينة القدس سنة ٥٨٤ هـ لستردها من الصليبيين ، ووافق به الأمر ، استنجد بسلك الموصل عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي ، فأرسل اليه فصائل الحجاريين مع فصائل من رماة النبط ومعهم أحمال من النبط الأبيض ، (١) فكانوا من أكبر المساعدين له على فتح بيت المقدس ، كما كان بينهم من يحسن بناء الاسوار ، وحفر الخنادق ، وتحصين المدن .

وفي سنة ٥٨٧ هـ أراد السلطان صلاح الدين أن يحصن بيت المقدس فيحكم سور المدينة ويعتق خندقها - فأرسل الى عز الدين مسعود يطلب منه من يعينه في هذا الأمر من جيش الموصل فأرسل اليه عز الدين الحصانين المختصين بحفر الخنادق وتعمير السور فقاموا بالأمر خير قيام . (٢)

وعكذا كانت الجيوش الأتابكية من أقوى جيوش الشرق في القرن السادس الهجري . ولها فضل كبير في تخليص مدن سوريا والجزيرة من أيدي الصليبيين بعد أن توغلوا فيها .

البريد

وأهتم الأتابكيون بالبريد اهتماما كبيرا وكان هذا منذ تولى عماد الدين أمور البلاد ، فانه كان شديد الشغف بالأطلاع على أخبار البلاد المجاورة له وأحوال بلاده ، وكان يصله البريد يوميا يحمل اليه أخبار جدهم ولهوهم في سرهم وعلايتهم ، وكان ينفق الأموال الطائلة في سبل ذلك .

فأعد لذلك الخيول والتجيب في البلاد والرجال العدائين والحمائم الزاجل التي تنقل البريد فحول القلنسدي (٣) عن البريد فلما جاءت الدولة الزنكية أقامت لذلك العناية وأعدت لها التجيب المتخفة ودام ذلك مدة زمانها ، ثم

(١) ، (٢) الفتح القسبي (ص : ١٨٦ ، ٢٢٤)

(٣) صبح الاعشى (١٤ : ٣٧)

زمان بني أيوب إلى اقراض دولتهم) •

واشتهرت الموصل بترية حمام الزاجل الذي ينقل البريد المسجل واستفاد
الأتاكيون من هذا الطائر وبذلوا عناية خاصة في تربيته وتدريبه والاعتناء
بفراخه وأبراجِه •

يقول القلقشندي عن الحمام «أول ما نشأ بالديار المصرية والبلاد الشامية
من الموصل • وإن أول من اعتنى به من الملوك ونقله من الموصل الشهيد نور
الدين زنكي صاحب الشام سنة ٥٦٥ هـ وحافظ عليه الخلفاء الفاطميون » (١)
وكانت تصلهم أخبار البلاد البعيدة فيقفون على ما يجري في مملكتهم
الواسعة وأحوال ملوك الأطراف المجاورين لهم ، ولذا نراهم أجروا الجرايات
الواسعة على المرتين لحفظ الحمام وأقامتها ، فحصل منها الراحة العفاسية
والنفع الكبير للبلاد (٢) • وكانت أبراج الحمام منتشرة في مؤسسات الدولة
وقلما تخلو دار منها والحمام من يمتدنها ويتولى أمرها وتديرها والاعتناء بها
وبما تأتي به من الرسائل أو يرسل معها من الأخبار •

وقد أدركنا الموصل في أوائل القرن العشرين ومعظم بيوتها لا تخلو من
الحمام • ففي كل منها شخيم أو أكثر يأوي إليه هذا الطائر • وأهل البيت
يعنون بأمر طعامه وشرايه • وكان في الموصل دكاكين كثيرة لبيع الحمام -
ولم تزل بقاياتها موجودة في المدينة إلى اليوم •



• توضيح لبعض النماذج التي
تزين طائر الأبريق المشهور قسي
شكل ١ •

الحياة الاجتماعية

وأهل الموصل مبالون إلى البر، يتساقون إلى عيل الحير، ولهم معاملة حسنة مع الغرباء، يملقون عليهم ويحسون إليهم ولا يستطون في معاملاتهم، يرضون منهم بالبرج القليل وقد لا يربحون منهم، ووصفهم ابن جبير أصدق وصف فقال «وأهل هذه البلدة على طريقة حسنة، يستعملون أعمال البر فلا تلقى منهم إلا وجه طلق وكلمة لينة، ولهم كرامة للغرباء، وأقبال عليهم، وعندهم اعتدال في جميع معاملاتهم» (١).

ويقول القزويني عنهم عند كلامه عن الموصل وأهلها أهل الحير والمروية والطائع اللطيفة في المعاشرة والظرافة (٢) وهم متسكون في دينهم، يحافظون على تقاليدهم وعاداتهم الحسنة، ولا يتساهلون في شيء منها، وإذا رؤوا منكرا أو ما يناهى الدين والعرف فانهم يأفون منه ويستكرونه (٣) وما يدل على شدة تسكهم بدينهم ما كان عندهم من المساجد والجوامع والخوانق الكثيرة.

المذاهب

وكانوا يسمون المذهبي الشافعي والحنفي في معاملاتهم وأمور دينهم، ونشر هذين المذهبين في الجزيرة السلاجقة والأتاكيون من بعدهم، وفتحوا المدارس الكثيرة التي كان يدرس فيها الفقه على المذهبين المذكورين، ولكن المذهب الشافعي كان أكثر انتشارا من المذهب الحنفي، فأكثر مدارسهم كان يدرس بها الفقه الشافعي، وبعضها كان يدرس بها الفقه على المذهبين الشافعي والحنفي، والقليل منها كان يدرس فيها الفقه الحنفي فقط، وكان فيها من يتبع المذهب الحنبلي وهم قلة.

أما بدر الدين أولو فانه كان يميل إلى المذهب الشيعي، وحاول نشره بين السكان، وذلك لأنه كان يريد مقاومة الحركة الأموية التي كان يدعو إليها الشيخ حسن شمس الدين بن عدي بن صخر الأموي - فكان هذا قد استغل

(١) رحلة ابن جبيل ص: ١٩٠

(٢) آداب البلاد وأخبار العباد (ص: ٣٠٩)

(٣) الكامل (١١: ١٨٩)، الباهر (٣٢٨)

الطريقة العدوية التي أسسها عدى بن مسافر الأموي ، وقلبها الى حركة سياسية تهدف الى تأسيس دولة أموية تحت ستار من الطريقة العدوية ، ولاقت الحركة أقبالا عظيما في الجزيرة وسورية وبلاد الاكراد ، وصارت تهدد بدر الدين لؤلؤ الذي قضى على البيت الانايكي ، فقال بدر الدين الى المذهب الشعبي ، وأقام في كثير من مدارس الموصل متاعدا لآباءه الامام علي ، واعتنى بزخرفتها وتزويقها وجعل لها سدة ، وكان هو نفسه يتردد الى زيارتها ، كما انه قضى على الشيخ حسن بن صلبه هو ومائة من الشاع^(١) بسجيرة حملة الى بلاد لالش سنة ٦٥٣ هـ فيدم قبة الشيخ عدى وأخرج عقابسه وأحرقها وبدر ألباح الطريقة فكاد يقضى عليها^(٢) ورغب العلماء بقراءة سيرة الامام علي ، ومقتل الحسين في الشاع ، لكي يسمع اليها الناس ، ومن العلماء الذين رغبهم بهذا هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد القرشي الكنجي الشافعي المتوفى سنة (٦٥٨ هـ - ١٢٥٩ م) فانه جمع كتاب : كفاية الطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب قال في مقدمة الكتاب المذكور : لما جلست يوم الخميس لست لبال بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة بالمشهد الشريف بالحصن قسبي مدينة الموصل - ودار الحديث المهاجرة - حضر المجلس صدور البلد من النقاء والمدرسين والفقهاء وأرباب الحديث فذكرت بعد الدرس أحاديث وختمت المجلس بفصل من مناقب أهل البيت عليهم السلام ، فطلع بعض الحاضرين - لعدم معرفته بعلم النقل في حديث زيد بن أرقم في غدير ختم ، وفي حديث عمار في قوله صلى الله عليه وسلم : طوبى لمن أحبك وسدق قلبه - فمدعني الخصبة لمحتهم على آملات كتاب يستل على بعض مازويته عن مشايخنا في البلدان من أحاديث صحيحة من كتب الأئمة والحفاظ في مناقب أمير المؤمنين - عليه السلام الذي لم ينل رسول الله صلى الله عليه وسلم فضيلة في آباءه ، وعلوته في مولده الأ وهو

(١) فوات الوفيات (١ : ١٢٣ ، ١٢٤) شذرات الذهب (٥ : ٢٢٩)

(٢) الحوادث الجامعة (ص : ٢٧١)

قسم فيها . (١)

والزم بدر الدين لؤلؤ الشيخ عز الدين عبد الرزاق بن رزق الله بن أبي بكر الحنبلي الرسني (٥٨٩ - ٦٦١) و (١١٩٣ - ١٢٦٢ م) . بجمع كتاب عن مصرع الحسين فجمع فيه ما صح من المقتل ونشره بين الناس . وولاه دار الحديث المهاجرة بالموصل وصارت له حرمة وأقرة عند بدر الدين لؤلؤ . (٢)
على ان هذه الحركة التي قام بها بدر الدين لؤلؤ لم تلاق أقبالا من أهل الموصل ، كما يتضح لنا من مقدمة كتاب كفاية الطالب في مناقب الإمام علي بن أبي طالب . وخاصة بعد ان قضى على البيت الاتابكي وحاول ان يطمس كافة معالمهم وآثارهم الخالدة . فكانوا يعارضونه في أعماله هذه .

ومن أشد المعارضين له هو (موفق الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن حسن بن رافع الكواشي الزاهد والمفسر المشهور . فإنه كان من أكبر المنكرين على بدر الدين لؤلؤ وما يقوم به من الأعمال . (٣)

دار العدل

وكان لهم في الموصل «دار عدل» يجلس فيها الملك ومعه الفقهاء ، وتفتح أبوابها ، ويتقدم فيها المظلومون بظلماتهم . فيؤخذ حق الضعيف من القوى . ومن ذلك : ان القاهر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه ، جلس يوما فيها . فتقدمت اليه امرأة عمياء وادعت ان بعض اولاد عمه ضربها ببندقية جلاهاق فأعماها . فأمر القاهر بإحضاره الى الحاكم الذي كان معه بدار العدل فحضر ، وساوى بينه وبينها ، وخبره بين الدية أو القصاص فأختار الدية ، وارضى العجوز بما بذله اليها . فخرجت شاكرة . (٤)

(١) مقدمة كتاب كفاية الطالب

(٢) التكميل (ص : ١٥٤ ، ١٥٦)

(٣) نكت الهميان (ص : ١١٧) ، شذرات الذهب (٥ : ٣٦٦)

(٤) الباهر (ص : ٣٧٢)

الطرق الصوفية

وكان للطرق الصوفية تأثير حسن في تهذيب شبان الموصل وتثقيبتهم على الفضائل والمكارم وتكران الذات وخدمة المجتمع . وظهر في الموصل عدة شيوخ كمل قصدهم الناس من مختلف البلاد الإسلامية فأتسبوا انهم واخذوا عنهم . ومن هؤلاء المشايخ : الشيخ عدى بن مسافر الامسوى (٤٦٥ - ٥٥٥) وابناء أخيه . ^(١) وقضيب البان الموصل (٤٧١ - ٥٧٣) وعبدالمك بن حماد بن دباس الكنانى (- ٥٧١) وعمر بن محمد المسلا (٤٧١ - ٥٧٣) ومحمد الغزلاى (- ٦٠٥ هـ) وابنه احمد الغزلاى (- ٦٢٠) وكان لهم شيخ يرجعون اليه بطرقهم يسمى شيخ الشيوخ . ومن تولى هذا المنصب هو الشيخ عمر النسائى . وكانت أكثر الطرق انتشارا هى - البدوية والرفاعة .

وأهل الموصل أشد الناس تعلقا بالحكسام والملوك الذين يحسنون سياستهم ويبدلون كل ما لديهم فى الذود عنهم . فقد كانوا ينوحون على جكرمش عندما اخذته عنده قليج ، ارسلا فى محاصرته مدينة الموصل ^(٢) .

وان جهم للبيت الاتابكى كان عظيما لان عماد الدين واحفاده كانوا من أعدل الملوك الذين حكموا الموصل وكانت سياستهم الرشيدة التى سلكوها مع الرعية ومعاملتهم الحسنة وشفتهم على أهل البلاد بما أراد تعلق السكان بهم . وكانوا يعطلون يوم الجمعة من كل اسبوع . ويحتفلون بعيدى الفطر والاضحى أحتفالا عظيما - وهى من أجمل الاحتفالات التى كان يقيمها أهل المدينة . وكانوا يخرجون الى ظاهر المدينة ويقسمون المهرجانات المختلفة من القروسية والالعب والمساخرة وخيال القل .

احتفالهم بولادة الرسول

أما احتفالهم بيوم ولادة الرسول الأعظم - ص - فكان لا يقل عن

(١) صخر بن صخر بن مسافر الاموى (ابو البركات) وابنه عدى

بن صخر وحفيده شمس الدين حسن بن عدى (٥٩١ - ٦٥٢ هـ)

(٢) ابن العبرى (ص : ٣٤٤) ، الكامل (١٠ : ١٧٩)

احتفالهم بهذين العيدين ، فيزينون الدور والأسواق ، ويجتمعون في الجوامع
 يستمعون الى تلاوة المثبة النبوية ، ويشارك في هذا كافة الطبقات حتى الملوك
 انفسهم فانهم كانوا يحضرون المجالس التي تقام في المدينة ، ويستمعون الى
 ما يتلى فيها من سيرة النبي - ص - .

وأكبر أحتفال بهذا اليوم كان بقيمته وعمر بن محمد الملا فكان يستعد
 ليوم ولادة الرسول استعدادا كبيرا . وفيقيم فيه أحتفالا مهيبا يحضره الملوك
 والوزراء والأمراء والعلماء والفقهاء والناس على أختلاف طبقاتهم ، وبعد فيه
 الألعسة المختلفة ، فيكون حفلا مشهودا في أم الربيعين يشترك فيه الشعب
 كله (١)

زيارة النبي يونس

ومن المحلات التي كان يجتمع بها أهل المدينة هو مشهد النبي يونس ،
 فكان الناس يخرجون الى ينوى في ليالى الجمع والاعياد يزورون مشهد
 النبي يونس ويشدون الترابيل الدينية والتواشيح المختلفة . وكان بعضهم
 يقضي ليله في الرباط المجاور له ، وبعد ان يؤدوا صلاة الجمعة يعودون الى
 الموصل . وشاهد هذا الرحالة ابن جبير وخرج معهم الى ينوى ليلة الجمعة
 السادس عشر لفسر سنة ٥٨٠ هـ وبات في الرباط المذكور وتظهر بعين
 يونس - العين المباركة - وشرب من مائها ، ثم صلى في المسجد المتصل
 بها (٢) .

وأذكرنا هذا عند أهل الموصل ، فكان يخرج بعض سكانها الى ينوى في
 ليالى الجمع ، وخاصة في فصل الربيع والصيف ، ويقبضون حلقات الذكر في
 جامع النبي يونس بعد صلاة العشاء ، ويبسبون في القوف التي تحيط بفناء
 الجامع ، ثم يعودون الى الموصل بعد ظهر يوم الجمعة بعد أن يؤدوا الصلاة فيه .

(١) الكامل (١١ : ١٤٧) . الروضتين (١ : ١٨٩) (٣٥ م - تكميل)

(٢) هي التي تسمى عين (الدملحاجة) انظر سومر (١٠ : ٢٥٩)

(٣) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٩)

استقبال الحجاج :

وكانوا يخرجون لاستقبال الحجاج العائدين عن بيت الله الحرام ،
ويترك في هذا سائر الطبقات ويلبسون أحسن الثياب ، ويزنون مطاياهم
وخيولهم بالحرير والوشى ، ويلقون عليها قلائد الذهب والفضة ، وربما
اشترك الملك نفسه في استقبال الحجاج .

وقد شاهد ابن جبير هذا الاستقبال في اليوم الثاني من وصوله الموصل ،
وكان استقبالا مهيا لتدويم أم الملك معهم فقال : « ومن احتفل المشاهدة النديوية
المربية » بروز شاهدناه يوم الاربعاء ثاني يوم وصولنا الموصل - للمخائون أم
معز الدين صاحب الموصل (١) وبنت الأمير مسعود المتقدم ذكرها ، فخرج
الناس عن بكرة أبيهم ركابا ومشاة ، وخرج النساء كذلك واكثرهن
راكبات ، وقد اجتمع منهن عسكر جرار ، وخرج أمير البلد للقاء والدته
مع زعماء دولته ، فدخل الحجاج المواصله مسجدة خاتونهم على أحضان وأبنة ،
قد جللوا أعناق ابليهم بالحرير الملون وقلدوها القلائد المزوقة ، ودخلت
خاتون المسعودية تقود عسكر جواربها ، وأمامها عسكر رجالها يطوفون بها ،
وقد جللت قبتها كلها سائر ذهب مصونة أهلة ودبابير ، سبعة الأكف
وسلاسل وتسابل بدعة الصفات ، فلا تكاد تبين من القبة موضعا . ومطاياها
ترحفان بها زحفا ، وصحب ذلك الحلي بسد المسامع . ومطاياها مجللة
الأعناق بالذهب . ومراكب جواربها كذلك ، ومجسوع ذلك الذهب لأقصى
تقديره . وكان مشهدا أبهت الأبصار وأحدث الأعشار . (٢)

وأدركنا أهل البلد يحتفلون باستقبال الحجاج فخرجون لاستقباله بالدقوف
والصنوج والأعلام . يتقدمهم أهل الطرق الصوفية . ويعودون بهم إلى البلد
بالتكبيرات والتهاليل . فيكون يوما مشهودا في المدينة .

(١) هو عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود (انظر ص : ٣٤)
(٢) رحلة ابن جبير (ص : ١٩٠) . وحصل ابن جبير الموصل في يوم
الثلاثاء ٢٣ - صفر - سنة ٥٨٠ . في اليوم الخامس من يوليو سنة ١١٨٥م
وبقى فيها أربعة أيام

الخيام في الربيع :

الربيع من أجمل الفصول في الموصل • تأخذ الأرض حللها وتكتسي السهول والروابي بالأزهار الجميلة المختلفة • وتساق المياه العذبة في وديانها بين الحقول والاعتشاب • ويفيض نهر دجلة بساحه الكبيرة •

يخرج أهل البلد بعد صلاة العصر من كل يوم إلى ظاهر المدينة • ويتسرون في سهولها ووهادها • يستمعون بناظرها الخلابة • ويقومون ألعابا مختلفة من القروسية والمصارعة والطفر والرحف وغيرها •

على أن بعضهم كانوا يضربون الخيام خارج المدينة في فصل الربيع يرتادونها بعد العصر من كل يوم وينصتون ليلهم فيها يستمعون المناظر الخلابة والنديم العليل • ولا يزال أهل الموصل يخرجون في أمسي الربيع إلى ظاهر المدينة يتسرون في السهول المحيطة بها • ولم يزل بعضهم يضرب الخيام خارج المدينة •

الشواريق في الصيف :

وكانوا في الصيف يخرجون إلى شاطئ دجلة يزرعون البطيخ والخيار واللوبيا ويسبي الحقل (شاروق) ويقسمون في كل شاروق عريشا واسعا تكون أمامه الأزهار والرياحين • فيخرج السكان في الأمسي إلى الشواريق فيقسمون في العريش وينامون فوقه في الليل وهم يستمعون بالهواء العليل والمناظر الجميلة •

وقد ذكر هذا القزويني فقال عند كلامه عن الموصل وأهل الموصل انتفعوا بدجلة انتفاعا كثيرا مثل شق القناة منها ونصب العربات وهي الطواحين التي يديرها الماء في وسط دجلة في سفينة وتقل من موضع إلى موضع • وفي الجانب الشرقي عند التقاس الماء يبقى على طرف دجلة ضحطاح على أرض ذات حصاة • يتخذ الناس عليها سررا وقبابا من القصب في وسط الماء يسمونها الشواريق وينتجون فيها ليالي الصيف • ويكون هواؤها في غاية الطيب • وأذا نقص الماء وظهرت الأرض زرعوا بها القاء والخيار • فتكون

حول القباب مائة ويبقى ذلك الى اول الشتاء (١) ولا يزال أهل الموصل يخرجون الى الشوارع في فصل الصيف والحريف ويقضون بعض ليالهم أو يتنزهون فيه .

الاديرة :

كانت الاديرة من الاماكن التي يرتادها أهل الموصل للترهة والترويح عن النفس لان الاديرة تقع في مواضع ترهة مشرفة على الحفول والسائين . وتستاز بهدوئها وجودة خمرها وريحانها . وأكثر من كان يرتادها هم الشعراء والادباء وارباب البطانة ، فيقيمون في الدير أياما كما يقضون وقتهم في القصف والشرب والمساجلات الأدبية . وفي الشعر الموصلی قصائد كثيرة في وصف الديارات وخمرها ومجالسها وريحانها . ومن ذلك ما قاله ابن الحكام الموصلی المتوفى سنة ٦٠٤ هـ وكان شيخاً ظريفاً شيعياً المذهب . فانه زار دير سعيد وبات فيه وقال - (٢)

رهبان دير سعيد بت عندهم	في ليلة نجمها حوران مرسل
فجاء راهبهم يسعى ، وفي يده	مداسة ، ما على شرايها درك
كالشمس مشرقها كأس ، ومغربها	قم النديم ، وكف الساقى اظلت
مازلت أشربها حتى زوت شبي	عنى كساروت عن فاطم قد
من كف أعيد تحكى الشمس طلعه	في حقه الورد والسرير مندعل

وكان المسلمون يشاركون المسيحيين في الخروج الى الاديرة أيام أعيادهم . ولا يزال المسلمون الى هذا اليوم يخرجون الى ديري - مار كوركيس ومار ميخائيل - يوم خروج النصارى الى كل منهما . ويقضون يومهم في الدير وحوله ، يستمعون بنظر الربيع الجميل . وشاركون النصارى في أفراحهم .

(١) آثار البلاد - للقزويني (ص : ٣٠٩)

(٢) الجامع المختصر (٩ : ٢٥٦ ، ٢٥٧)

ودير سعيد هو دير (ألبيا) يقع جنوب معسكر الغزالي ويسمى من الوقت الحاضر - الدير الخربان .

حمام العليل

وحمام العليل - حمام على - من المحلات التي يرتادها أهل الموصل في فصل الربيع والصيف ، وخاصة أصحاب الأمراض الجلدية ، فكانوا يستشفون بمائها المعدني الحار . وتكون حمام العليل في الصيف مزدحمة بالسكان ، فينون لهم عرائش على شاطئ دجلة يسكنونها . ويجمع فيها أصحاب الملاحى والمغنون . ولهم من غاباتها الكثيرة الواقعة على جانبي دجلة خير مآوى . ولم تزل حمام العليل على ما ذكرنا في هذا العصر .

الالعاب :

كان الميدان أرضاً واسعة منسطة تمتد من دار الملك الى باب سنجار وهو لتدريب الجيش وعرضه وألعابه . ويجمع فيه أهل البلد في اوقات فراغهم يشاهدون ما يعرض من الألعاب المختلفة ، وكان الملوك أنفسهم يشاركون في الألعاب ويتبارون مع المتفوقين .

وأكثر الألعاب انتشاراً عندهم هو اللعب بالكرة والصونجان فكان الملوك والأمراء يلعبونها مع كافة أفراد الجيش فيتزولون بعد صلاة العصر - من كل يوم - الى الميدان ويجمع الناس لمشاهدتهم .

كان عماد الدين زكي مغرماً بها ، وكان يلعب بها مع السلطان محمود السلجوقي . (١) وسار أولاده على نهجه فكانوا يلعبون مع أمراء دولتهم وقوادهم وأفراد الجيش .

كان نور الدين محمود بن عماد الدين زكي من أحسن الناس لعباً بالكرة وأقدرهم عليها ، لم ير جوكانه يعلو رأسه ، وكان ربما شرب الكرة فتعلو فيجري الفرس وتناولها بيده من الهواء ويرميها الى آخر الميدان ، وكانت بيده لا ترى والجوكان بها بل تكون في كم قبالة استهالة باللعب . (٢) ويذكر ابن شداد عن نور الدين : انه كان شديد الرخص ولما يلعب الكرة بحث من رآه يقول : ما سموت الا من وقوعه عن ظهر الفرس . (٣)

(١) (٢) الباهر (ص : ٥١ - ٣٠٧)

(٣) المعائن اليوسفية (ص : ٣٦)

وكان يأمر كافة قواده ان يلعبوا بالكرة مع أفراد الجيش كل يوم بعد
انصر ختية ان يركن الجيش الى الكسل •

وكان عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود يشهد على الملعب بها
ويشوق القواد والأمراء على ممارستها - حتى الطاعنين في السن - وكان في
دولته الأمير بهاء الدين علي بن السكري وكان رجلاً كبيراً ، له خدمة
سابقة فكان عز الدين يبالغ في احترامه ، الى حد انه كان اذا لعب معه
بالكرة ، يعطيه من دوابه الخصى ما يركبه ويلعب عليه (١) •

واتسرت ألعاب الفتوة في الموصل • ومن ألعاب الفتوة التي اتسرت
فيها هي : الرمي بالبندق واللعب بالحمام •

والبندق هي كرات تصنع من الطين وتسمى (جلاهق) وترمى بواسطة القوس
وبالسيطانة • وهذه تتخذ من ختية مستطيلة مجوفة الداخل ، وكانوا
يرمون بها طيور الواجب وتفتخر الرعاة بأصابتها وسرعته • (٢)

وكانوا يتسبون في رمي هذه الطيور بالبندق الى أحد الرؤساء البارزين •
وان الخليفة الناصر لدين الله العباسي أمر المماليك ان تتسب اليه في رمي
البندق • ثم عمم هذا على كافة الطبقات ، ومع الرمي بالبندق الا من اتسب
الى الخليفة • (٣)

وكان الرامي المتسب اذا ما اصاب طيراً ، فانه يرسل الطير الى «بقعاده» او
يحملة بنفسه الى الخليفة ومعه الشهود من الفتيان الذين يشهدون بان الرامي
رمى الطير باسم الخليفة ، فيأمر الخليفة بالطير فيعلق « باب البديسة »
ويذكر عليه اسم راميهِ ، وانه رماه باسم الخليفة • كما كان الخليفة يأمر
بأعطاء الجوائز لحامله ، ويشر الدنانير على الطير تكريماً للمتسب • وبعد
وفاة الناصر أخذ الناس يتسبون بهذا الى الخليفة او الى آرباب الدولة تقرباً
حتهم وأملوا ان ينالوا لديهم حظوة • وكان المتسب اليه يفعل مع المتسبب
ما يفعله الخليفة نفسه ، من أعطاء الجوائز وشر الدنانير على الطير • الا انه

(١) الباهر (ص : ٣٤٠)

(٢) (٣) الفتوة في الاسلام (ص : ٦٨ - ٧٥)

كان يعلق تجار باب البدرية .

وفي سنة (٦٣٨ هـ - ١٢٤٠ م) اتسب الأمير ابراهيم بن بدر الدين لؤلؤ في رحبه الى الخليفة - وأسباب طيرا فحملته الى الخليفة بغداد رسول من ابيه بدر الدين معه جماعة من رعاة البندق ، وشهدوا ان الأمير ابراهيم ولد بدر الدين لؤلؤ رعاة بالبندق واتسب في ذلك الى الخليفة . فقبل وعلق باب البدرية ونثر عليه الف دينار . وخلع على الواصلين معه . (١)

وفي سنة (٦٣٤ هـ - ١٢٣٦ م) اتسب الأمير ركن الدين اسماعيل بن بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل الى شرف الدين اقبال الشرايبي في رحبه ، فصرع طيرا فحملته بشر خادم الأمير ركن الدين اسماعيل مع اثنين من رعاة البندق الى الشرايبي وأمر بتعليقه تجار باب البدرية ونثر عليه الف دينار . ثم خلع على الخادم والواصلين صحبته . وأعطاهم ثلاثة آلاف دينار . (٢)

وأهتم سكان الموصل في تربية الحمام فكانوا يستعملونه في نقل بطائق البريد وكانت الموصل في طليعة المدن التي اهتمت به - وقد تقدم الكلام على هذا - واستعملوه في سباق الغاية فكانوا يسابقون بين الحمام . وقد يصل سعر الفائز منها الى عشرات الدنانير . فأهتم الناس بتربيته والاعتناء به . فكانوا يسمون في الدار شخصاً او أكثر يكون بيتا للحمام وقلما كانت تخلو دار من محلله (٣) .

وكان للعدو أهمية خاصة عندهم لأن السعاة وأصحاب البركة كثيراً ما يحتاجون الى توصيل ما يعهد اليهم من الامور بأسرع وقت .

واشتهر في القرون الوسطى طبقة من الناس عرفوا بالسعاة ، موصار لهم منزلة مرموقة عند كافة طبقات الشعب ، فكانوا يقيمون بينهم مباريات يشهدها الناس على اختلاف طبقاتهم حتى الخليفة وحاشيته . وينثر على الفائز منهم الدنانير . وتقدم له الهدايا المختلفة .

ومن السعاة المشهورين في القرن السادس هو معتوق الموصل المعروف بالكوتر . فانه كان في طليعة سعاة زمانه . ففي سنة (٦٢٥ هـ - ١٢٢٧ م) جرى

(١) ، (٢) الحوادث الجامعة (ص : ١٤٣ ، ٩٥ ، ٩٦)

(٣) الفتوة في الاسلام (ص : ٨٥ - ٨٨)

معنوق الموصل من واسط الى بغداد في يوم وليلة سوى ساعة ، واعطى خلعاً
عدة وأموالاً من الدولة والسجار ، فحصل له عشرون قرساً ، وخمسة آلاف
وأربعمائة دينار ، وخلق قومت بألف وسبعمائة دينار . (٢)

وفي سنة (٦٤٣ هـ - ١٢٤٥ م) جرى أيضاً من دقوقاً ساعياً على قدميه الى
بغداد وانجه الى كشك الملكة ودخله ، وكان فيه الخليفة ومعه الشرايين وهو
أسناده - فقبل الارض بين يدي الخليفة ، فقدم له بخمسمائة دينار ، وأعطاها
الشرايين ثلاثمائة دينار ، وحصل له من أرباب الدولة شيء كثير . (٣)

ومن السعاة الذين كانوا ينافسون الكوثر الموصل هو علي بن الاريلي . ففي
سنة (٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م) سعى من دقوقاً الى بغداد فوصل بعد العصر .
وفضل على الكوثر الموصل بنصف ساعة . ولما وصل بغداد خرج الخليفة
المستعصم بالله وأولاده وجلسوا في الكشك الى حين وصوله . فدار علي بن
الاريلي حول الكشك فأمر له الخليفة بقرص من مراكبه وخلعة وذهباً ، ودار
من الغد في البلد بالنظول والوقوفات ، فحصل له شيء كثير . (٤)

والموصل من البلاد العربية التي تهتم بتربية الخيول ويباعي سكانها بما
لديهم من الخيول العربية الجيدة . ونج فيها بمختلف المصور فرسان
عديدون كان لهم شأن في الفروسية ولعاب الخيل . وكانوا يخرجون الى
الاراضي المجاورة للمدينة وقيمون الحلبات يشهد بها الناس وصار هذا صيا
يتفاخر به الشبان والفرسان .

وادركنا الحلبات التي كانت تقام بين الفرسان في ميدان الاخضر وفي
ظاهر البيض وقرب الغزلاني وفي الاراضي المنسطة المجاورة للينوى وغيرها .
ولم نزل الاسر العريقة في الموصل تحافظ على ماورثته من الخيول العربية
الجيدة وتعنى بها عناية فائقة .

خيال الظل :

وكان لخيال الظل شأن يذكر في الموصل ومنها نقله ابن دانيال

(١) اللغات البرقية في النكات التاريخية (ص : ٢٥)

(٢) ، (٣) الحوادث الجامعة (ص : ٢٩١ ، ٢٩٦)

(١١) ٦٤٦ - ٧١٠ هـ) الى مصر في القرن السابع الهجري .

وخيال الظل اسم كان يطلق على الروايات الهزلية التي كانت تمثل مختلف
النواحي السياسية والاجتماعية ويراد بها النقد اللاذع وتضحيك النظارة .
ومصدر هذا الفن هو بلاد الهند ثم أخذ عنهم الصينيون وانتقل بعد هذا الى
بلادنا . فكان خيال الظل من وسائل التسلية التي تمثل الاشخاص بأسلوب
هزلي لاذع . وكان أهل خيال الظل يكثرون في المنزهات والمجتمعات وأيام
الاعباد والمواسم . فحشع عليهم الناس وشاهدون ما يقومون بتسليته .
كما كانوا يقسمون احتفالات خاصة في دور الملوك والأمراء والمسولين وغيرهم .
وأبن دانيال كان من أبرز الممثلين في هذا وله الفضل في نقل هذا الفن
من الموصل الى القاهرة وذلك قبل ثمانية قرون واشتهرت به القاهرة فيما
بعد وبقي معروفا بها الى زمن قريب . وكان يعرف هذا الفن « بقره كوز »
وعرف بالموصل باسم « حسن باشا » وأدرك أبائنا هذا النوع من التمثيل
وشاهدوه .

ومما كانوا يتخذونه من وسائل التسلية والتضحيك انهم كانوا يغسلون تماثيل
تشبه بعض العلماء ورجال حاشية الملك ويدربون صقور الصيد على الانقضاض
عليها حتى اذا خرج الملك الى الميدان أرسلونها على الشخص الذي دربوها
على تماثله فتنقض عليه . ويكون هذا في الموصل كثيرا (١٢) .



• توضيح لبعض التماثيل التي
تزين طاهر الأبريق المنصور في
الملك ١ •

(١) مجلة الكتاب (٦ : ٦١١ - ٦١٧) لنا بحث عن ابن دانيال
(٢) التصوير عند العرب (ص : ٩٨)

الحالة الصحية

لا نجد ذكرا للاوبئة والامراض السارية في الموصل - في هذا العصر - الا قليلا ، وهو يدلنا على اهتمام القوم بصحتهم ، وعنايتهم الفائقة في اجسادهم . فقد كان بها ٢٠٠ حمام زوج اى ٢٠٠ حمام للرجال تجاورها ٢٠٠ حمام للنساء ، و ١٠٠ حمامات خاصة بالبنات فقط^(١) . كما كانوا يعنون بنظافة كافة مرافق المدينة . ومما يدلنا على اهتمام القوم بصحتهم ومعالجة ابدانهم ، انه كان في المدينة مارستانان : احدهما داخل المدينة ، والثاني في الريض الاسفل منها ، بناه مجاهد الدين قيمانز تجار جامعته الذي بناه على دجلة ، والذي لم يزل باقيا الى اليوم ويعرف بالجامع الاحمر^(٢) . وهذا المارستان جمل جدا ، وفيه كل ما يحتاجه المريض من اسباب المعالجة والنزهة واشترويح عن النفس والتخفيف عن المريض .

وكان في المدينة مارستان خاص بمعالجة المجانين^(٣) . فبهذا كان بها ثلاثة مارستانات . وكانت المعالجة في المارستان بلا تمن . يدخله المريض فتجرى عليه الفحوص اللازمة ، ثم يوصف له الدواء ، ويعطى اليه من صيدلية المارستان ، واذا احتاج المريض ان يكون تحت اشراف طبيب ، فانه كان ينام في المارستان ويجرى عليه الطعام والشراب والدواء ، وكل ما يحتاجه مما يخفف مرضه ، ويكون هذا بلا عوض ايضا . وفي المستشفى يكون الاطباء : فهم الكحالون والفصادون والمجبرون وغيرهم ، وفي الخدم والفراشون ، وفيه كل وسائل الراحة التي يحتاجها المريض .

ولذا فان نفوس الموصل كانت تزيد على ثلاثمائة الف نسمة . وان عدد النصارى فيها كان ٤٣٥٠٠ نسمة وعدد اليهود ٣٦٠٠ نسمة^(٤) . كان هذا في ام الربيعين قبل ثمانية قرون ، ونبع فيها كثير من الاطباء الذين عملوا فيها وخدموا الانسانية اجل خدمة .

(١) منية الادباء (ص : ٦٦)

(٢) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٩)

(٣) ، (٤) مصارع العشاق (ص : ١٠٤) منية الادباء (ص : ٦٧)

العلم والآداب

لم يكن الاتابكيون من العرب ، ولكنهم نشأوا في بلاد عربية إسلامية ، فأعتنقوا دين أهلها وأدبوا بأدابهم وتنفقوا بثقافتهم . فكانوا عربا مسلمين على الثقافة والدين ، يشجعون العلماء والأدباء وأهل الفنون - حتى مماليكهم الذين تربوا على أيديهم فإن بعضهم كان من العلماء والأدباء بسلطان .

كان جدهم عماد الدين مؤسس الدولة الاتابية يسمع الشعر العربي ويهترله ، ويرجزل العطاء للشعراء والمغنين ، غناء مغن وهو على قلعة جعبر :
ويلي من المعرض الغضبان ان نفل
وانسي اليه حديثا كله زور
سلمت فازور يزوي قوس حاجبه
كأنتي كأس خمر وهو مخسور
فأستحسنها زككي وطررب لها طربا شديدا
وقال لمن هذه ؟ فقيل : لابن صبر الطرابلسي - وهو بحلب - فكتب الى والي حلب ليسيروا اليه سريعا .^(١)
وذكروا انه كان عنده مبدأ أمره ظلم ، فسمع ليلة وهو نازل بحمالة شخصا غنى على شط انغاسي :

اعدلوا ما دام أمركم نافذا في النفع والضرر
وأحفظوا إيمان دولتكم انكم منها على خطر
فكفي وتبدلت نيته في الظلم ، وأخذ نفسه من حينئذ بالعدل .^(٢)
وكان نور الدين محمود بن عماد الدين زككي يحفل بالفقهاء والعلماء ، ويناقشهم في كثير من المباحث ، وله توقعات في غاية البلاغة والإيجاز .
قدم اليه عمر الملا ، دقاتر الحساب الذي صرفه على عمارة الجامع النوري في الموصل ، وكان نور الدين جالسا على دجلة . فأخذ الدفاتر ورمها في دجلة وقال له : دع الحساب ليوم الحساب .^(٣)

وكان نور الدين محمود قد دخل مسجد سريبر بحلب عندما كان يريد الحج ، ثم دخله بعد سنة (٥٥٧ هـ - ١١٦١ م) وكتب على حائطه :^(٤)

(١) وفيات الأعيان (١ : ٥٠) ، (٢) مفرج الكروب (١ : ١٠١)
(٣) شذرات الذهب (٤ : ٢٣٠)
(٤) الباهر (ص : ٢٠٧ - ٢٠٨)

لك الحمد يا مولاي كم لك منة
نزلت بهذا المسجد الميام قافلا
وعنه رحلت العيس في عامي الذي
فاديت مفروضي ، وأسقطت نفل ما
وكان عارفا بالفقه على مذهب الامام أبي حنيفة ، وسمع الحديث
وأسمعه طلبا للأجر . (١)

وكان يحضر دار العدل بنفسه ، وينظر في المطالم التي تقدم اليه ،
وهو اول من بنى دار عدل في الاسلام . (٢) وكان كاتبه عماد الدين
الاصفهانى الكاتب المشهور وله فيه مدائح كثيرة .
وكان سيف الدين غازى بن عماد الدين زنكى (٥٤١ - ٥٤٤) يجزل
العتاء للشعراء ، وله ذوق جميل في نقد الشعر . منحه الشاعر الحصص
بعض بقصيدة اولها :

الام يراك المجد في زى شاعر وقد نحت شوقا فروع المنابر
فوصله بألف دينار سوى الخلع . (٣)

وكان الأمير زين الدين كوجك الشوقى سنة (٥٩٣ هـ) يحفظ الكثير
من الشعر العربى ويستشهد به ، جاءه جندى يحمل ذيل فرس قد مات
فأعطاه مبلغا من المال ، فأخذته وخرج ، وأعطى ذيل الفرس الى جندى آخر
وأدعى ان فرسه قد مات ، ودخل على زين الدين وعرضه عليه ، وهكذا
حتى دخل عليه عدة جنود وهو يعلم انهم جاثون في هذا ، فلما انجزوا أشد :
ليس الغنى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى (٤)
وأبو الفداء اسماعيل بن يرتقش السنجارى - مولى عماد الدين -
كان جنديا موصوفا بالسخاء والادب والفضل . وله نظم حسن ، فمن ذلك
ماكتبه الى الملك الاشرف أبى الفتح موسى بن العادل يعزيه في أخ له كان

(١) الباهر (ض : ٣٠١)

(٢) ، (٣) مفرج الكرب (١ : ٢١٨ ، ١١٧)

(٤) النجوم الزاهرة (٥ : ٣٧٨) ، وفيات الاعيان (١ : ٤٢٥)

اسمه يوسف :

دموع المعسالي والمكسارم ذرف
غدا الجود والمعروف في المجد ثاور
فني خطفت كف النبوة روحه
سفته لبالي الدهر كأس حمامه
فوا حسرتي لو يرفع الموت حسرة
وكانت على الأرواء تضي قوبه
مع العلم بان اسماعيل توفي شابا في الموصل سنة (٦٠١هـ - ١٢٠٤م) (٢)
وكان مجاهد الدين قيباز الرومي المتوفي سنة ٥٩٥هـ يعرف الفقه ويحفظ
من الشواهد والأشعار والحكايات شيئا كثيرا . وكان كبيرا ما يشد (وهي
لأسامة بن منقذ) :

إذا أدمت قوارضكم فؤادي
وجئت اليكم طلق المحببا
وكان يحفظ الشعر ويمزج حبه من غله ، فأقبل عليه الشعراء ومدحوه
بقصائد كثيرة ونالوا منه جوائز سنية . فمن مدحه سبط ابن التعاويذي
بقصيدة أولها :

عليك الشوق منك مني يصح
وبين القلب والسلوان حرب
وسيرها اليه من بغداد فأجازته بألف دينار وجائزة سنة .
ومدحه بهاء الدين أسعد بن يحيى السنجاري بقصيدته التي بلغت
فيها :

يا قلب تباليك من صاحب
لله أيامي على رامة
تكاد بالسرعة في مرها
كان البلا مثلك وممن باظري
وطب أوقاسي على حاجر
أولها بعشر بالآخر

(٢) انجم المختصر (٩ : ١٦٤)

وعمل له أبو المعالي سعيد بن علي الحظيرى «كتاب الإعجاز في حل
 الأحاجي والألغاز برسم الأمير مجاهد الدين قنماز» فأجزل له العطاء * وكان
 أبو السعادات ابن الأثير كتاباً بين يديه ومنشأ إلى الملوك * (١)
 وذكر ابن الطقطقي عن بدر الدين لؤلؤ - وهو أرمي من مسالك الأتابكيين -
 ما يأتي: «وكان بدر الدين لؤلؤ - صاحب الموصل - رحمه الله أكثر ما يجرى في
 مجلس أسسه إيراد الأشعار المظربة والحكايات الملهية ، فإذا دخل شهر
 رمضان حضرت له كتب التواريخ والسير ، وجلس الزين الكاتب وعسر
 الدين المحدث يقرآن عليه أحوال العالم * » (٢)

وكان بدر الدين لؤلؤ يفتقد العلماء والأدباء والشعراء ، ويجزل لهم
 العطايا والهباء لينهوا بشأته ويمدحوه ، فصار في بلاطه عدة شعراء منهم
 كمال الدين حيدر بن عبيد الله الحسيني الموصلى ، وكان شيخ أهله ومقدمهم
 سناً وزهداً وفصلاً وورعاً ، استماله صاحب الموصل بدر الدين بما أسداه له
 من الأنعام حتى مدحه وانخرط في زمرة شعرائه ، فمن شعراء فيه : (٣)
 هنينا بجد ساعدتك سعوده ولم له يوم التفاخر بسده
 وبشبرى بأقبال أهل بشيره كما وفدت عند الهناء وفوده
 واني لبدر الدين ذى الفخر والعلل نديده ، وكلا ان ينساب تدبده
 ومن الشعراء الذين مدحوه هو ابن الخلاوى الموصلى (٤) ومحمد بن
 علي بن المقرب الأحسائي وغيرهما (٥)

وأهتم الأتابكيون بتشييد المعاهد العلمية المختلفة - من كتابيين ومدارس
 ودور حديث وخطاطات وغيرها وقلما نجد ملكاً منهم لم يؤسس معهداً علمياً
 في الموصل أو في غيرها من البلاد التي حكموها *
 وسار على هذا رجال الدولة منهم فأسسوا كثيراً من المعاهد العلمية

(١) (٣) سومر (١١ : ١٧٨) الفخرى (ص : ٨٣ ، ٤٩)

(٤) ، (٥) فوات الوفيات (١ : ٦٩ ، ٧١) ديوان ابن المقرب (ص ١)

(٧٠ ، ١٠٢)

المختلفة • فكان في الموصل عشرات المعاهد يدرس فيها مختلف العلوم والفنون • (١)

وان الانابكيين عززوا هذه النهضة العلمية بما أغدقوا على العلماء من الهبات الوافرة والعطايا الكثيرة وبما كانوا يقدمونه من التسهيلات لطلاب العلم الذين يدرسون في مدارسهم • فلكل مدرسة اوقاف مختلفة تصرف على أدامتها وخزانة كتبها والفقه النافذة على من يدرس ويدرس فيها عن الطلاب • فليهم السكن والطعام والكسوة والكتب وكل ما يحتاجون اليه حتى يتخرجوا منها •

وصارت الموصل قبلة العلماء والأدباء والشعراء والكتّاب والقسيساء والمحدثين وأصحاب الفنون • يهاجرون اليها فيجدون سوقاً رائجة لبضائعهم ، وأقبالا حسنا من أهلها ، وتشجيعا من ملوكها وأصحاب الشأن في الحكم • كما أقبل اليها طلاب العلم من مختلف الاقطار الآخذة عن علمائها • وتلقى العلم في معاهدها المختلفة التي كانت مفتوحة أمام كل قاصد • فبلغ فيها كثير من أعلام الفكر الاسلامي بمختلف العلوم والفنون والآداب • وصارت الموصل على عهدهم من أشهر الجواضر العلمية في الاسلام •

ونع فيها كثير من الأسر العلمية التي تولت زمام العلم والآداب فسي الهائل الخصيب • ولو أردنا ان نبسط القول على من نبغ فيها في مختلف العلوم والآداب والمعارف لاحتاج الامر الى بحث طويل • ولكن نكتفي بذكر الأعلام البارزين منهم • الذين لم نزل آثارهم باقية الى اليوم تشهد بما كانوا عليه من العلم الغزير • وأشهر الأسر العلمية :

١ - أبناء الأثير

زوج الأثير أبوهم من جزيرة ابن عمر وسكن الموصل في أوائل تشكيل الدولة الانابكية وكان الأثير عالما كاتباً • نقلد دواوين الأشاء • وأحب ثلاثة اولاد • يقول عنهم ياقوت • كل منهم امام • وهم - مجد الدين أبو السعادات

(١) كان في الموصل • اذ ذلك - (٢٨) مدرسة • و (١٨) دارا للحديث • (٢٧) خاتمتها • وغيرها من الكتائب (منية الادباء : ٦٦)

(٥٤٤ - ٦٠٦ هـ) الفقيه المحدث صاحب التصانيف الكثيرة في التفسير والحديث والنحو والحساب وغريب الحديث ومنها : جامع الأصول فسي احاديث الرسول ، والنهاية في غريب الحديث ، والانصاف في الجمع بين الكتب والكشاف ، وكتاب البديع في النحو ، والمرصع في الاياه والامهات واللين وغيرها . (١)

المؤرخ عز الدين بن الأثير - (٥٥٥ - ٦٣٠ هـ) صاحب التصانيف المشهورة في التاريخ ومنها : الكامل في التاريخ ، وهو من أعظم الكتب العربية في تاريخ العرب والمسلمين ، يمتاز بدقته وأمانته . وأسد الغاية في أخبار الصحابة . والمباب في الأنساب ، اختصر به الأنساب للسعاني وزاد عليه زيادات معتبرة . والبحر في تاريخ الدولة الأتابكية . (٢)

الوزير ضياء الدين بن الأثير (٥٥٨ - ٦٣٧ هـ) الكاتب المشهور وهو صاحب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، والوشى المرقوم في حل المنظوم . وكتاب المعاني المخترعة في صناعة الانشاء وغيرها . (٣)

محمد بن ضياء الدين (٥٨٥ - ٦٢٢ هـ) له نظم وتر حسن ، وله عدة تصانيف من مجاميع وغيرها . منها - نزهة الابصار في نعت الفواكه والثمار . (٤)

٢ - أبناء يونس بن منعة

أصلهم من أربل واول من سكن الموصل منهم هو جدهم يونس بن محمد بن منعة بن مالك - رضي الدين الأربلي - (٥٠٨ - ٥٧٦) درس بسدرسة زين الدين (الزينية) وكان شاعرا فقيها . (٥)

وخرج من بيته جماعة من الفضلاء ، انتفع بهم أهل البلاد ، وكانوا مقصودين من بلاد العراق والعجم وغيرها ، وبقيت أسرته مشهورة بالعلم الى القرن الثامن للهجرة ، وهم من علماء المذهب الشافعي أشهرهم :

-
- (١) - (٤) وفيات الاعيان (١ : ٣٤٧ ، ٣٤٨) (١ : ٤٤٧) (٢ : ١٥٨ - ١٦٩) مطالع البدور (١ : ١٢٧)
(٥) انظر عنهم : وفيات الاعيان (٣ : ٤١٩ ، ٤٢٠) ، (١ : ٤٧٦ ، ٤٧٧) (٢ : ٤٣٢ ، ٤٣٣) (١ : ٢٢) التكميل (٢٦٣ ، ٢٦٤)

عماد الدين بن يونس (٥٣٥ - ٦٠٨ هـ) * درس في عدة مدارس في الموصل ، وتولى قضاء الموصل ، وله عدة تأليف منها : الفتاوى الواسطية ، وله أيضا المسائل الموصلية * والمحيط في الجمع المذهب والوسيط ، وشرح التوجيه * وقصده الفقهاء من مختلف الاقطار .

كمال الدين بن يونس (٥٥١ - ٦٣٩) درس بعدة مدارس بالموصل ، وكان متضلعا بعدة علوم : في اللغة والنحو والأدب والفلسفة والرياضيات والطب . وكان مرجعا لأهل الموصل وما والاها في الفتاوى ، تخرج به خلق كثير . وله آراء في الطبيعيات والموسيقى والرياضيات * وهو أحد أعلام زمانه المبدعين * تشد اليه الرحال ويؤخذ عنه مختلف العلوم والمعارف .

شرف الدين بن كمال الدين بن يونس (٥٧٥ - ٦٢٢) درس في المدرسة القاهرية وله عدة تأليف في الفقه منها - كتاب التبيين في الفقه الشافعي * كان غزير المادة متفنا بالعلوم تخرج به خلق كثير .

ناج الدين بن رضى الدين بن عماد الدين بن يونس (٥٩٨ - ٦٧١ هـ) له مؤلفات في الفقه وعين قاضيا في الجانب الغربي من بغداد ، وله التعجيز في الفقه الشافعي . (١)

٣ - أبناء بلدجي

كان جددهم بلدجي من كبار أمراء الدولة السلجوقية ، وهو ثرى (٢) وأول من اشتهر منهم بالعلم هو - ابو محمد محمود بن مودود بن محمود البلدجي الموصل (٥٤٣ - ٦٢٣) كان علما وله مدرسة في الموصل تعرف به ، درس فيها وتخرج على يده اولاده وغيرهم كثير ، وصار من مشايخ العلماء ، وله شعر جيد . أما اولاده فكانوا من فقهاء المذهب الحنفي وهم بيت الحديث

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٧) ، السبكي (٥ : ٧٢) ، الحوادث الجامعة (ص : ٣٧٤)

(٢) اخبار الدولة السلجوقية (ص : ٣١)

والرئاسة * (١) أشهرهم :

عبد الله بن محمود البلدجي أبو الفضل مجد الدين (٥٩٩ - ٦٨٣ هـ)
درس بمشهد الإمام أبي حنيفة وهو صاحب المختار للفتوى، وكتاب الاختيار
لتعليل المختار * كان من كبار فقهاء الحنفية علما فاضلا عارفا بالمذهب وعلم
الخلاف ورجال الحديث *

عبداندام بن محمود البلدجي (٦٠٤ - ٦٨٠ هـ) سمعه والده الكثير
مع أخوته، وكان من علماء الحنفية البارزين، فاضلا مدرسا مفتيا، دفن في
مقبرة قصب الباش *

أبو الفضل عبدالكريم بن محمود البلدجي (٦٢٣ -) درس أيضا
بمدرسة مشهد أبي حنيفة كان فقيها فريضا علما بالتفسير *
عبد العزيز بن محمود البلدجي - تقلد القضاء وكان فقيها بارعا *

٤ - بيت الشهرزوري

أصل هذا البيت من شهرزور، كان جدهم القاسم بن المظفر بن علي
بن قاسم الشهرزوري (٤٨٩ -) حاكما بمدينة أربل، أنجب أسرة علمية
خدمت الهلال الخصيب مدة قرنين * وقام منها عشرات الفضلاء الذين
أشتهروا بمختلف العلوم والآداب وكانوا من فقهاء الشافعية * قال عنهم ابن
خلكان : وكان من اولاده وحفدته علماء نجباء كرماء نالوا المراتب العالية
وتقدموا عند الملوك وتحكموا وقضوا ونفقت أسواقهم وتقلدوا القضاء في
مدن الجزيرة والشام والى الآن من نسله جماعة من الأعيان والقضاة
بالموصل * (٢) وأشهرهم :-

أحمد بن القاسم الشهرزوري قاضي الخافقين (٤٥٣ - ٥٣٨) ولى
القضاء بعدة مدن من بلاد الجزيرة، ولذا قيل له - قاضي الخافقين - وكان
من فضلاء زمانه * (٣)

(١) انظر عنهم الجواهر المشية (٢ : ١٦٢) (١ : ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٣٢١ ،
٣٢٧) البداية والنهاية (١٣ : ١١٦) الحوادث الجامعة ص : (٤٤٥) الدرر
الكامنة (٣ : ٤٤)

(١) - (٢) وفيات الأعيان (١ : ٤٢١ - ٤٢٢ السبكي (٤ : ٩٥ ، ٩٦)

المرتضى عبدالله بن القاسم الشهرزوري (٤٦٥ - ٥١١) تولى قضاء الموصل وكان مشهورا في الفضل والدين ملح الوعظ ، وله شعر رائق وهو صاحب القصيدة الموصلية التي على طريقة الصوفية ، وأولها :
لمعت بارهم وقسمه عشمس الليل ومن الحادي وحار الدليل
فأدائها وفكرى من البين عليل ولحظ عيسى كليل
وأكثر شعره رائق يغلب عليه التصوف ، ودفن في التربة المعروفة بهم . (١)

كمال الدين محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي الشهرزوري قاضي القضاة (٤٩٢ - ٥٧٢) ولده نور الدين محمود قضاء الديار الشامية والنظر في أوقافها ، كان فيها أصوليا أدبيا شاعرا فريفا ذا أفضال ، وقف أوقافا كثيرة منها مدرسة الموصل ، ومدرسة بتصيين ، ورباط بالمدينة المنورة وعطست منزله عند السلطان صلاح الدين الأيوبي ، وكان السلطان يزوره ويحبه كثيرا . (٢)

محمد بن محمد بن عبدالله بن القاسم بن المظفر بن علي قاضي القضاة محي الدين الشهرزوري (٥٢٤ - ٥٨٦) ولي قضاء الموصل ودرس بمدرسة أبيه كمال الدين وبالمدرسة النظامية وكان مقربا عند الملك عز الدين مسعود بن زنكي ، كان جوادا كريما أعم في بعض رسائله إلى بغداد بعشرة آلاف دينار أميرية على الفقهاء والأدباء والشعراء . (٣)

القاسم بن يحيى بن عبدالله بن القاسم أبو الفضائل الشهرزوري (٥٣٤ - ٥٩٩) الفصل بصلاح الدين واخذ مرارا رسولا إلى الخليفة بغداد ، ولي قضاء الشام ، ثم أنقل إلى الموصل وولى قضاءها ، ثم ورد عرسوه الخليفة من بغداد يطلبه ، وقلد قضاء القضاة شرقا وغربا ، وفوض إليه النظر على أوقاف الشافعية والحنفية ، وقرى عهده بجامع مدينة السلام ، وكان فيها عابدا فاضلا مهيبا ذا ثروة ، وله شعر والنظم .

(١) . (٢) . وفيات الأعيان (٢ : ٢٥٤ ، ٢٥٤) (١ : ٤٧٢ ، ٤٧٣)

(٣) (نظر عنهم : السبكي (٤ : ٩٩ ، ١٠٠ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٢٨٠)

علي بن القاسم بن المظفر بن علي الشهرزوري (٥٣٢) ولي قضاء
واسط ، ثم قضاء الموصل والبلاد الجزرية والشامية ، وكان من فضلاء زمانه ،
واخبارهم مستفيضة في كتب التراجم والطبقات مثل وفيات الاعيان ،
وطبقات الشافعية - السبكي ، وشذرات الذهب - وغيرها .

٥ - أبناء مهاجر

من الاسر العلمية في الموصل هم أبناء مهاجر ، كان هذا يستغل
بالتجارة فتشأ اولاده علماء وتجاراً ، وبنوا لهم دار حديث في الموصل ،
وبنوا فوقها مدرسة عرفنا بهم ، ومن اشتهر منهم بالعلم هو : ابو القاسم علي
بن مهاجر ، وهو الذي أسس دار الحديث المهاجرية بسكة أبي نجيج
في الموصل (١) .

ومحمد بن مهاجر - التاجر الشاعر غرق بدجلة في بغداد سنة
٦٠١ هـ (٢) . وعلوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر وهو الذي بنى المدرسة
المهاجرية فوق دار الحديث المهاجرية (٣) .

ومحمد بن علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر شرف الدين ابو
المظفر الموصل (٥٤٢ - ٦١٥ هـ) درس في النظامية ببغداد وسمع بها
الحديث ثم عاد الى بلده ودرس بالمدرسة التي اتسأها أبوه علوان بالموصل ،
وبالمدرسة البدرية وعدة مدارس اخرى . وساد اهل زمانه وكان عالماً
كثير الخير والدين سليم القلب (٤) .

٦ - أبناء هبل

أصل هذه الأسرة من بغداد ثم استوطنت الموصل واشتهرهم : مهذب
الدين علي بن احمد بن علي بن هبل (٥١٥ - ٦١٠) وهو اول من سكن
الموصل وافاد فيها فكان يدرس الحديث والادب والطب . فكان الناس
يترددون اليه يدايره في سكة أبي نجيج . وله كتاب في الطب سماه

(١) - (٤) الأستاذ (ص : ١٢٠) الجامع المختصر (٩ : ١٥٢ ، ١٥٣)
السبكي (٥ : ٢٢) البداية والنهاية (١٢ : ٨٢) المختصر المحتاج (ص : ١٠٥)
(١٠١)

« المختار » يقع في أربعة مجلدات (١) .

شمس الدين بن هبل (- ٥٤٨) وهو من فضلاء الموصل ، وله ولدان
من اعيان الفضلاء ، واكابرهم

٧ - اسرة النقيب

وهي من الاسر العريقة في الموصل قام منها رجال اعلام في العلم والدين
والادب والسياسة ومن اشتهر منهم بالادب :

الشريف ضياء الدين ابو عبد الله زيد بن محمد بن محمد بن عبد الله
الحسيني نقيب العلويين بالموصل (- ٥٦٣) كان رئيسا جوادا كثير
الاحسان ، جم الفضلاء ، وله شعر حسن (٢) .

ابو القاسم المرتضى بن محمد بن زيد (- ٦٠١) نقيب العلويين وكان
اديبا فاضلا ، وله مدائح في جلال الدين الاصفهاني وزير صاحب
الموصل (٣) .

وكمال الدين حيدر بن عبد الله الحسيني نقيب العلويين ايضا ، وقد
تقدم الكلام عنه .

وكان فيها جماعة من المؤرخين والبلدانيين . من اهل الموصل
او من الذين نزحوا اليها واتخذوها دار اقامة لهم وكتبوا عنها . اشتهرهم:
ابن الاثير - وقد تقدم الكلام عنه - وابن باطيش (٥٧٥ - ٦٥٥) وله كتاب
في طبقات فقهاء الشافعية وكتاب الفیصل في مشبه اسماء البلدان اشتمل على
ضبط الاسماء (٤) .

ابن شداد الموصلی (٥٣٩ - ٦٣٢) وله كتاب النوادر السلطانية
والمحاسن اليوسفية في سيرة صلاح الدين الايوبي . وكتاب تاريخ حلب ،
وهو من علماء عصره المعبودين ، كان اماما بالدنيا والدين وكان يشبهه

(١) (٢) عيون الانباء (١ : ٣٠٤-٣٠٦) التكميل (١٥٧ ، ١٥٨)

(٣) وفيات الاعيان (١ : ٢٥٧) ، (٤) الجامع المختصر (٩ : ١٦٦)

(٤) النسيك (٥ : ٥١)

القاضي ابا يوسف في عصره وله : ملجأ الحكام عند التباس الاحكام .
والموجز في الفقه وغيرهما^(١) .

المبارك بن الشعار الموصل (- ٦٥٤) صاحب عقود الجمان في
الشي عشر مجلدا^(٢) .

ابو الحسن الهروي الرحالة الشهير (- ٦١١) وله كتاب الاشارات
الى معرفة الزيارات . ومنازل الارض ذات الطول والعرض . كتب به
ما قدر عليه ووصل اليه في سياحته . والتذكرة الهروية في الحيل الخفية
من كتب السياسة والحرب^(٣) .

ومن الاعلام الذين سكنوا الموصل وكتبوا عنها وعن رجالها ابن المستوفي
الاربلي المتوفى (- ٦٣٧) وياقوت الحموي الرومي (٥٧٥ - ٦٢٢)
وعبد اللطيف البغدادي والسعاني صاحب الانساب .

واشتهر جماعة بقراءات القرآن وعلومه وتجويد منهم :

يحيى بن سعدون القرطبي (- ٥٦٧) احد الائمة في اقراءات^(٤) .

والغفر الموصل (- ٥٣٩ - ٦٢١) كان بصيرا بعلوم القراءات ولسه
كتاب في مخارج الحروف^(٥) وابو عبدالله محمد بن الحنبلي الموصل
المعروف بشعلة (٦٢٣ - ٦٥٦) كان شيخ القراء في الموصل ، متضلعا بالعربية
والنظم والشعر وقد نظم « التسعة في القراءات السبعة » وله كتاب « كنز
المعاني في حوز الاماني »^(٦) .

وعبدالمجيد بن محمد بن عثمان القبيصي الموصل الخطيب (- ٥٣٧ -
٦٣١) كان من القراء المجودين ومن اعيان الفقهاء^(٧) .

(١) - (٣) التكميل (١٧ - م ، ٢٠٥ ، ٢٠٦) وفيات الاعيان
(٢ : ٣٩٥ ، ٣٩٦) ، (١ : ٣٤٦ ، ٣٤٧) ، كشف الظنون (٢ : ١١٥٤)
مرآة الجنان (٤ : ١٣٦)

(٤) - (٥) وفيات الاعيان (٢ : ٢٢٦) ، البداية والنهاية (١٠٥ : ١٠٦)
(٦) - (٧) طبقات القراء (٢ : ٨٠ ، ٨١) ، (١ : ٤٦٧)

وعصام الدين علي بن ابي زهرون الموصل (٦٢٢ - ٦٨٢) وكسان شيخ القراء في الموصل (١) .

ابو العباس النعيمي الخرقى (- ٦٦٤) كان بارعا في الفقه الشافعي والقراءات وهو مؤدب المفلخر والصالح ولدى بدر الدين لؤلؤ ، وله عدة مؤلفات معلوم مختلفة (٢) .

عمر بن محمد المعروف بابن السحنة (٣) (- ٦٠٦) كان مشهورا بالقراءات وشواذها .

واشتهر من الاطباء ابو الحسن علي بن ابي الفتح بن يحيى كمال الدين الكباري الموصل (- ٦٣٤) عاش ما يقارب مائة سنة . وكان من اطباء زمانه (٤) .

المذهب علي بن احمد بن مقبل الموصل (- ٦١٠) كان اعلم اهل زمانه بالقلب له تصنيف حسن (٥) .

واشتهر من المفسرين - الشيخ موفق الدين الشيباني الكواشي الصوفي المفسر (٥٩١ - ٦٨٠) وله التفسير الكبير والتفسير الصغير (٦) .

المعافي بن اسماعيل بن الحسين بن ابي سفيان الموصل المتوفى سنة ٦٣٠ هـ وله : البيان في تفسير القرآن (٧) .

اما المحدثون فكان اكثر الفقهاء يستفدون بالحديث فكانوا محدثين وقراء . ومن الذين عنوا في الحديث واشتهروا به في الموصل هم : -

أبو زكريا يحيى بن سالم بن مفلح البغدادي الموصل الحنبلي . حدث بالموصل وتوفى بها سنة ٦٠٨ هـ ودفن بقبرة الجامع العتيق (٨) .

الحافظ زين الدين عمر بن زيد بن بدر بن سعيد الحنفي الموصل (٩)

(١) ، (٣) دول الاسلام (٢ : ١٤٣) بغية الوعاة (ص : ١٥٤) .
(٣٦٢)

(٤) ، (٥) معجم الاطباء (ص : ٢٩٨ ، ٢٩٩)
(٦) ، (٩) السبكي (٥ : ١٨) ، كشف الظنون (١ : ٢٦٣)
(٢ : ١٧٥١)

له كتاب المغني في علم الحديث رتبة على الأبواب وحذف الاسانيد وقرىء
عليه سنة ٦١٩ هـ .

ابو اسحاق البرنسي شيخ دار الحديث المهاجرة بالموصل توفى سنة
٦٣٢ هـ (١) .

ابو عبد الله الحسين بن عمر المحدث الموصلی * ولى بالموصل مشيخة
دار الحديث التي بناها زين الدين صاحب اربل وتوفى سنة ٦٣٢ هـ (٢) .
على بن محمد بن علي الموصلی (ابو الحسن) (- ٦١٤ هـ) (٣) .
ابو الحسن السراج الجهنی (- ٥٢٩) كان اماما ورعا عاملا
بعلیه (٤) .

ابن ودعان (- ٥٩٤) كان اماما ورعا عاملا له كتاب في
الحديث يعرف بأربعين ابن ودعان جمع فيه أربعين خطبة للنبي (ص) (٥) .
وكان المذهب الشافعي أكثر المذاهب انتشارا وأكثر العلماء الذين لبغوا
في ذلك العصر كانوا يتبعون هذا المذهب * ولذا فإن فقهاء الشافعية كانوا
يعدون بالعشرات وبعضهم كان حجة فيما يقوله ، يرجع اليهم بأقوالهم
وآرائهم ، ودونوا كتباً لا تزال من الكتب المعول عليها في الفقه الشافعي
عنهم : -

ابناء يونس بن منعة * وابناء الأثير * وابناء مهاجر * وبيت
الشهرزوري * وابن شداد الموصلی (٥٣٩ - ٦٣٢) وقد تقدم الكلام
عنهم *

وابن ابن عسرون التيسري الموصلی (٤٩٢ - ٥٨٥) درس في أكثر
بلاد الجزيرة والشام وهو امام اصحاب الشافعي في عصره ، وصاحب
الفتاوى المشهورة (٦) .

وابن عبد السلام (عز الدين بن عبد العزيز الشافعي) المتوفى سنة (٧)

(١) - (٣) شذرات الذهب (٥ : ٣٩ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، و ٦)

(٤) - (٥) السبكي (٤ : ٢٧٨) ، كشف الظنون (١ : ٧١٥)

(٦) - (٧) التكميل (١٠١ - ١٠٣) ، السبكي (٤ : ٢٣٧ - ٢٣٩)

٦٦٠ هـ زله كتاب الفتاوى الموصلية ويسمى - فتاوى ابن عبدالسلام قس
الفقه الشافعي (١) .

ابن الصلاح الشيرازي الشهير زورني الملقب (تقي الدين)
(٥٧٧ - ٦٤٣) كان احدا فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه
واسماء الرجال وما يتعلق بعلم الحديث واللغة وله مشاركة في فنون كثيرة
وهو من فقهاء الشافعية في عصره (٢) .
واما فقهاء الحنابلة فمنهم :

ابو المحاسن المجمعى الموصلي الحنبلي (محمد بن عبد الباقي بن هبة الله
بن حسين بن شريف) (- ٥٧١ هـ) احد فقهاء الحنابلة المواصل جمع
كتابا اشتمل على طبقات الفقهاء من اصحاب الامام احمد (٣) .
وابو جعفر بن السنين المقرئ المحدث الزاهد (- ٥٨٨) (٤) .
واحمد بن علي بن احمد الحنبلي الموصلي المعروف بابن الوئدة
(- ٦٣٢) (٥) .

وابو الذخر خلف بن محمد اللثري الحنبلي (- ٦٢٧) (٦) .
واحمد بن علي الحنبلي الزاهد المعروف بابن الوتارة (٧) .
اما فقهاء الحنفية فاشهرهم : هم اولاد بلدجي وقد تقدم ذكرهم
واشتهر من النحويين :

ابن الدهان النحوي الموصلي (٥٨٩ - ٦٣٩) صنف شرحا للايضاح
واكملته في ثلاثة واربعين مجلدا (٨) .

علي بن خليفة النحوي المعروف بابن المنقي الموصلي (- ٥٦٢) كان
اماما فاضلا تادب عليه اكثر اهل بلده - وكان يجلس بالمسجد المعروف
بمسجد النبي (ص) بالموصل . وصنف مقدمة في النحو سماها المعونة

(١) - (٢) كشف الظنون (٢ : ١٢١٩) ، وفيات الاعيان (١ : ٣١٢ ،
٣١٣)

(٣) - (٨) شذرات الذهب (٤ : ٢٤٠ ، ٢٤١) ، (٤ : ٢٩٣) ،
(٥ : ٩٩) ، (٥ : ١٢٣) ، (٥ : ٩٩ ، ١٠٠) ، وفيات
الاعيان (١ : ٢٠٩ ، ٢١٠)

وله شعر حسن (١) .

الحسين بن هبة الله الموصلى المعروف (بدهن الخضا) (- ٦٠٨)
وهو أحد نخبة عصره تصدر لأقراء العربية في الموصل . (٢)

سعيد بن المبارك النحوى (٤٩٤ - ٥٦٩) من أعيان النخبة وأفاضل
اللغويين ، وله تصانيف مختلفة منها تفسير القرآن في أربع مجلدات وشرح
الإيضاح لأبي على الفارسي في أربعين مجلدة والغرة في شرح المسمع
لابن جنى (٣) .

شمس الدين بن الخياط الأربلي الموصلى الضرير (- ٦٣٠) علامة
زمانه في النحو واللفظ والفقه والعروض والخرائف . وله النهاية في النحو
وشرح الفية ابن معط (٤) .

أبو الحزم صائغ الدين مكى الضرير النحوى (- ٦٠٣) والغالب
عليه النحو والقراءات (٥) .

علي بن عبدلان النحوى الموصلى (٥٨٣ - ٦٦٦) كان علامة
بالآداب والنحو (٦) .

أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن الصائغ الموصلى (٥٦٦ -
٦٤٣) وهو من علماء زمانه المبرزين (٧) .

ونبع في الموصل كثير من الشعراء كما هاجر إليها عدد من شعراء
البلاد الأخرى واتخذوها دار إقامة لهم وأشهر شعراء هذا العصر هم :

محمد بن شقاق الموصلى (- ٥٣٣) (٨) . وعلي بن أبي الوفاء الموصلى
(- ٥٤٣) (٩) .

(١) - (٣) معجم الأدباء (١٣ : ٢١٥ - ٢١٧) ، (١٠ : ١٧٨ -

١٨٠) ، (١١ : ٢١٩ - ٢٢٣)

(٤) - (٧) بغية الوعاة (ص : ١٣١) ، معجم الأدباء (١٣ : ١٧١ -

١٧٣) ، (التكميل) (ص : ٢٦٤)

(٨) - (٩) وفيات الأعيان (٢ : ٣٤١ - ٣٤٣) ، (١ : ١١٥)

الدر المكتون (مخطوط)

- ابن ذرة الموصلی (- ٥٤٥) • وله شعر حسن ^(١) •
- شمیم الحلی (- ٦٠١) التحوی المغوی الادب صاحب التصانیف
الکثیرة فی الادب ^(٢) •
- ابن الخلاوی الموصلی (٦٠٣ - ٦٥٦) وهو من شعراء بدر الدین
الزولی ^(٣) •
- الخزاز الموصلی المعروف بابن طيبة (- ٦٠٦) ^(٤) •
- أبو زکریا یحیی بن سعید بن الدهان الموصلی (٥٦٩ - ٦٥٦) ^(٥) •
- ابن الارذل (٥٧٧ - ٦٢٨) ^(٦) •
- ابن مسهر الموصلی (- ٥٤٣) وله دیوان کبیر یقع فی مجلدين کان
رئیساً شاعراً ^(٧) •
- ابن زبلاقی (- ٦٦٠) کان من الفضلاء وله رسائل وأشعار ^(٨) •
وأشتهر من الخطاطین -
- أبو الدریاقوت بن عبد الله الموصلی (أمن الدین الملکی) (- ٦١٨)
ولم یکن فی آخر زمانه من یقاربه فی حسن الخط ولا یؤدی طريقة ابن
البواب فی النسخ مثله • قصده الناس من البلاد لالاخذ عنه ^(٩) •
- ابن الفقیه الموصلی (٥٦١ - ٦٣٦) کتب الخط الملیح وحذث وقال
الشعر ^(١٠) •

(١) - (٤) وفیات الاعیان (٤ : ٤١١) ، (١ : ٣٤٥) ، فوات
الرفیات (١ : ٦٩) الجامع المختصر (٩ : ٣٠٥)
(٥) - (٨) وفیات الاعیان (١ : ٢٠٩) ، فوات الوفیات (٢ : ١٧٨) ،
وفیات الاعیان (١ : ٢٦١ ، ٢٦٢) ، الحوادث الجامعة (ص : ٣٤٨) ، تاریخ
دمشق (٤ : ٢٨١ ، ٢٨٢)
(٩) - (١٠) وفیات الاعیان (٢ : ٢٠٧ ، ٢٠٨) ، فوات الوفیات
(٢ : ١٩)
(١٠٨)



حمران المدينة

استلم عماد الدين الموصل وأكثرها خراب . وقد هجر السكان
الكثير من محلاتهم .

نقل ابن الأثير عن والده أنه قال : « رأيت الموصل - التي هي أم
البلاد - في أول أيام الشهيد - عماد الدين زنكي - وأكثرها خراب ، وكان
الخراب من محلة الطبايين إلى القلعة . وإلى دور السلطنة ، وكانت العرصة
نرى من قريب مسجد التركماني - وهو قريب من الطبايين - وكان الجامع
العتيق أيضا بلا عمارة البتة . وكانت جميع المحال المجاورة للصور من سائر
جوانبه غير معمورة . وكان أذن العمارة من الصور ما يكفي رمية حجر .
وكان الناس لا يقدرّون على المنى إلى الجامع غير يوم الجمعة لبعده عن
العمارة . » (١)

ولما ملكها عماد الدين زنكي : حوى البلاد ، ومنع المفسدين وكف
أبدى الأقوياء ، ونشر العدل والأمان بين السكان ، فقصده الناس من مختلف
الجهات وأنخذوا الموصل دارا لهم ، فلم تزل العمارة تكثر بالموصل .
حتى لقد ذهب كثير من المقابر ونبت دورا . » (٢)

فصارت الموصل إحدى قواعد بلاد الإسلام كما وصفها ياقوت الحموي
بقوله « الموصل المدينة المشهورة العظيمة ، إحدى قواعد بلاد الإسلام ،
قليلة الظير كبرا وعظما وكثرة خلق وسعة رقعة . » (٣)

ثم إن المدينة ضاقت بالسكان فخرجوا إلى الأرياض المجاورة لها
وعمروها . وصار في بعض أرياضها ما يضاهاى المدينة الكبيرة .

وكان لها عدة أرياض تحيط بها . أشهرها ريسان : - الرض
الأعلى والرض الأسفل .

أما الرض الأعلى فإنه كان يقع شمال المدينة خارج السور الذى بناه
الأتاكيون . ويمتد من باب سنجار إلى الأرض التى تطل على النهر وهى التى
انشأ عليها المستشفى الملكى فى الوقت الحاضر . ويمتاز هذا الموقع بركة

(١) (٢) الباهر (: ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩)

(٣) معجم البلدان (٨ : ١٩٥)

هوائه ، وجمال موقعه الذى يشرف على دجلة نوما يحيط بها من الغابات
والبساتين •

وكان في هذا الرض قصور الأمراء والولاة وآرباب الحكم • وفيه
مشهد الطرح - بنجة على - الذى كان يقابل الباب العمادى • ومن مساجده
المشهورة مسجد الوزير ^(١) ومسجد أمين الدين ياقوت البدرى ^(٢) وهو
يقع في المكان الذى بنى عليه قصر الحاج توفيق أفندى الفخرى •
وفتح عماد الدين زنكى الباب العمادى الذى كان يصل بين المدينة
وهذا الرض • لكى يسهل الاتصال بينهما • ^(٣)

أما الرض الأسفل : فكان يقع خارج السور على الارض الممتدة من
ساحل نهر دجلة الى قرب جامع النبی شيت في الوقت الحاضر - وهو أكبر
أرباض المدينة - وفيه المساجد والمدارس والأسواق والحمامات والفنادق
ماجعله يضاهي المدينة • وكان به جسر يصل بينه وبين الساحل الأيسر من
دجلة • بناء مجاهد الدين قیماز وبنى به أيضا جامعا كبيرا ومدرسة وخانقاهما
وتربة له ومكتبا للآيتام وبسارستانا • ^(٤)

ولما زار الموصل ابن جبير نزل في إحدى الفنادق التي كانت في
الرض الأسفل من الموصل •
وأمتازت الموصل بفخامة أبنيتها وجمال هندستها وزخرفتها • وتنسيق
شوارعها وحدائقها ، حتى ان بعض محلاتها صارت مضرب المثل في الشرق •
ومن هذه المحلات « محلة سوق التركمان » محلة الخاتونية في الوقت
الحاضر - وكانت تطل على الميدان قريبة من دور المملكة •

ذكر ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٤٦ عند كلامه عن غرق بغداد :
« وغرق في الجانب الشرقي ما كان ظاهر السور من مساكن كانت أستخدمت »

(١) الباهر (ص : ١٢٩)

(٢) مجموع الكتابات (ص : ٢٠٦)

(٣) (٤) الباهر (ص : ١٢٩) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٩)

(١١١)

منذ أيام الخليفة المستنصر بالله وبولغ في عمارتها ، وكان بها أسواق عامرة
وحمامات وبساتين مشجرة ، حتى كادت تشبه حاضر حلب أو سوق التركمان
في الموصل . (١)

ومن محلات الموصل المشهورة التي كانت تقع في وسط المدينة محلة
« درب دراج » وهي ليست بشارع - كما توهم البعض - .

ذكر عنها ياقوت فقال : « محلة كبيرة في وسط الموصل ، يسكنها
الخالديان الشاعران ، قال فيه أحدهما ويصف دير معبد » . (٢)

وقولتي والتقاني عند منصرفي والشوق يزعج قلبي أي أزعاج
يا دير ياليت داري في فنائك ذا أوليت أنك لي في درب دراج
وظلت إلى القرن السابع الهجري تعرف بهذا الاسم ، وكان بها
رباط « أبي السعادات مجد الدين بن الأنبر » . (٣)

والربعة - جهاز سوك - ويفصلها عن درب دراج شارع واسع ، وهي
من المحلات القديمة في الموصل ، ذكرها أبو زكريا الأزدى في حوادث سنة
١٢٩ هـ عند كلامه « قيل بن جابر بن جبلة » فقال : « أما قيل فمنزلة بالموصل
في السكة الكبيرة التي بين الربعة المعروفة بدين عطا ، ودرب دراج ، وله
هناك زقاق يعرف بفيل الآن » - القرن الرابع للهجرة - وفي سنة ٣١٧ هـ
وقعت فتنة بين أصحاب الطعام وبين أهل الربعة والبزازين فانضم الاساكفة
إلى أهل الربعة والبزازين وقهروهم وخرقوا أسواقهم . (٤)

ثم صارت تعرف بجهاز سوك - محلة شهر سوق الحالية - ولاندرى
منى غلب عليها هذا الاسم .

ذكر ياقوت أن الشهار سوج فارسي معناه بالعربية أربع جهات . . .

(١) الحوادث الجامعة (ص : ٢٣٠ ، ٢٣١) (٢) معجم البلدان

(٤ : ٤٨)

(٣) وفيات الاعيان (١ : ٤٤١) (٤) الكامل (٨ : ٧٣)

والناس يقولون جهاز سوج * . (١) وفي سنة ٤٢٠ غزا الغز مدينة الموصل
وسلم عدة محال منها : سكة أبي نجح والجصاصة وجهاز سوك * (٢)

وفي محلة شهر سوق مسجد قديم يسمى مسجد الملا عبد الحميد
يقابل جامع عمر الأسود يفصل بينهما شارع عرضه لأزيد من المترين وهو
من المساجد القديمة التي بنيت في العهد البابلي * كان قد جددت عمارته
سنة ٥٤٢ هـ كما هو مكتوب على محرابه * (٣) والمأثور عند أهل الموصل أنه
أحد مساجد الصوفية السبعة التي هي أقدم مساجد الموصل * وعلى هذا
فإننا نرجح بأنه أُنشئ في القرن الأول الهجري أثناء أبناء نضل الذين
جاءوا إلى الموصل مع جيش إبراهيم بن الأشتر الخفجي بعد أن قضى على عبد
الله بن زياد *

وسوق الأربعاء - وتسمى أيضا المربعة - وهو غير - المربعة - جهاز
سوك * فسوق الأربعاء كانت تقع على الأرض التي يطلق عليها «سوق الميدان»
في الوقت الحاضر * والتي تمتد إلى قرب باب الجسر بها فيها القسم المجاور
لها وتقع على النهر *

وسوق الأربعاء من الأسواق القديمة في الموصل ورد ذكرها في أوائل
القرن الثاني للهجرة * (٤)

وفي سنة ٣٣٣ فاضت دجلة فركب الماء الرض الأسفل وشاطئ نهر
سوق الأربعاء * (٥)

وورد اسم سوق الأربعاء في القرن الرابع للهجرة * ذكر البشاري
المقدسي عند كلامه على الموصل فقال : « والبلد شبه الفيلسان مثل البصرة
ليس بالكبير » في لئله تبه حصن يسمى المربعة على نهر زبيدة ويصرف

(١) معجم البلدان (٥ : ٣١١) (٢) الكامل (٩ : ١٤٥ ، ١٤٦)

(٣) مجموع الكتابات (ص : ٩٤ ، ٩٥)

(٤) تاريخ الموصل في حوادث سنة ١٢٩ هـ وعند كلامه أيضا عن
المقدسية *

(٥) الكامل (٧ : ٢٣ ، ٢٤)

بسوق الأربعة • داخله فضاء واسع به يجتمع الأكره والحواشيد • على كل ركن فندق • (١)

وبقيت سوق الأربعة الى القرن السابع للهجرة تعرف بهذا الاسم • وذكر ابن الأثير عند كلامه عن قصر المنقوشة : « انها خراب تجاور سوق الأربعة » • (٢) ثم بعد هذا تنقطع عنا أخبارها •

حتى الحديثين ولم يزل هذا الحي يعرف بهذا الاسم وهو يقع فسي جنوب شرقي محلة باب المسجد ومن مساجده القديمة هو « مسجد منصور الخالص » •

والحديثون هم الذين نقلهم عماد الدين زنكي من حديثة الموصل الى الموصل ، وأسكنهم في هذا الموقع من المدينة وكان يعتمد عليهم • (٣)

حتى خزرج وهو من أحيائها القديمة وفيه مسجد قديم يعرف - في الوقت الحاضر - بمسجد خزرج وهو المسجد الذي جدد بناءه الخليفة المهدي العباسي سنة ١٦٧ والذي صار يعرف بمسجد بني سابط فيما بعد •

ومسجد خزرج من أقدم مساجد الموصل أسس في القسرون الأول للهجرة وسكنت خزرج حوله بعد تبصير الموصل فنسب لها •

وليس هو أول مسجد أسس في الموصل كما توهم البعض ، فأول مسجد أسس هو المسجد الجامع سنة ١٧ هـ • ثم أسست مساجد كثيرة بعده ومنها هذا المسجد ولم يزل محلة خزرج تسمى بهذا الاسم ويسكنها بعض السوت من قبيلة خزرج • (٤)

الغالبية وكانوا يسكنون في المحلة التي تسمى اليوم بمحلة البارودجية - شرقي باب العراق - ولا تدري متى سكنت تغلب في هذا المكان • والأرجح أنها سكنت في القرن الأول للهجرة • • • • • (٥)

(١) احسن التقاسيم (ص : ١٣٨)

(٢) ، (٣) (الكامل (٥٣ : ٢) (١٠ : ٣٦)

(٤) سومر (٢٢٧ : ٤ ، ٢٣١)

(٥) نيمر (٢٢٦ : ٧)

حتى الحصاصة وهم الذين يشتغلون بعمل الجص • ومن الأماكن التي
كثرت فيها مقالع الحجارة التي يصنع منها الجص هي غربي المدينة وجنوب
غربيها وشماليها •

أما شرقي المدينة فمحاط بالنهر • وأما جنوبها فأراضي رملية رسوبية
لا يطين حجارة داخلها •

والذي نراه أن الحصاصة كانت تجاور شهر سوق • جارسوك • من
الجنوب الغربي لأن ذكرها يذكرها في كتب التاريخ مقرونا مع «جارسوك»^(٢)
كما أن القسم الشمالي للمدينة كان يطل على الميدان • ويسعد أن تكون
أكوار الجص قرب دور المملكة والقلعة وميدان الجيش وهي من الأماكن
التي لا يسح بالعمارة فيها •

وعلى هذا فأتنا نرى بأن الحصاصة هي محلة مياه والمحموديين وهما
قريبتان من جارسوك •

وكان في الحي المذكور شارعان هما درب الحصاصة ودرب الحصامين
والذي نرجحه أنهما يؤديان إلى باب الحصاصة الذي كان يصل المدينة
بأكوار الجص التي كانت تقع خارجها •

أبناء التكرية وهم المسيحيون الذين هاجروا من تكريت إلى الموصل
في القرنين الرابع والسادس للهجرة وسكنوا قرب محلة شهر سوق وفي
المنطقة • قرب مسجد الشيخ أبي نصر • وفي سوق القبايين - سوق
التجارين في الوقت الحاضر - وكانوا من العناصر الفعالة في عمران المدينة •
تقلوا من تكريت صناعة النقس بالجص وزينوا بها عمارات الموصل • ولم
نزل آثارهم باقية في كثير من المائى داخل المدينة وخارجها •

حي الطبايين وهم الذين كانوا يعملون الطبول والدفوف • وأشهرت
الدفوف الموصلة في القرون الوسطى •

ومن محلات الموصل المشهورة هي محلة الطبايين • ذكر ابن الأثير
عند كلامه على خراب الموصل - قبل تسلم عماد الدين لها ما يأتي - : وكان
الخراب من محلة الطبايين إلى القلعة وإلى دور السلطنة وكانت العرصة ترى

من قريب مسجد التركمانى - وهو قريب من الطبايين -
والذى نراه ان محلة الطبايين تشتمل على المحلة التى تسمى (عبدو
خوب) فى الوقت الحاضر .

الميدان

وكانت الارض المحصورة بين السور العقيلى والسور الاتابكى تسمى
الميدان وهى ارض واسعة خالية من العمارة . اتخذت ميدانا للجيش . فيكون
فيه عرضة وألعابه وتدريبه وكان فى الميدان كشك فيه غرف يكون فيه الملك
اذا أراد الخروج بجيشه الى حرب او اذا عاد من حرب . ومنه يشرف على
رتب الجيش وألعابه وتدريبه وتهيئته . (١)

وفى الميدان شارع واسع يمتد بموازاة السور العقيلى - من اعلى البلد
الى أسفله - (٢) فصل دور المملكة والقلمنة عن البلد . وهذا الشارع يكون من باب
المشرفة - قرب عيسى دده - الى المدرسة العزبة (مشهد الامام عبد الرحمن)
ثم يمتد الى مقام الفتح الكارى الموصل ثم الى باب سنجار (باب الميدان) .
وأدركنا هذا الميدان وهو ارض خالية عن العمارة اللهم الا من بعض
المدارس الاتابكية القديمة - وفيه مسانين ترزح بالخضر واليقول ويسمى
(الميدان الاخضر) لان أرضه خضراء فى أكثر فصول السنة ، وهو محل
منتزه أهل الموصل فتكون فيه ألعابهم وحلبات الخيل ومهرجاناتهم وأحتفالاتهم .

(١) الباهر (ص : ٣٤١)

(٢) اعلى البلد هو جهة الشرق منها ، وطول البلد يمتد من الشرق
الى الغرب . وعرضها يمتد من الشمال الى الجنوب ذكر ابن الاثير فى حوادث
سنة ٣٦٣ هـ عند كلامه عن نزاع بختيار مع ابنى تغلب الحمدانى . . . اما
بختيار فانه جمع اصحابه - وهو بالدير الاعلى - ونزل ابو تغلب بالحصباء
- تحت الموصل - وبينهما عرض البلد ، الكامل (٨٣ : ٤٦٥) فالدير الاعلى
هو فى موقع باش طابية ، والحصباء لم تزل تعرف بشط الحصا او شط
العرب . وهى الساحل الذى خلف مستودع الجيش جنوب الموقع .

وقع في شرق الميدان دور المملكة والقلة الانابكية • وفيه بعض المدارس والتراب التي بناها الانابكيون •

دور المملكة

تقع على دجلة قرب القلة وهي تقابل الميدان ولم نزل بقاياها تعرف باسم (قرة سراي) •

وإول من بنى دار أمانة في هذا الموقع على دجلة هم الحسدانيون^(١) ثم ان العقيليين الذين خلفوا الحسدانيين في حكم الموصل بنوا دورهم في نفس الموقع أيضا •^(٢) كما ان السلاجقة الذين قضوا على حكم العقيليين في الموصل بنوا لهم (دار سلطنة) او دار ملك في نفس المكان •^(٣) وان عباد الدين زكي جد الانابكيين اول من سكن في دار الملك الذي بناه السلاجقة • ولما استتب حكمه وأتمدت فتوحاته وعظمت دولته • وجد هذه الدار لا تناسب مع ما يتطلبه من أظهار العظمة فهدمها ووسعها وبني عدة دور فصارت تعرف (بدور المملكة)^(٤) وأعنى بزخرفتها بالنفوس الجنية والكتابات المختلفة والرخام المطعم • وزخرف سقوفها بالذهب^(٥) فكانت من الدور الكبيرة الجميلة تضاهي دور الخلفاء والسلاطين العظام • وعلى ممر السنين بنى اولاده وأحفاده دورا لهم تجاور هذه الدور فصارت تمتد من القلة الى باب المشرقة • وآخر من وسعها ورمم بعض أقسامها هو بدر الدين الأول^(٦) وذلك بعد ان قضى على الانابكيين فانه سكنها وأخذها دار ملك له •

وما تبقى منها في الوقت الحاضر هو عبارة عن قاعتين متجاورتين تقابلان الغرب وكل منهما تألف من طبقتين فيهما شبايك تطل على دجلة • فالقاعة الجنوبية خالية من الكتابة والزخارف • أما القاعة الشمالية فمكتوب حول جدرانها بأرتفاع خمسة أمتار وبأحرف كبيرة محفورة بالجبس

(١) - (٣) سומר (١٠ : ٩٩)

(٤) الباهر (١٣٩) ، الروضتين (١ : ٤٤)

(٥) ذيل تاريخ دمشق (٢٨٦) ، (٦) سומר (١٠ : ١٠)

(* * * * *) الرحمن الرحيم : عز مولانا المالك الملك الرحيم العالم العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد المربط المفاخر الغازي بدر الدنيا والدين عضد الاسلام والمسلمين تاج الملوك والسلاطين محيى العدل فى العالمين *) وبصدر القاعة المذكورة باب مسدود - الا قليلا منه - وفوقه طاق كبير فيه نافذة مكتوب حولها : (عز مولانا المالك الملك ارحيم بدر الدنيا والدين انايك أبو الفضائل أولؤ بن عبد الله حسام (أمير المؤمنين *) ونحت هذه الكتابة شريط من دوائر قطر الدائرة الواحد عشرون سنتسرا * وفي داخل كل دائرة صورة لاسان مربع * وهي ريسا كانت تمثل أزياء الجند فى العهد الانابكى وفي روايا القاعة المذكورة زخارف جسمية دقيقة متناظرة بخللها كتابات دقيقة جميلة وهي متداخلة مع الزخارف بحيث يصعب تمييزها * وأكثرها قد تلفت ولم يبق منها الا القليل .

ونحت القاعتين مسادة من الصخر القوى الاسمر محفور عليها بأحرف كبيرة : امر بعناية هذه البنايا المباركة مولانا الملك الرحيم العالم العادل المؤيد المظفر المنصور المجاهد المربط * * * الدين عضد الاسلام والمسلمين * * * الكفرة والمشركين قاه (ر) الخوارج والتشردين محيى العدل قسى العالمين ابو الفضائل أولؤ * * * اعزه الله وذلك فى ولا * * * (١١)

القلعة

تقع على الارض المرتفعة التى تشرف على نهر دجلة وعين كبرى * وهي فى شمال مدينة الموصل وكانت تجاور دور المملكة * ولاندرى من الذى أشأ هذه القاعة اول مرة * وأقدم ذكر لها عثرنا عليه ان البساسيرى (٤٥٠ - ١٠٨٥ *) حاصرها أربعة أشهر وبعد ان استولى عليها عدها وعطى أزمها * (٢) وان الانابكيين أهتموا بهذه القلعة فوسعوها وأكملوا عمارتها وصارت تسع آلاف من أفراد الجيش * وفيها مخازن للمؤن والعتاد ولوازم الحرب * (٣)

(١) مجموع الكتابات ٤ ص : ١٤٠ ، ١٤١ (٢) الكامل (٩ : ٢٣٩) (١٠ : ١٧٢) (١١ : ١٣٤)

ومن الذين أهتموا بعمارة القلعة فرمم سورها وأحكم أبراجها وجدد ما الهدم من مرافقها هو فخر الدين عبد المسيح وزير سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود *

وكان يحيط بالقلعة سور غير سور مدينة الموصل * ودار الموصل ابن حجر سنة ٥٧٩ هـ ووصف القلعة بقوله * وفي أعلى البلد قلعة عظيمة قد رص بناؤها رصا * ينظمها سور عتيق النية مشيد البروج * وتصل بها دور السلطان * وقد فصل بينها وبين البلد شارع منسج من أعلى البلد إلى أسفله * (١)

ومما يؤسف له أننا لم نقف على وصف مفصل لمرافق القلعة * وقد وقفنا على أسماء بعض أبوابها وهي :

(١) باب القلعة وكان يؤدي منها إلى الميدان * والذي نراه أنه كان يقابل الغرب أي أنه كان يقابل باب الميدان * باب سنجار * (٢)

(٢) باب السر : وكان يؤدي منها إلى النهر من جهة عين كبريت وهو أحد أبوابها * ولما حاصر نور الدين محمود الموصل سنة ٥٦٦ هـ - ١١٧٠ م حلف ألا يدخل القلعة إلا من باب السر فدخل منه * (٣)

أما حدود القلعة : فالذي يظهر لنا أنها كانت تمتد من باش طابية شمالا إلى دور المسلكة وكان مشهد الامام يحيى بن القسم فيها * (٤) ومن ساحل انهر إلى مقبرة آل النقيب " مقبرة الست فاطمة " *

وكانت القلعة مركزا هاما في الدولة يكون فيها العتاد والذخيرة * ويتولى حراستها جيش كبير يشرف عليهم دزدار (محافظ) مخلص معروف بالشجاعة والحزم والتدبير * (٥)

(١) رحلة ابن جبیر (ص : ١٨٨)

(٢) - (٣) سומר (١٠ : ١٠١)

(٤) وفيات الاعيان (١ : ٥٩)

(٥) سומר (١٠ : ١٠٢) انظر ممن تولى دزدارية قلعة الموصل في

العهد الاتايتكي *

وقد يفوض لذرदार قلعة الموصل النظر في أمور القلاع والاشراف على من فيها (١) .

بقيت القلعة عامرة حتى سنة ٦٦٠ هـ - ١٢٦١ م وفي هذه السنة حاصر الموصل سدابغو ونصب عليها المنجنيقات وتحصن في القلعة (باسان) وشدد المغول الحصار على القلعة . ورموها بالاحجار والنار . ففتحوا المدينة وهدموا قلعتها - وهكذا هدمت هذه القلعة الحصينة واسحت خرابا (٢) .

السور

أول من أحاط الموصل بسور هو عبد الملك الخليفة الأموي الذي تولى الموصل في خلافة أبيه (٦٥ - ٨٩ هـ) . (٣) .

ثم ان مروان بن محمد وسع السور الذي بناه سعيد في الأماكن التي أنست فيها المدينة ورمم ما أتهدم منه وذلك في أوائل القرن الثاني للهجرة (٤) . بقي سور سعيد حتى هدمه هرون الرشيد سنة ١٨٠ هـ على أثر ثورة أهل الموصل عليه . وبقيت المدينة بلا سور حتى سنة ٤٧٤ هـ فبنى شرف الدولة العقيلي سورا للموصل قليل الارتفاع ولم يعمل له فصيلا . ولا أحاطه بخندق . وفرغ من عماله بعد سنة أشهر (٥) .

ثم ان جكرمش - أحد ولادة السلاجقة في الموصل - رعم سور المدينة . وبني له فصيلا (٦) .

وحفر الخندق وحصن المدينة غاية ما يقدر عليه وكان هذا سنة ٤٦٨ هـ . وفعل مثل هذا جاولي سنة ٥٠٢ هـ . (٧) .

وحد السور الذي بناه العقيليون والسلاجقة من بعدهم من جهة الشمال يمتد من باب المشرقة - قرب عيسى دده - ويتجه غربا تاركا الميدان

(١) الكامل (١٠ : ٢٤٦)

(٢) الحوادث الجامعة (ص : ٣٤٦ ، ٣٤٧) دول الاسلام (٢ : ١٧٨) .

البداية والنهاية (١٣ : ٢٣٤) ابن العبري (ص : ٢٩٤ ، ٢٩٥)

(٣) فتوح البلدان (ص : ٣٤٧ ، ٣٤٨)

(٤) معجم البلدان (٨ : ١٩٨)

(٥) - (٧) الكامل (١٠ : ١٤٣ ، ١٥٩) ، (١٠ : ١٧٢)

خارجه حتى ينهي في باب سنجار أي باب الميدان .
ولما تولى الموصل عماد الدين زنكي وأخذها عاصمة للملكه
رأى من الضروري ان يحكم تحصين المدينة . فوسع السور من الجهة
الشمالية من المدينة وأدخل الميدان بها فيه قصور الأماره داخل السور الجديد
الذي بناه ، كما أنه رفع السور من سائر جهاته وأحكمه ، وعمر الخندق
الذي يحيط به . وكان هذا سنة ٥٢٧ هـ . (١)

وصار للميدان كما قدمنا سورين أحدهما السور السلجوقي والثاني
السور الاتابكي الذي بناه عماد الدين زنكي . جاء عن حصار نور الدين
الموصل سنة ٥٦٦ هـ . دخل نور الدين من باب السر . وركب عبد المسيح
وخرج يدور بين السورين . (٢)

وذكر أبو الفداء في كلامه عن الموصل : ولها سوران قد خرب
بعضهما . (٣)

وذكر ابن بطوطة مثل هذا ان الموصل سورين غير سور القلعة . (٤)
ووصف ابن جبير عظمة هذا السور وما فيه من الأبراج المحككة
والبيوت الكثيرة التي تسكنها الجيوش المقاتلة فقال : هذه المدينة غنية
ضخمة ، حصينة فخمة ، قد طالت صحتها للزمن ، فأخذت أهبة استعدادها
لحوادث الفتن ، وقد كادت أبراجها تلتقي أنظاما ، لقرب مسافة بعضها من
بعض . وباطن الداخل منها بيوت بعضها على بعض مستديرة بجداره المطيب
بالبند كله . كان قد تسكن فتحها فيه لغلظ بنيت وسعة وضعه ، وللمقاتلة
في هذه البيوت حرز ووقاية ، وهي من المرافق الحربية . (٥)

كان لسور الموصل تسعة أبواب في العهد الاتابكي وهي :-
الباب العصادي : فتحه عماد الدين زنكي سنة ٥٢٧ هـ وسمى باسمه .

- (١) الباهر (ص : ١٣٧) ، وفيات الاعيان (١ : ١١٤)
- (٢) الروضتين (١ : ١٩) (٣) تقويم البلدان (مخطوط)
- (٤) تحفة النظار (١ : ١٤٨) (٥) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٨)
- (٦) الروضتين (١ : ٤٣) (٧) الزيارات (ص : ٧٠)

وكان يؤدي إلى الرضف الأعلى من المدينة ولم يزل موقعه يعرف بهذا الاسم . وكان يقابل مشهد الطرح (بنجة على) وهو غير باب النوبة، أو باب الحرية الذي فتح في أوائل القرن العشرين .

باب سنجار وكان يقع في اللحف الغربي من تل الكناسة ولم يزل مكانه إلى اليوم يسمى باب سنجار ويؤدي إلى الجهة الغربية من المدينة . وهو من أقدم أبواب المدينة . ذكره أبو زكريا الأزدى في حوادث سنة ١٢٩ هـ وكان الأتابكيون قد جددوا بناءه . وآخر من جددته منهم هو بدر الدين مؤلف سنة ٩٤٩ هـ . (١)

وكان الباب من أوسع أبواب المدينة يحيط به من الداخل مرافق كثيرة للجيش وخيوله وعناقه .

باب كندة وهو من الأبواب التي كانت تقع غربي المدينة . ولما حاصر صلاح الدين الأيوبي الموصل سنة ٥٧٨ هـ نزل فحاذى باب كندة وانزل صاحب حصن كيفا محمد بن قرار على باب الجسر . وانزل ناج المنوك عند الباب العمادي (٢) . ولعل باب البيض بني في محل باب كندة المذكور .

باب الجصاصة : الجصاصة أو الجصاصون هم الذين يشتغلون بقطع الحجارة وعمل الجص منها . ومن المحلات التي كانت ولم تزل مشهورة في عمل الجص هو القسم الواقع جنوبي غربي المدينة . ولذا فانا نرجح بأن الباب المذكور كان يقع في هذا القسم من المدينة ولعله كان يقع قريبا من المحل الذي يلتقي به شارع ابن الأثير بشارع نينوى - في الوقت الحاضر . وكان للجصاصين شأن يذكر في أحكام سور المدينة أو تخريبه . ولما حاصر السلطان محمود السلجوقي « جاولى » في الموصل سنة ٥٠٢ هـ أغتاط أهل المدينة وبخرج الجصاصة نهار الجمعة وفتحوا الباب إلى السلطان . (٣)

(١) مجموع الكتابات (ص : ١٩٥) (٢) الكامل (١١ : ١٩٧)

(٣) الكامل (٩ : ١٤٦ ، ١٤٧) (١٠ : ١٧٢)

ومن دروب الموصل الشهيرة هو درب الحصاصة ودرب الحصاصين
ولا شك انهما كانا يؤديان الى باب الحصاصين * (١)

الباب الغربي وهو من الابواب التي كانت تؤدي الى عريبي المدينة
أيضا * وهذا الباب من الابواب التي لم يمكن من تعيين موقعها بالضبط *
وذكر عنه ابن الاثير انه كان يقع بين باب كندة وباب العراق وان
الذي فتحه هو عز الدين محمود بن قطب الدين مودود ولم يكن قبله هناك
باب * وأنفع به أهل ذلك الصقع * (٢)

باب العراق كان يؤدي الى الجهة الجنوبية - جهة العراق - ولم يزل
محلته معروفا بهذا الاسم * كما ان المحلة التي بنت قريبا منه تسمى - محلة
باب العراق - * وأخبار كثيرة من القرن الخامس للهجرة الى يومنا هذا *
باب القصابين وهو على ما أرى من الابواب التي كانت تؤدي الى جنوب
المدينة وهو من ابواب الموصل القديمة * ذكر أبو زكريا في حوادث سنة ١٨٩ هـ
وبقي يعرف بهذا الاسم الى القرن السادس للهجرة وهو كما يدل عليه
أسسه كان يؤدي الى سوق القصابين * والذي نرجحه انه كان يقع قرب
باب السراي *

باب الجسر وهو من ابواب الموصل القديمة أيضا * وأقدم ذكر له
في أوائل القرن الثاني للهجرة * وبقي معروفا بهذا الاسم الى أيامنا هذه *
وهو يقع في مدخل الجسر الخشبي القديم الذي رفع سنة ١٩٣٤ هـ على أثر
بناء الجسر الحديدي المسمى (جسر الملك غازي) * وأخباره في العهد
الأتاكي كثيرة * وهو من أشهر ابواب المدينة لانه الباب الوحيد الذي كان
يصل المدينة بالجهة الشرقية منها * (٣)

باب المشرقة كان يقع قريبا من دور المملكة يؤدي الى النهر * بنى
عليه الملك سيف الدين غازي سنة ٥٤١ هـ رباطا * والرباط يسمى اليوم
مقام (عيسى دود) *

(١) احسن التقاسيم (ص: ١٢٨) (٢) الباهر (ص: ٣٤٥)

(٣) انظر سور الموصل (سور: ٣ : ١٢٢)

الاسواق

كانت أسواق الموصل الرئيسية في العهد الأموي - حول الجامع الأموي وهو مركز المدينة في ذلك الوقت بجواره دار الامارة . (١)

ثم ان أسامعيل بن علي بن عبد الله العباسي نقل الاسواق الى خارج المدينة سنة ١٣٧ هـ وبني في وسطها مسجد أبي خاضر - مسجد الشالجي - في الوقت الحاضر . (٢)

كما ان الخليفة المهدي كان قد وسع الجامع الأموي سنة ١٩٧ هـ وأضاف اليه ما كان يحيط به من الاسواق . (٣) وهكذا انتقلت معظم الاسواق الكبيرة الى قرب الجامع النوري وأخذت تتوسع هذه بتوسع المدينة حتى صارت الاسواق التجارية المهمة تحيط بالجامع النوري وهو في وسط مدينة الموصل على عهد الدولة الانباركية . (٤)

على ان بعض الاسواق بقيت في محلها القديم في شرقي الموصل خاصة الاسواق التي يحتاجها الفلاحون كسوق القتابين وسوق الشعارين وسوق الارباء .

ونشأت أسواق أخرى قريبة من باب الجسر وهي الاسواق التي كان يستأجر منها الفلاحون الذين يقصدون الموصل من الجهة الشرقية . فسوق الشعارين وهو من أقدم أسواق مدينة الموصل . جاء ذكره في القرن الاول للهجرة ولم يزل معروفا الى اليوم بهذا الاسم .

وسوق القتابين (٥) وهو أيضا من أسواق الموصل القديمة التي ذكرت في القرن الاول للهجرة وبقي هذا السوق يعرف بهذا الاسم الى القرن السادس للهجرة .

(١) الكامل (١١ : ٢٠٨)

(١) - (٣) سبوعر (٧ : ٢٢٨) (٦ : ٢١٣ - ٢١٤)

(٤) معجم البلدان (٨ : ١٩٧)

(٥) سوق القتابين : يباع به قصب الابل وما يتبع هذا من ادوات

وسوق الاربعاء وكان يقام به سوق في يوم الاربعاء من كل أسبوع ثم
بنى به وعرف بهذا الاسم وقد مر الكلام عنه .

وهناك أسواق أخرى كانت في أحيائها الداخلية وفي أرباضها .
ففي الرضى الأسفل السوق الذي بناه مجاهد الدين قيسار وهو من
الأسواق الكبيرة المألوفة في الموصل ومحط التجار الذين يأتون من الجهة
الجنوبية .

ومن أسواقها الكبيرة داخل المدينة « جهاز سوك » وهو يقع في وسط
المدينة ايضاً . في المحلة التي لم تزل تسمى باسمه . وأدركنا هذا السوق
الى عهد قريب . ثم هدمت أكثر دكاكينه . وأضيفت أرضها الى تسوارع
الفاروق .

وسوق التركمان وهو يقع شرقي المدينة يجاور الميدان . وقد تقدم
الكلام عن محلة سوق التركمان التي سميت باسمه .

ومن قيسريات الموصل المشهورة هي قيسرية الجامع النوري وكانت
وفقاً عليه . وعدد دكاكينها (٦٩٩) ^(١) دكاناً . ولا نعلم موقعها بالضبط .
فلعلها كانت تجاور الجامع ضمن الأسواق التي تحيط به .

والقيصرية التي بناها مجاهد الدين قيسار ووصفها ابن جبير بقوله -
« وفي سوقه قيسرية لتجار كأنها الخان العظيم تعلق عليها أبواب حديد
بعضها على بعض » وقد جلي ذلك كله في أعظم صورة من البناء المزخرف
الذي لا مثيل له ، فما أرى في البلاد قيسرية تعادلها . ^(٢) وهي أيضاً داخل
مدينة الموصل .

وقيصرية المسك وعدد دكاكينها (١١) دكاناً وهي داخل المدينة أيضاً . ^(٣)
وعشرنا على أسماء بعض الشوارع القديمة في الموصل ولم نتحقق من
مواقعها بالضبط ونذكرها مع وجهة نظرنا في مواقعها لعل هذا يدفع الباحثين

(١) سوبر (٥ : ٢٧٩ - ٢٨٠)

(٢) رحلة ابن جبير (ص : ١٨٨) (٣) منية الادياء (ص : ٦٨)

الى التحقيق عنها ومعاونتنا في الامر . وهي : سكة أبي نجيج وهي مسن
سكك الموصل القديمة أيضا ، وقد سلمت سكة أبي نجيج عندما غزا الغز
الموصل سنة ٤٣٠ هـ .^(١) وفي القرن السابع للهجرة كان بها دار الطبيب
مذهب الدين بن حبل المتوفي سنة ٦١٠ هـ .^(٢) وكانت دار الحديث
المهاجرية تقع في سكة أبي نجيج .^(٣)

والذي نراه انها كانت تمتد من سوق الميدان الحالية الى مدرسة كمال
الدين بن يونس - جامع شيخ الشط - ولم يزل هذا الشارع من شوارع
الموصل الرئيسية .

درب باصلوت : وباصلوث محرف عن (بيت صلوتا) لفظ آرامي معناه
(بيت الصلاة) وهو من التوارع القديمة في الموصل^(٤) ولم يزل موقع
بيت صلوتا معلوما الى اليوم وهو على يسار المذهب من شارع نينوى الى
الموصل الجديدة بعد عبور سكة حديد القطار ، ويسميه أهل الموصل
(بسطوطات) وهو محرف عن باصلوتا .

درب بني مبد : وهو من شوارع الموصل القديمة . فقد جاء في
تاريخ الموصل للأزدى في حوادث سنة ١٩٠ هـ ، تولى الموصل خالد بن
يزيد بن حاتم بن قيسه بن المهلب ودخلها من درب بني مبد فأكسر لواء
قائده أبو الشيبس - وكان معه - :

ما كان منكسر اللواء لطيرة تخشى ولا أمر يكون مزبلا

لكن هذا الرمح أضعفركه صغر الولاية فأستقل الموصل

فسرى عن خالد . وذكره المقدسي في القرن الرابع للهجرة انه
من شوارع الموصل الرئيسية . وبقي يعرف بهذا الاسم الى الدور الانابكي .
والذي نراه انه كان يؤدي الى جهة باب العراق اي انه كان الى الجهة
الجنوبية من الموصل .

درب أبيها الطيب : جاء ذكر هذا الشارع في حوادث سنة ١٩٦ هـ ان

(١) الكامل (٩ : ١٤٦) (٢) عيون الانباء (١ : ٣٠٤ ، ٣٠٥)

(٣) الاستاذ (ص : ١٢٠) ، (٤) احسن التقاسيم (ص : ١٢٨)

أصحاب البيعة المعروفة بمر توما المتحورة للمسجد المعروف ببني أسباط الصيرفي
المقابل لدرب بني أيليا الطيب (١) . فسيمة
ماز توما لم تزل تعرف بهذا الاسم ، ومسجد بني سباط هو مسجد خرورج ،
والشارع الذي أمامه هو درب بني أيليا الطيب .

بقي الشارع يعرف بهذا الاسم الى القرن السادس للهجرة ، فقد جاء
عن آق سنقر البرسقي صاحب الموصل الذي قتله الباطنية سنة ٥٢٠ انه
وقع البحث عن حال الباطنية والاستقصاء عن أخبارهم ، فقبل أنهم كانوا
يجلسون الى اسكاف بدرب أيليا فاحضروه (٢) .

درب ~~بني أمير المؤمنين~~ ^{المسجد العالي} : وهو من الشوارع التي كانت تؤدي الى
والدير الأعلى « قرب باشطابية » ويسر بالميدان أمام دور المملكة . ولم يزل
هذا الشارع من شوارع المدينة الرئيسة .

درب رحي أمير المؤمنين : وهو من الشوارع التي كانت تؤدي الى
النهر . وأنه كان على النهر رحي تسمى « رحي أمير المؤمنين » والذي نراه
ان الرحي المذكورة هي إحدى الأرحية التي كان الأمويون قد أوقفوها لصرف
ريعيها على أدامة نهر الحر بن يوسف الأموي الذي حفروه من دجلة الى
الموصل والذي صار فيما بعد يعرف بنهر زبيدة (٣) . وان شاطئ دجلة الذي
تحت مدرسة كمال الدين بن يونس يسمى شط الرحي . والمتواتر عند أهل
الموصل انه كان يوجد رحي في هذا المكان فلعل شارع رحي أمير المؤمنين
كان يؤدي الى هذه الرحي . وان شارع شط المكاوي الذي يتفرع من
سوق الشعارين الى باب شط المكاوي ، يؤدي الى الرحي المذكورة . والذي
نراه انه شارع (رحي أمير المؤمنين)

درب الدباغين : من شوارع الموصل الرئيسة . ومن عادة الدباغين
انهم كانوا يجعلون مداينهم على دجلة وان المداين كانت جنوبى المدينة اي

(١) تاريخ الموصل - للزردى . ص ٧ : (٢٢٢)

(٢) الكامل (١٠ : ٢٤٢)

(٣) ص ٧ : (٢٤٤)

جنوب شط الحصا • فلعلى الشارع كان يصل المدينة بهذا المكان •
 درب جليل : ولم نقف على ذكر له سوى انه من شوارع الموصل
 القديمة ولم تتوفق لتعيين موقعه •

١ - الجوامع

الجامع الاموى

هو اول جامع بنى في الموصل بناء عتبة بن فرقد السلمي سنة ١٧ هـ
 وبنى الى جنبه دار الامارة ثم وسعه عرفجة بن هرثمة البارقى •
 ولما تولى مروان بن محمد الموصل هدم الجامع ووسعه وبنى فيه
 مقصورة ومنارة وبنى الى جنبه مطابخ يطبخ بها الفقراء في شهر رمضان •
 وصار يعرف (بالجامع الاموى) •

وفي سنة ١٦٧ هـ أمر الخليفة المهدي عامله موسى بن مصعب بن
 عمير ان يضيف الى الجامع الاسواق التي كانت تحيط به فهدمها مصعب
 مع المطابخ و اضافها الى الجامع ووسعه •

وكانت حالة الجامع غير مرضية في القرن الخامس للهجرة وذلك
 على عهد النواة السلاجقة فتداعى بنيانه وترك الناس الصلاة فيه الا يوم الجمعة •
 وان الانابكيين اهتموا في عمارة الموصل وتجديد كافة مرافقها فجددوا
 عمارة سنة ٥٢٣ وذلك على يد سيف الدين غازي الاول بن عماد الدين
 زنكي وكانوا يسمونه الجامع العتيق تميزا له عن الجامع الجديد - الجامع
 النورى - واهتم الانابكيون بتزيينه وزخرفته • وما لاحظته فيه ابن جبير
 النافورة التي كانت في صحنه قال عنها • • • • • وفي مسحن هذا الجامع قبة
 داخلها سارية رخام قائم قد خلل جديدها بخمسة خلاخل مفتولة قتل السوار
 من جرم رخامها • وفي أعلاها خصه رخام مشنعة يخرج عليها أبواب من
 الماء خروج أنزعاج وشدة فيرتفع في الهواء أزيد من القائمة • كأنه تضبيب
 من البلور معتدل ثم ينعكس في أسفل القبة • • (١)

(١) انظر عن حالة الجامع في مختلف العصور

(سومر : ٦ : ٢١١ - ٢٢٠)

والجامع في الوقت الحاضر صغير تقام به الجمعة وقد اتخذ قسم كبير من فناءه مقابر عامة وتسمى مقبرة الصحراء وكانت تسمى مقبرة الجامع العتيق .

ولم يصلنا من آثار الجامع الأموي سوى المحراب الذي بناه الأنابكيون وهو الذي كان قد نقله الشيخ محمد النوري إلى الجامع النوري وقد أعيد في مصلى الجامع النوري بعد تجديده . وهو من أجمل مجازيب الموصل مزخرف بزخارف نباتية متشابكة ومناظرة صنعه سنة ٥٤٣ هـ مستقر البغدادى . ووصلنا بقايا المنارة الأجرية التي تعرف اليوم بمنارة الكوازين . وهي تبعد عن الجامع بما يزيد على (١٥٠) م وكانت داخل الجامع . والمنارة هي من بناء الأنابكيين أيضا فهي تشبه منائر الجوامع التي بنيت في ذلك العصر . ولم يبق منها سوى جزء خال من النقش والزخرفة .

وكان فيه لابن جني المتوفى (٣٩٢ -) حلقة علمية يتلقى عنه طلابه النحو . ومرتبه أبو علي الفارسي فوجده في حلقة يقرئ النحو وهو شاب . فسأله أبو علي عن مسألة في التصريف فقصر فيها فقال له أبو علي : زبت وانت حصرو . . . فسأل ابن جني عنه فقبل له : هذا أبو علي الفارسي . فلزمه من يومئذ واعتنى بالتصريف . (١)

وفي القرن السابع للهجرة كان العلامة موفق الدين الكواشي الامام الفخر يعقد به حلقة يدرس فيها التفسير . وألف فيه التفسير الكبير والتفسير الصغير . (٢)

الجامع النوري

دخل نور الدين محمود زنكي الموصل سنة ٥٩٩ هـ ومكث فيها (٢٤) يوما نظم خلالها شؤون البلد وأزال عنها المظالم . ورفع كثيرا من الضرائب التي كان يفرضها الدين عبد المسيح قد وضعها ، وكان في المدينة جامع واحد

(١) وفيات الاعيان (١ : ٢١٣ ، ٢١٤) معجم الادباء (١٢ : ٩٠ ، ٩١)

(٢) النجوم الزاهرة (٧ : ٣٤٩)

بجميع به • وقد ضاق بالمصلين خاصة وان المدينة قد ضاقت بسكانها • (١)
 وذكروا له ان في وسط الموصل خربة واسعة تصلح ان تكون جامعا
 كبيرا لوقوعها في وسط اسواق المدينة • وكان الذين أشار عليه
 باتباع الخربة وبنائها جامعا هو شيخه معين الدولة عمر بن محمد الملا •
 فركب نور الدين الى محل الخربة • وصعد منارة مسجد أبي حنيفة •
 وأشرف على الخربة • وأمر ان يضاف اليها ما يجاورها من الدور والحوانيت،
 وان تؤخذ من أصحابها يرضاهم ، بعد ان يدفع اليهم اثمانها •
 ورأى نور الدين ان خير رجل يقوم ببناء الجامع بأمانة وأخلاص هو
 شيخه « معين الدولة عمر بن محمد الملا » لذلك فوض اليه أمر بنائه •
 وان بعض أتباع « نور الدين » كانوا يرغبون ان يقوموا بالعمل • فقالوا له :
 ان هذا الرجل لا يصلح لمثل هذا العمل • فأجابهم نور الدين : اذا وليت
 العمل بعض أصحابي من الاجناد او الكتاب أعلم انه يظلم في بعض الاوقات،
 ولا يبني الجامع بظلم رجل مسلم • واذا وليت هذا الشيخ غلب على ظني
 انه لا يظلم • فاذا ظلم كان الائم عليه لا علي •

بأمر الشيخ عمر ببناء الجامع سنة ٥٦٦ هـ • فابتاع الخربة من
 أصحابها وأضاف اليها ما يجاورها من الدور والحوانيت بعد ان اشتراها
 بأوفر الاسان • وكان ينال تناخير الجص بنفسه • وبقي يشتغل في عمارة
 الجامع ثلاث سنوات • انتهى منه سنة ٥٦٨ هـ •
 وكان نور الدين قد زار الموصل مرة ثانية سنة ٥٦٨ وصلى بجامعه
 بعد ان فرشته بالبسط والحضران وعين له مؤذنين وخداما وقومة ورتب له
 كل ما يلزمه •

أما ما صرف على الجامع فيذكر بعض المؤرخين انه كان ستين ألف
 دينار صرفها من الغنائم التي غنمها من فتوح الفرنجة • وذكر بعضهم انه
 كان ثلاثمائة ألف دينار • ومهما يكن من أمر فان بناء جامع كبير كجامع
 نور الدين يكلف مبلغا كبيرا - خاصة وانه زينة بالخزاف والكتابات • كان

(١) انظر عن حالة الجامع في مختلف العصور (سومر : ٥ : ٢٧٦ -

بعضها في الرخام المطعم وبعضها في الجبس • ولم يزل بعضها باقيا الى اليوم •
وكان الجامع آية في الفن فيذكر أبو شامة انه : اليه النهاية في الحسن
والإبداع •

كما ان نور الدين اوقف له اوقافا كثيرة لصيانه وأدامته والصرف على
من يتولى أموره •

وينتسب به نور الدين مدرسة • وقد ذكرناها عند كلامنا عن مدارس
الموصل •

وهذا الجامع لم يزل الى اليوم من الجوامع المشهورة في العالم الاسلامي •
وخاصة منارته المنحنية الى الشرق والتي هي اطول منارة في العراق • يبلغ
ارتفاعها ستين مترا • وهي مزينة بزخارف آجرية جميلة • ولها طريقان:
احدهما من الارض • والثاني من القسم المنشوري (الكرسی) • والطريقان
لا يلتقيان داخل المنارة • وكلاهما يؤدي الى اعلاها •

الجامع المجاهدي

أبو منصور قيمانز (قايمانز) بن عبد الله الزيني الملقب مجاهد الدين
من أهل سجستان اشتراه زين الدين والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري
صاحب أربل وقدمه في دولته حتى صار صاحب الامر فيها • وفي سنة
٥٧١ هـ (١١٧٥ م) انتقل الى الموصل وتولى دزدارية قلعته وصار من ارباب
الدولة الذين يعتمد عليهم في أمورها وكان من خيرة رجال الدولة الانابكية •
كان نجبا للعسيران فائز آثار حسنة في اربل والموصل • بنى في اربل
مدرسة وخانقاها للصوفية ووقف لهما الوقوف الكثيرة وبنى في الموصل
الجامع المجاهدي • والمارستان المجاهدي والجسر المجاهدي الذي كان يصل
بين الرض الاسفل بالجانب الايسر والرباط المجاهدي ومكتبا للايتام والمدرسة
المجاهدية - وكلها الرض الاسفل من الموصل • والتفسيرية المجاهدية
وهي في سوق الموصل الداخلي •

كان في الموصل جامعان يجمع بهما : الجامع الأموي والجامع النوري .
وكان الرض الأسفل كالمدينة بعمرانه وأسواقه ويلاقي سكانه صعوبة في
الذهاب إلى أحد الجامعين لإداء صلاة الجمعة . فقرر رأيته على أن يبنى جامعاً
في هذا الرض ليريح الناس .

وفي سنة ٥٧٢ باشر بعمارة الجامع واستخدم في بنائه أشهر البنائين
والقناتين وصرف عليه مبلغاً كبيراً واستمر العمل به خمس سنين فكان من
الجوامع المعدودة في بلاد الجزيرة . وأقيمت فيه صلاة الجمعة سنة ٥٧٥
قبل أن تكمل عمارة مرافقه .

وعلى هذا فيكون الجامع المجاهدى هو ثالث جامع أقيمت فيه صلاة
الجمعة في مدينة الموصل . ونستدل من التاريخ الذي كان عليه أن عمارته
كملت سنة ٥٧٦ هـ .

كان الجامع أكبر مما هو عليه الآن . وأعتنى مجاهد الدين في تزيينه
بكتابات مختلفة وزخارف متنوعة بعضها بالجبس وبعضها بالأجر وبالمرمر
المطعم بالصدف .

وفي سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤ م) زار الموصل الرحالة الاندلسي ابن
حبر ووصى في جامع مجاهد الدين فأعجب به غاية الإعجاب لما شاهده من
حسن موقعه وحسن هندسته وتنوع زخارفه فقال في وصفه عند كلامه على
الرض الأسفل : . . . وأحدث فيه بعض أمراء البلدة - وكان يعرف
بمجاهد الدين - جامعاً على شط دجلة ما أرى وضع جامع أحفل منه بناءً ،
بقصر الوصف عنه ، وعن تزيينه وترتيبه ، وكل ذلك نقش في الأجر .
وأما مقصورته فتذكر بمقاصير الجنة ويطيف به شبابك حديد تصل بها
مصاطب تشرف على دجلة لا مقعد أشرف منها ولا أحسن ووصفه يطول
وانما وقع الإلماع ببعض جريا إلى الاختصار . .

أما قبة الجامع فسنة بالأجر أما باطن القبة فكان مزينا بكتابات وزخارف
مختلفة وكلها بالجبس . فكان مكتوباً حولها آيات من القرآن الكريم بعضها
بالخط الكوفي وبعضها بالخط النسخي . وما يؤسف له أن الترميمات

المتألفة التي أجريت على القبة طلست معالم ما كان فيها من كتابات وزخارف .
واقبة لم تزل باقية الى اليوم وهي بحالة حسنة .

ووصلنا سالما من آثار الجامع أيضا المحراب الكبير الذي هو أكبر
محراب أنابكي وقفنا عليه . وقد دعم المحراب مؤخرا من خارجه وداخله
بناء من الجص والحجارة للمحافظة عليه . وفي أعلى المحراب زخارف
جسدية فريدة في بابها . وهي تتألف من زخارف نباتية يتخللها مسور
حيوانات كالأسد والغزال وطيور البقرة كالبط والحمام متداخلة تداخلا كليا
مع غيرها من الزخارف بصورة متناظرة بحيث تكون الصور متحدة للزخارف
النباتية ويصعب على الناظر تمييز ما فيها لأول مرة . فقد أبدع الفنان في
أخراجها . وإن جميع الصور والزخارف باقرة وهي بحالة مرضية .
والجامع في الوقت الحاضر أصغر مما كان عليه في العهد الأنابكي
ويسمى جامع الخضراء أو الجامع الأحمر . وتقام به صلاة الجمعة . (١)

٢ - المدارس

المدرسة النظامية

بناها نظام الملك الوزير المشهور (٤٠٨ - ٤٨٥ هـ) ذكر ابن الأثير
عنه كلامه عن القاضي أبي بكر محمد بن علي بن الحسن بن أبي خالد الخالدي
المعروف بالسديد - قاضي الموصل - « وبني له نظام الملك مدرسة بالموصل ،
وهي الآن بالقرب من الجامع النوري وتعرف بهم » . (٢)
ومن درس فيها : أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهر زوزي
(٥١٨ - ٥٥٨ هـ) جاء عنه « فانتقل الى الموصل وتولى قضاءها ، ودرس بمدرسة والده ،
والأنابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القصوية » . (٣)

(١) الجامع المجاهد في مختلف العصور ! لنا بحث عنه في سوبر
(١١ : ١٧٧ - ١٨٧)
(٢) - (٣) اللباب في الانساب (١ : ٢٩٩) وفيات الاعيان
(١ : ٤٧٣) طبقات الشافعية (٤ : ٢٧٥ ، ١٠)

وأحمد بن نصر بن الحسن أبو العباس الألبازي المعروف بالنمس
الذي المتوفى سنة ٥٩٨ هـ . كان هذا من علماء الموصل ودرس بالخطابية
والإنابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القضيوة . (٢)

والذي نراه أن مقام علي الأصغر المعروف بمقام ابن علي أو مقام ابن
الحقبة قد اتخذ في بناية المدرسة النظامية ، فهو يقابل الجامع النوري ، يفصل
بينهما ساحة عليها كانت فناء المدرسة المذكورة .

والذي اتخذ مقام ابن علي بها هو بدر الدين لؤلؤ عندما أبطل التدريس
في كثير من مدارس الموصل واتخذها مقامات لآل البيت ، لكي يقاوم الحركة
العدوية التي قام بها الشيخ حسن شمس الدين بن الشيخ عدى بن الشيخ
صخر الأسوي العدوي .

وجدد البناء في فترات متباعدة آخرها سنة ٧٣١ هـ = ١٣٣٠ م .
على يد تقيب الموصل حيدر بن التقيب محمد شرف الدين الحسيني .

والمدرسة في الوقت الحاضر هي مرقد لابن علي ، وهي تشمل على فناء
صغير ينزل منه إلى ما يشبه المصلى ، وينزل من هذا القسم إلى بناية المدرسة ، وهي
عبارة عن غرفتين - في الأولى منها قبر من المرمم الأسمر (الحلان) أقامه بدر الدين
لؤلؤ . والثانية فيها صندوق من خشب فوقه ستر ، وفوق هذه الغرفة قبة
مرتفعة . واعتقد بأن الصندوق وتجدد البناء كان في القرن الثامن للهجرة . (١)

وأهم الآثار التي تستحق الذكر في هذه المدرسة هو : محراب
نقش من المرمم الأزرق المطعم بمرمر أبيض وحول المحراب مكتوب بخط
كوفي البسلة وآيات من القرآن الكريم .

(١) كان مكتوباً فوق شباك الحضرة : جدد هذا الشباك المبارك في
ولاية المولى الحسينب التقيب أحمد أبو العباس محي الدين حيدروه بن محمد
شرف الدين بن محمد بن عبيد الله الحسيني . أعز الله نصاره . في
شهور سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة هـ .
انظر مجموع الكتابات (ص : ١٠٦)

(٢) المدرسة الانابكية العتيقة

بناها سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر (٥٥٤١ هـ) وكان من خيرة الملوك الانابكيين في الموصل يحب العلم وأهله ، منطويا على خير وسلاح ودفن فيها بعد موته . ذكر عنه أبو شامة المقدسي . وبنى بالموصل المدرسة الانابكية العتيقة وهي من أحسن المدارس وأوسعها وجعلها وفقا على الفقهاء الشافعية والحنفية نصفيين . وبنى رباطا للصوفية بالموصل أيضا ، وهو الرباط المجاور لباب المشرقة ، ووقف عليها الوقوف الكثيرة . وبعد موته دفن بديرسته هذه . (١)

ومن درس فيها : أبو البركات عبد الله بن الحسين المعروف بابن الشيرجي المتوفى سنة ٥٧٤ الذي درس على ابن شداد العالم المشهور . (٢) وأما الرباط فكان يقع على باب المشرقة ، وهو أحد أبواب الموصل التي تؤدي الى النهر . وإن مقام عيسى دده في موقع الرباط المذكور . ولعل المدرسة كانت تجاور الرباط فإن صح هذا فإنها كانت تقع على دجلة قرب مقام عيسى دده الحالي . (٣)

(٣) مسجد زين الدين (المدرسة الكمالية)

بناها زين الدين أبو الحسن علي بن بكتكين المتوفى سنة (٥٦٣ هـ) وهو والد الملك المعظم مظفر الدين أبي سعيد كوكبورى صاحب أربل . جاء عن رضي الدين يونس بن منه (٥٠٨ - ٥٧٦ هـ = ١١٤ - ١١٨٠ هـ) وصادف قبولا تاما عند المتولى بها - الموصل - الأمير زين الدين أبي الحسن علي بن بكتكين والد الملك المعظم مظفر الدين صاحب أربل وفوض له تدريس مسجده المعروف به ، وجعل نظره اليه ، فكان يدرس به وضي ويأظر وتقصده الطلبة للاشتغال عليه .

(١) الروضتين في اخبار الدولتين (١ : ٦٥) وانظر أيضا الباهر (ص : ١٦٧) و امرأة الجنان (٣ : ٢٨٤) الكامل (١١ : ٥٦)
(٢) وفيات الاعيان (٢ : ٣٥٤ ، ٣٥٥)
(٣) انظر عن عيسى دده (منية الادباء : ص : ١٢١)

وعلى هذا فابن يونس بن منعم هو اول من فوض اليه التدريس في
هذا المسجد . ودرس به بعده ولده كمال الدين وصار يعرف المسجد
بالمدرسة الكمالية .

قال ابن خلكان عند كلامه عن كمال الدين بن يونس بن منعم
(٥٥٦ - ٦٣٩ هـ) . ودرس بعد وفاة والده في التاريخ الاثنى ذكره في
رحمته ان شاء الله وهو سنة (٥٧٦ هـ) بالمسجد المعروف بالامير زين
الدين - صاحب اربل - وهذا المسجد رأيته وهو على وضع المدرسة -
وتعرف بالكمالية لانه نسب الى كمال الدين المذكور لطول اقامته به . (١)
وذكر ابن خلكان أيضا عند كلامه عن كمال الدين بن يونس « ودفن بقرية
المجاورة لمسجد زين الدين المذكور رحمه الله » .

وعلى هذا فمسجد زين الدين كان قد بنى على شكل مدرسة ودرس
به يونس بن منعم ، ثم درس به بعده ابنه كمال الدين بن يونس ، وصار
يعرف بالمدرسة الكمالية .

ولا علاقة بين مسجد زين الدين - المدرسة الكمالية - وبين المدرسة الزينية
التي اسمها زين الدين أبو الحسن على بن بكتكين - وهو الذي بنى المسجد
أيضا - فقد التبس هذا على بعضهم فجعل المدرسة الزينية ومسجد زين
الدين والمدرسة الكمالية - مدرسة واحدة . (٢)

وصار لهذه المدرسة - الكمالية - شهرة واسعة عندما كان يدرس
بها كمال الدين بن يونس وغلب اسمها على مدارس الموصل . فاذا قالوا
(المدرسة) أرادوا بها مدرسة كمال الدين بن يونس .

ولم تزل بنائها باقية الى اليوم وهي تشرف على دجلة وتعرف بمدرسة
ابن يونس . جاء في منهل الاولياء عند كلامه عن قره سراي

(١) - انظر عن المدرسة وفيات الاعيان (١ : ٤٢٥ - ٤٢٧)
(٢ : ٤١٩) ، (٢ : ٣٢) ، (٢ : ٤١٩) ، (٢ : ٣٢)
(٢) مخطوطات الموصل (ص : ٦ ، ٢١ ، ٢٢)

وسر بسافة على خاتمه المصوفة قد بقي آثار منها ومدرسة يقال أنها مدرسة الشيخ السابق ذكره ابن يونس النحوي * (١١) وقد بقيت قبها مينة بالآجر ، بناؤها محكم مرتفع جدا ، وهناك ينتهي الخراب وتصل العمارة * .

وباية المدرسة في الوقت الحاضر تسمى جامع شيخ الشط : تتألف من غرفة كبيرة مبنية الشكل فوقها قبة تستند الى مقرصات وهي على ما يظهر لنا - كانت مزينة بزخارف جسيمة من الداخل وزخارف وكتابات آجرية من الخارج * ولم يزل بعض هذه الزخارف بقيا الى اليوم * وقبة المدرسة مبنية من الآجر وهي بحالة يسكن صباتها والحافلة عليها * .

وفي سنة ١٣١٩ هـ رمم القبة وجدد بناؤها وبني اروقة أمامها أحمد بالثا بن بكر افندي الموصل ، وأقام متبرا داخل المدرسة وأخذها كلها كان يعرف بجامع الشهوان لانه يقع في المحلة التي تسكنها قبيلة الشهوان * وفناء المدرسة واسع قد بني فوق قسم من نكية الحاج محمد افندي الافغاني - شيخ الشط - وهو مدفون في هذه النكية * (١٢)

كما ان عددا من الدور التي تحيط بالمدرسة مبنية على ارض قسباء المدرسة ضمنها فهي عرصات وقفية * .

(٤) المدرسة الزينية

بناها زين الدين ابو الحسن علي بن بككين المتوفى سنة ٥٦٣ هـ * زين الدين هذا له آثار في الموصل ويذكر عنه ابن خلكان * ان له بالموصل اوقافا كثيرة مشهورة من مدارس وغيرها * ومن هذه الاوقاف المدرسة الزينية وهي غير مسجد زين الدين - المدرسة الكمالية - كما مر بنا آنفا * وصا يؤيد لنا ان الزينية هي غير مسجد زين الدين :

١ - ما ذكره ابن خلكان ان زين الدين اوقافا في الموصل من مدارس وغيرها * والزينية صا بناء واقفه زين الدين * وذكر ابن الاثير عنه ان له مدارس وربطا في الموصل وغيرها * (١٣)

(١) هو يونس بن منعة ، وليس بيونس النحوي .

(٢) مجموع الكتابات (ص : ١١١)

(٣) رقيات الاعيان (١ : ٤٣٥) الباهر (ص : ٢٤٢)

٢ - تولى التدريس في مسجد زين الدين : يونس بن منعة المتوفى سنة ٥٧٦ هـ = ١١٨٠ م وبعد وفاته درس فيه ابنه كمال الدين بن يونس المتوفى سنة ٦٣٩ هـ . (١)

وفي الوقت الذي كان يدرس كمال الدين في مسجد زين الدين كان أخوه عماد الدين بن يونس بن منعة يدرس في المدرسة الزينية . وكان معيدا عند في الزينية ابو علي الحسن بن عثمان بن علي الجزري المتوفى سنة ٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م وهو أحد فقهاء الشافعية . (٢) وعلى هذا ففى الزمن الذي كان يدرس كمال الدين في المسجد الزيني ، كان أخوه عماد الدين يدرس في المدرسة الزينية . فمسجد زين الدين هو غير مدرسة زين الدين .

ولا تعلم موقع المدرسة فقد عثت آثارها كما عثت مدارس ومعاهد كثيرة في الموصل وغيرها من أمهات المدن الإسلامية .

(٥) مدرسة الجامع النورى

بعد ان انتهى نور الدين محمود بن عماد الدين زنكى من بناء جامعہ في الموصل (٣) رأى من المفيد ان يجمع بين الدين والعلم في هذا الجامع . فبنى به مدرسة ووصل الموصل سنة ٥٦٨ هـ عماد الدين ابو بكر التوفاني الشافعي - من أصحاب الامام محمد بن يحيى - فسأله نور الدين ان يكون مدرسا في المدرسة وكتب له منشورا . ولم يكن التدريس مستمرا ففى المدرسة فقد تعطل بها بعد العهد الانابكي ، ثم درس بها في فترات متباعدة . ولم يبق لها أثر في الوقت الحاضر .

وفي الجامع النورى خزانة كتب كانت في المدرسة وهي الكتب التي أوقفها

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٦)

(٢) الجامع المختصر (٩ : ٣٠٩)

(٣) انظر عن الجامع النورى منية الادباء (ص : ١٤٠ ، ١٤١)

السيد محمد بن الملا جرجيس القادري النوري الذي سعى في ترصيم الجامع
واتخذ له فيه نكية سنة ١٢٨١ هـ . وبعض الكتب الأخرى أوقفها عائشة
خاتون بنت أحمد باننا الجليلي . (١)

(٦) المدرسة الكمالية القضائية

أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله بن أبي الفاسم
الشهرزوري الملقب كمال الدين الفقيه الشافعي ٤٩٢ - ٥٧٢ هـ = ١٠٩٨ -
١١٧٦ م من أشهر علماء الدولة الأتابكية ، ومن رجالها المبرزين في العلم
والسياسة . تولى القضاء ، ثم تولى الوزارة لنور الدين محمود .
وكان غظيم الرئاسة ، خيرا بتدبير الملك ، له كلمة مسموعة عند
الملوك والخليفة العباسي .

وكان فيها أدبا شاعرا كاتبا ظريفا ، فكه المجالسة كثير الصدقة
 والمعروف . أوقف أوقافا كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق والمدينة المنورة .
ومن آثاره في الموصل أنه بنى المدرسة الكمالية القضائية وأوقفها
على الفقهاء الشافعية ، وأوقف لها أوقافا كثيرة للنفقة عليها وعلى من يعلم
ويتعلم بها . (٢) ولا نعلم موقعها بالضبط . ومن درس فيها .

قاضي القضاة محيي الدين محمد بن كمال الدين الشهرزوري
(١٥٠ - ٥٦٨ هـ) فقه بغداد ، وولى قضاء حلب ثم قضاء الموصل ، ودرس
بمدرسة أبيه وبالمدرسة النظامية في الموصل . وكان من علماء زمانه
الشهوريين . (٣)

أحمد بن نصر بن الحسين أبو العباس الأنباري المعروف بالشمس
الدبلي التوفي سنة ٥٩٨ هـ وكان من علماء الموصل . وكانت له معرفة تامة
بالمذهب الشافعي درس بالنظامية والأتابكية العتيقة وبالمدرسة الكمالية القضائية
بالموصل . (٤)

(١) مجموع الكتابات (ص : ١٠٥) ومخطوطات الموصل (٨٦-٩١)

(٢) وفيات الأعيان (١ : ٤٧٢)

(٣) - (٤) السبكي (٤ : ١٠٠ ، ٥٧)

أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الاسدي قاضي حلب
المعروف بابن شداد الخفية الشافعي ، صاحب التأليف الكثيرة في الفقه
والتاريخ والحديث ، وهو من أشهر علماء الدولتين النورية والصلاحية ، ذكر
عنه ابن خلكان انه (حوالي سنة ٥٧٠ هـ = ١١٧٤ م) ثم أصدق الى الموصل
فترتب مدرسا في المدرسة التي أنشأها القاضي كمال الدين أبو الفضائل
محمد بن الشهرزوري . وكان قبل هذا معيدا في المدرسة النظامية ببغداد
توفي سنة ٥٩٩ هـ . (١)

(٧) المدرسة اليوسفية

لم نقت على ذكر من بنى هذه المدرسة وأين بنيت . وأخبارها قليلة
جدا . جاء عنها في الجواهر الخفية عند كلامه عن (ابن السمين الموصل) :-
ولد في رمضان سنة ٥٨٧ هـ (وكان من فقهاء الخفية ، ودرس فقه الامام
الاعظم أبي حنيفة - رضي الله عنه - بالمدرسة اليوسفية بالموصل على دجلة . (٢)
ولا نعرف موقع المدرسة بالضبط ، والذي نراه ان المدرسة المعروفة
في الموصل بمدرسة الطفرائي هي المدرسة اليوسفية المذكورة وانها نسبت
- خطأ - الى الطفرائي الشاعر المشهور ، لاننا لم نقف على نص اولى
يذكر ان الطفرائي بنى مدرسة في الموصل ، او انه درس في مدرسة ما في
الموصل ، وفي السنين المتأخرة نسبت الى الطفرائي من باب الحس والظن .
وان الثاني لا يقني من الحق شيئا .

اعلمني المرحوم السيد ناظم العمري ان الشيخ عبد الرحمن أفندي
الشيخ عبد الله أفندي بن الشيخ محمد أفندي القادري النوري

(١) وفيات الاعيان (٢ : ٣٥٥) شذرات الذهب (٥ : ١٥٨)

(٢) الجواهر الخفية (٢ : ١٩٨ ، ١٩٩) واورد له هذين البيتين :

الا قاتل الله الفراق فكم زمني صحيح فؤاد بعديكم بسهام
واغشى ليل الموصل بعد ابيضاضه ويا منسا محفوفة بسلام

هو أحد من سعى في عمارة هذه المدرسة بعد أن كانت خراباً تسكنها عائلة فقيرة ،
وفيها قبر عليه كتابة غير واضحة ، وبعد أن عسرها أطلق عليها مدرسة
الطغرائي فعرفت به وهو خطأ .

(٨) المدرسة العزية

بناها عز الدين بن مسعود الأول ابن قطب الدين مودود ٥٥٦ هـ -
٥٥٨٩ هـ قال عنه ابن الأثير : وهو الذي أنشأ المدرسة العزية بباب دار المملكة ،
وهي مدرسة حسنة ، جعلها للفريقين الحنفية والشافعية ، وقرر الفقهاء مائيس
لمدرسة أخرى من الفواكه والحلوى والدعوات في المواسم والأعياد والتسريح
للقوود والفحم وغير ذلك ، وقرر في وقفها من الصدقات كل أسبوع وفي
الأيام التسعة والمبلى المباركة شيئاً كثيراً ، كما أنه أنشأ له تربة فيها ودفن
في هذه التربة بعد موته . (١)

وشاهدت المدرسة والتربة ابن خلكان ، وقال عنهما عند كلامه عن عز
الدين مسعود : « وكان قد بنى بالموصل مدرسة كبيرة ، وقفها على الفقهاء
الشافعية والحنفية ، فدفن في هذه المدرسة في تربة في داخلها - رحمه الله -
ورأيت المدرسة والتربة وهي من أحسن المدارس والترب ، ومدرسة ولده
نور الدين أرسلان شاد في قبالتها ، وبينهما ساحة كبيرة . (٢) والمدرسة
العزية هي مقام الإمام عبد الرحمن ، كما هو مكتوب على باب المرقد . (٣)
وأما مدرسة ولده نور الدين أرسلان شاد - النورية - فهي التي نعرف اليوم

(١) الباهر (ص : ٣٤٥) الكامل (١٢ : ٤٢)

(٢) وفيات الأعيان (٢ : ٩٥)

(٣) مكتوب فوق باب المرقد : « التوفيق والدولة الدائمة الاتصال لولانا
الملك العادل العالم المؤيد المصور عز الدنيا والدين ركن الإسلام والمسلمين
نصير المجاهدين حافظ بلاد المسلمين شمس المعالي قاهر الخوارج والمرتدين
قاتل الكفرة (والتمردين) المازفين ملك أمراء الشرق أتابك مسعود بن
مودود بن زنكي بن أفسقر »

بمقام الامام محسن * وبنيهما ساحة واسعة ، وهي الارض المنبسطة التي كانت بينهما * وبعد ان قضى بدر الدين لؤلؤ على الدولة الاتاكية واراد ان يعفى كل أثر لها ويقاوم حركة العدويين في الموصل اتخذ فيها مقاما للامام عبيد الرحمن * والبناء الذي يضم مقام الامام عبد الرحمن هو نفس البناء الذي بناه عز الدين مسعود - كما يستدل من الكتابة التي على باب المرقف - * (١) ولم يبق من المدرسة العزية سوى غرفة واحدة مربعة الشكل فيها عرقيد الامام عبد الرحمن وفوق الغرفة قبة مشنة الشكل كالقباب التي بنيت في الموصل في القرنين السابع والثامن للهجرة *

وفي وسطها صندوق ضريح الامام عبد الرحمن وكان فيها محراب من المرمر الأزرق مطعم بالمرمر الأبيض وحوله كتابات كوفية * وهو على ما نرى محراب المدرسة العزية فهو بهذا يرجع الى القرن السادس للهجرة وهو قطعة واحدة من المرمر مسطح الشكل تزينه زخارف نباتية وقسي وعمد منحوتة نحسا بارزا * وهي أعلا وفي داخله مما يلي العمد كتابة كوفية بارزة أرفقها ٢/١٤ م وعرضه ٨٩/٠ م وعليه كتابات كوفية جميلة من طراز الكتابات الكوفية التي كانت شائعة في القرن السادس للهجرة * وهي عبارة عن البسملة وسورة الاخلاص * (٢) ويحيط بهذه القبة مقابر كثيرة من جهاتها الاربعة لمسادة العلويين وأكثرها للمسايلة * ومما لاشك فيه ان هذه المقابر اتخذت فوق الارض التي كانت فناء المدرسة ، وذلك بعد ان اتخذت مشهدا للامام عبد الرحمن وتعطل فيها التدريس *

(٩) المدرسة النورية

بناها نور الدين أرسلان شام الاول بن عز الدين مسعود الاول (٥٨٩ - ٦٠٧) وكان شهما شجاعا شديدا على أصحابه * أعاد هبة الدولة الاتاكية بعد ان كانت قد تضعفت فأحبه الشعب كثيرا * ذكر عنه « ومن مجلس أعماله المدرسة التي أنشأها بباطن الموصل - مقابل دار المسلكة -

(١) - (٢) - سومر (٧ - ٢١٩) خان مرجان (اللوحة : ٤٨)

وهي من أحسن المدارس وأوقف لها الوقوف الكثيرة ، وجعلها وقفاً على
ستين فقيهاً من الشافعية ، سوى ما فيها من الصدقات الدارة ، والعهيدات
للصوفية والفقراء . وكانت المدرسة جميلة للغاية وبني له تربة فيها . (١)
ذكر ابن خلكان عند كلامه عنه « وبني مدرسة للشافعية بالموصل قل
ان توجد مدرسة في حسمها ، ونوفى سنة ٦٠٧ ودفن في تربته التي بمدرسته
المذكورة » . (٢)

أما موقع المدرسة فكانت تقابل دور المسلكة - ولا تزال بقايا هذه الدور
موجودة الى اليوم وتعرف بقرة سراى . وعلى هذا فالذى نراه ان مقام
الامام محسن قد اتخذ في هذه المدرسة . يؤيد هذا ما ذكره ابن خلكان عند
كلامه عن مدرسة والده عز الدين مسعود فقال « ومدرسه ولده
عز الدين ارسلان شاد في قبالتها وبينهما ساحة كبيرة » . (٣)

ومدرسة عز الدين مسعود - العزبة - تعرف اليوم بمشهد الامام عبد
الرحمن - يفصل بينهما وبين المدرسة النورية - مقام الامام محسن - ساحة
واسعة . أدركنا هذه الساحة وهي ارض خالية من العسارة ، تقع في الميدان
الذي كان أمام دور المملكة .

كانت المدرسة كبيرة ومن مدارس الموصل المعدودة وهي في غاية الحسن
والانتظام قل ان يوجد مثلها مدرسة في الموصل .

ونستدل من وضعها الحالى انه لم يبق من المدرسة المذكورة الا جزء
صغير . واما القسم الكبير فقد اتخذ مقابر تحيط بها . كما يتضح لنا من
الالواح الرخامية الزرقاء المطعمة بالرخام الابيض والتي لم يزل بعضها موجودا
بأن المدرسة كانت مزينة بنقوش وكتابات مختلفة متنوعة مطعمة بالمرمر ولكن
أبدى البلى ذهب بسا كان في هذه المدرسة من نقاش الفن ولم يبق منها
سوى لوحين اثنين فقط .

ومن درس في هذه المدرسة :-

(١) الباهر (ص : ٣٦٨) . الروضتين (٢ : ٢٢٧)

(٢) (٣) وفيات الاعيان (١ : ٦٢) (٢ : ٩٥ ، ٩٦)

أبو حامد عماد الدين محمد بن يونس بن منعم (٥٣٥ - ٦٠٨ هـ)
ذكر عنه ابن خلكان ما يأتي « » وعاد الى الموصل ودرس في عدة
مدارس وكانت اليه الخطابة في الجامع المجاهدي مع التدريس
في المدرسة النورية والعزية والزينية والنخسية والعلائية . . . (١)

وبقي التدريس مستمرا بها الى القرن الثامن للهجرة . جاء عن الشيخ
العلامة السيد زكن الدين حسن بن محمد شرف شاه الحسيني الاسترابادي
المتوفى سنة ٧١٥ هـ كان أماما مصنفا عالما بالمعقول اشتغل على التصير الطوسي
وحصل منه علوما كثيرة . وصار معيدا في درس أصحابه . وقدم الموصل
وولي تدريس المدرسة النورية وفوض اليه النظر في اوقافها . وبها صنف
غالب مصنفاته مثل شرح مختصر ابن الحاجب . توفي في الموصل في شهر
سفر سنة ٧١٥ هـ (٢) . وبعد هذا التاريخ تطوى عنا أخبار هذه المدرسة .

ولم يبق من المدرسة ما يستحق الذكر . ونعتقد ان القسم الذي فيه
مشهد الامام محسن هو بناية المدرسة القديمة . أما ما كان يجاورها من
مرافق فلم يبق لها اثر . ويحيط بهذا فناء واسع اتخذ أكثره مقابر .

وأما القبة التي فوق المشهد فهي من القباب التي كانت بالموصل في
القرنين السابع والثامن للهجرة كقبة الامام عبد الرحمن وقبة الامام الباهر
وغيرهما من القباب التي بنت في هذه الفترة . ولا شك بان قبتها الاصلية
سقطت واستعوض عنها بهذه القبة .

وكان أمام الحضرة اروقة ومضى صغير فترك هذا المضى واتخذت
الاروقة القديمة - قبل بضع سنوات - مضى تقام به الصلوات الخمس كما
اتخذوا فيه مضرا من حسب الصلاة الجمعة .

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٦)

(٢) المجوم الزاهرة (٩ : ٢٢١) بقية الوعاة (ص : ٢٢٨)

(١٠) المدرسة القاهرية

بناها القاهر عز الدين مسعود الثاني بن ارسلان شاه الأول (٦٠٨ -

٦١٥ هـ) وكان كريما خليما قليل الطمع يميل الى الدعة .

ومن آثاره انه بنى المدرسة القاهرية ، وبني له تربة في المدرسة ، ودفن

فيها بعد موته ^(١) واول من درس فيها هو كمال الدين بن يونس بن منعة

(٥٥١ - ٦٣٩) ذكر ابن خلكان عند كلامه عن كمال الدين المذكور

« ولما توفي أخوه الشيخ عماد الدين محمد - المقدم ذكره - تولى المدرسة

العلائية موضع أخيه . ولما فتحت القاهرية تولاه ، ثم تولى المدرسة البدرية

في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة » ^(٢)

وجاء عن أبي الفضل أحمد بن كمال الدين موسى بن يونس بن منعة

(٥٧٥ - ٦٣٢ هـ) انه درس في المدرسة القاهرية سنة ٦١٧ هـ . ذكر هذا

ابن خلكان عند كلامه عنه « وتولى التدريس في مدرسة الملك

المعظم مظفر الدين بن زين الدين صاحب أربل - بمدينة أربل - وكان

وصوله اليها من الموصل اوائل شوال سنة عشرة وستمائة ، ولم يزل على

ذلك الى ان حجب ثم عاد وأقام قليلا ، ثم انتقل الى الموصل في سنة سبع عشرة

وستمائة ، وفوضت اليه المدرسة القاهرية وأقام بها ملازم الاشتغال والافادة

الى ان توفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة اثنين

وعشرين وستمائة » ^(٣) وعلى هذا فان أبا الفضل أحمد بن كمال الدين

تولى المدرسة سنة ٦١٧ بعد وفاة والده وبما ان القاهر تولى الملك سنة ٦١٥

فيكون تاريخ بناء المدرسة بين سنتي ٦١٥ - ٦١٧ .

وذكر حاجي خليفة عند كلامه عن كتاب « المغرب عما في الصحاح

والمغرب » للشيخ عبدالوهاب بن ابراهيم الزنجاني الخزرجي : وفيه رموز ،

أشار باليم الى المغرب ، وبالصاد الى الصحاح . أنه في صفر سنة ٦٣٧ هـ

(١) الكامل (١٣ : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٧) البداية والنهاية (٣ : ٧٩ - ٨١)

(٢) (٣) رفيات الاعيان (٢ : ١٣٤) (١ : ٣٢)

في المدرسة القاهرية الموصل * (١)

أما موقع المدرسة والذي رآه أنها كانت تقع بين المدرسة النورية -
الامام محسن - والباب العمادي * قال ابن الأنبر عند كلامه عن القاهر
« وكان عند رقة شديدة ويكر ذكر الموت * حكى لي من كان بلازمه
قال : كنا ليلة قبل وفاته بنصف شهر عنده ، فقال : قد وجدت ضجرا من
اتعود ، فقم بنا نمشي الى الباب العمادي » قال : فقمنا فخرج من داره نحو
الباب العمادي » فوصل التربة التي عملها لنفسه عند داره ، فوقف عندها
مفكرا لا يتكلم ، ثم قال لي والله ما نحن في شئني اليس مصيرنا الى ها هنا
وندفن تحت الأرض * * * * * (٢)

وذكر ابن خلكان ان القاهر دفن في مدرسته (٣) فعلى هذا يكون
المدفن (التربة) الذي عمله نفسه في المدرسة القاهرية التي بناها * وربما
كانت تقع قرب كسرة الطاهرة للأرنؤذكس العاقبة * ولم يبق للمدرسة
القاهرية أثر في الوقت الحاضر *

(١١) المدرسة المجاهدية

كانت المدرسة المجاهدية تقع قرب الجامع المجاهدي - جامع الخضر -
في الوقت الحاضر وكان بناء المدرسة بعد ان انتهى مجاهد الدين من بناء
الجامع سنة ٥٧٦ هـ (١١٨٠ م) *

ولم نقف على نص يهدينا الى موقعها الحقيقي * ونستدل من بعض
النصوص انها كانت تقع بجانب الجامع *

ذكر ابن الساعي عند كلامه عن مجاهد الدين « بنى جامعا بظاهر
الموصل وبنى الى جنبه مدرسة للشافعية ورباطا للصوفية ومارستانا للمرضى
الى غير ذلك » *

(١) كشف الظنون (ص : ٣٨ - ٧١) (٢) الكامل (١٢ : ١٣٧)

(٣) وفيات الاعيان (- ٩٦)

أما المارستان فقد ذكر ابن جبير انه كان يقابل الجامع وأما المدرسة فلم يذكروا الجهة التي كانت تجاور بها الجامع . وعلى كل فلم يبق من آثار مجاهد الدين سوى الجامع المجاهدى . وأما الرباط والمدرسة والبيمارستان والتربة والمكتب فلا اثر لها فى الوقت الحاضر .

(١٢) المدرسة البدرية

بناها ابو الفضائل بدر الدين لؤلؤ بن عبدالله المتوفى سنة (٦٥٧ هـ ١٢٥٨ م) وتم بناؤها قبل سنة ٦١٥ هـ . ذكر ابن كثير عند كلامه عن ابى المظفر محمد بن علوان الموصلى (٥٤٢ - ٦١٥ هـ) ثم عاد الى الموصل فساد اهل زمانه فى الفتوى والتدريس بمدرسة بدر الدين لؤلؤ وغيرها (١) . وعلى هذا فالمدرسة البدرية بنيت قبل وفاة ابن مهاجر المذكور (سنة ٦١٥ هـ) .

وممن درس فيها ايضا كمال الدين بن يونس بن منعة . فقد تولى المدرسة البدرية فى ذى الحجة من سنة عشرين وستائة (٢) . وكان الاخير معيدا عنده بالمدرسة البدرية (٣) وكان ابن باطيش الفقيه الشافعى المشهور (٥٧٥ - ٦٤٠) معيدا فى المدرسة البدرية وخازن كتبها (٤) . وان بدر الدين لؤلؤ بنى المدرسة البدرية فى قلعة الموصل على انقاض مسجد كان قد بناه فى اوائل القرن الرابع للهجرة - الحسين بن سعيد بن حمدان بن حمدون العلبي ودفن فيه بعد موته .

وفى سنة ٦٣٧ هـ تيمد بدر الدين لؤلؤ مشيدا للامام يحيى بن القاسم فى هذه المدرسة وكان يعرف بالمشهد او مشهد الامام يحيى بن القاسم (٥) . ولا تزال قبة المشهد التي شيدها بدر الدين لؤلؤ باقية الى اليوم ، وهي تعد من انفس العمارات التي وصلتنا من القرن السابع للهجرة . وان بدر الدين

(١) البداية والنهاية (١٣ : ٨٢) (٢) ، (٣) وفيات الاعيان (٢ : ١٣٤)

(٤) وفيات الاعيان (١ : ٣٦٦) التكميل (ص : ١٧ م)

(٥) كفاية الطالب (ص : ١)

لؤلؤ دُفن في المشهد المذكور بعد وفاته •

ذكر ابن الفوطي في حوادث سنة ٦٥٦ عند كلامه عن بدر الدين لؤلؤ ما يأتي : « توفي بها - الموصل - في شعبان بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، كان قد توجه إلى السلطان « حولاكو » بعد واقعه بغداد أيضا ، فأنعم عليه وأعاد ، فلما دخل الموصل مرضى إماما ومات وعمره ثمانون سنة ، ملك الموصل خمسين سنة ودفن بالقلعة ثم نقل إلى مدرسة أنشأها على ساحلي « دجلة » تعرف بالبدرية » (١) •

ويعتقد أن الأمر اتبس على ابن الفوطي • فالمدرسة البدرية تقع في القلعة كما أن المشهد الذي اتخذ بدر الدين لؤلؤ يقع في نفس القلعة وفي المدرسة البدرية نفسها •

ويؤيد هذا ما ذكره ابن خلكان عند كلامه عن بدر الدين لؤلؤ قال « وأما الأمير بدر الدين لؤلؤ المذكور فإنه توفي يوم الجمعة ثالث شعبان سنة سبع وخمسين وستمائة بقلعة الموصل ، ودفن في مشهد هناك وعمره مقدار ثمانين سنة » (٢) •

وعلى هذا فإن بدر الدين لؤلؤ توفي في قلعة الموصل ، ودفن في المشهد الذي كان قد بناه في هذه القلعة •

فبدر الدين لؤلؤ بنى المدرسة البدرية على أنقاض مسجد الحسين بن سعيد بن حمدان القلي ، ثم بنى المشهد في المدرسة البدرية ، ثم دفن هو في المشهد بعد وفاته (٣)

تقع المدرسة البدرية في شمال الموصل تشرق على نهر دجلة وما يحيط به من حقول وبساتين ، وتحيطها عين الكبريت التي يستشفى أهل الموصل بساها من الأمراض الجلدية ، وموقعها هذا من الزد الأماكن في الموصل •

(١) الحوادث الجامعة (ص : ٤٣٧) (٢) وفيات الأعيان (١ : ٥٩)

(٣) أقلمني بعض المعمرين من أهل الموصل أنهم شاصدوا قبورا في القناء الخارجي من المشهد على يمين الداخل إليه ، يذكرون عنه أنه قبر بدر الدين لؤلؤ •

ولم يبق من المدرسة سوى المشهد الذي كان فيها ، وهو من انفس
العمارات التي شيدت في العصر الاتاكي لما يحويه من النقوش والزخارف
والكتابات المتنوعة في داخل البناء وخارجه . والمشهد عبارة عن غرفة مربعة
اشكل ، تعلوها قبة مرتفعة غنية جدا بزخارفها ونقوشها وكتابات ، وهي
تستند على مقرنصات مزينة بزخارف هندسية بعضها بالجص وبعضها
بالآجر تدل على مدى ما كانت عليه الرابطة من التقدم اذ ذاك .

ويعلو هذه القبة قبة اخرى كانت مبنية بالآجر الازرق المزليج .
يفصل بين القبتين فراع ، وهذه القبة الخارجية هي التي حفظت القبة التي
فوق الحضرة وما فيها من زخارف ونقوش وكتابات .

والقبة تشبه القبة التي كانت فوق مصلى الجامع النوري والتي شيدت
سنة ٥٦٨ هـ الا ان قبة المشهد تمتاز بكثرة المقرنصات المزخرفة التي تكون
من اول القبة الى نهايتها وتشبه قبة المشهد ايضا قبة الامام عون الدين بن
الحسن التي بناها بدر الدين لؤلؤ سنة ٦٤٦ هـ - ٦٤٨ م . فهاتان القبتان هما
من اجمل القباب التي وصلتنا من عمارات القرن السابع للهجرة ، وهما
تحتاجان الى صيانة ما تلف من زخارفهما ونقوشهما وما اتهدم من جوانبهما ،
وخاصة قبة الامام عون الدين بن الحسن فانها بحاجة ماسة الى صيانة قبتها
الخارجية والداخلية (١) .

ويحيط بأسفل جدران الحضرة من الداخل افرز من الرخام الازرق
المطعم بكتابات ، تعلوها افرز آخر مزين بازهار واوراق باردة في الرخام .
وهي جميلة للغاية ، وفي جهة القبلة من الحضرة محراب عيس من المرمر
الازرق القائم اللون مزين بزخارف نباتية متشابكة ومتناورة وتدلى عسى
وسطه قنديل بارز .

والواجهة الشمالية من المشهد مزينة بزخارف وكتابات كوفية ، وقد

(١) انظر عن مشهد يحيى بن القاسم : هنية الادباء (ص : ١٠٦ ،
١٠٧) ، سومر (٦ : ١٩٩ ، ٢٠٠) ، مجموع الكتابات (ص :
١٤١ - ١٤٣)

تلف قسم من الكتابات وما سلم منها بحاجة الى صيانة .
وفي وسط غرفة المشهد صندوق تقس من خشب الساج وعليه
زخارف نباتية وزهرية وكتابات نسخة بارزة وسطر من الكتابات الكوفية
وهي في غاية الجمال ، يعلوه قفص من الخشب امر بصلعه بدر الدين الولؤ
بعد ان انتهى من بناء المشهد وكتب عليه « هذا قبر يحيى بن القاسم بن
الحسن بن علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم اجمعين » وتطوع بعمله
العبد الفقير الراجي رحمة ربه الولؤ بن عبدالله ولي آل محمد * سنة سبع
وثلاثين وستمائة » .

(١٣) المدرسة المهاجرية

من الاسر العلمية التي اشتهرت بالموصل في العهد الاتاكي هم ابناء
مهاجر ، وبنوا دار حديث وفوقها مدرسة (١) .

والذي بنى المدرسة علوان بن مهاجر بن علي بن مهاجر (٢)

ونقل ابن الديني ان الذي بنى المدرسة هو محمد بن علوان
(٥٤٢ - ٦١٥) قلعه شارك اياه في البناء او انه جدد عمارتها بعد ذلك .
وكان يدرس بها وبمدارس اخرى في الموصل وساد اهل زمانه بعلمه
وصلاحه .

ولا يعلم متى بنيت المدرسة ، وان دار الحديث المهاجرية كانت مبنية
في سنة (٥٥٢ هـ - ١١٥٧ م) وعلى هذا فان المدرسة بنيت بعد هذا التاريخ .
قال ابن ابي اصيبعة عن موفق الدين عبداللطيف البغدادي قال :
« ودخلت الموصل سنة ٥٨٥ هـ فلم اجد فيها بغني لكن وجدت
بها الكمال بن يونس فأخبرت مدرسة ابن مهاجر المعلقة ، ودار
الحديث التي تحتها ، وأقيمت في الموصل سنة (٣) . والذي رآه ان دار
الحديث المهاجرية كانت في مسجد الملاحسن وهو المسجد المعروف في الوقت

(١) انظر (ص : ١٠١) ، (٢) السبكي (٥ : ٤٢)

(٣) عيون الانباء (٢ : ٢٠٤)

الحاضر بمسجد شمس الجومي ، وان المدرسة المعلقة كانت فوقها (١) .
والمسجد المذكور على هيئة المدرسة وهو في الحف الشرقي لـ
قليات فيحتمل انه بعد خراب دار الحديث المهاجرة اخذ مسجدا
للعلاة وهو في الوقت الحاضر مسجد صغير .

(١٤) مدرسة ام الملك الصالح

الملك الصالح : هو اسماعيل بن نور الدين محمود بن عماد الدين
زنكي بن آق سنقر . جاء عنه انه مرض سنة ٥٧٧ هـ - ١١٨٠ م بالقولنج
وتوفي ، وسار عز الدين مسعود بن قطب الدين مودود الى حلب ، وصعد
القلعة واستولى على خزائنها وذخائرها ، وتزوج ام الملك الصالح في خامس
شوال من السنة المذكورة ثم عاد الى الموصل (٢) .

فأم الملك الصالح هي زوجة نور الدين محمود بن عماد زنكي ثم
تزوجها عز الدين مسعود ونقلها معه الى الموصل .

ذكر ابن الاثير عند كلامه عن دور المسلكة ما يأتي : واول من بنى
بالتقرب من دار المملكة الأمير ناصر الدين بوري بن جقرمش (جكرمش)
فانه طلب من الشهيد - عماد الدين - ان يأذن له لبنى دارا قريبا من خدمته ،
فأجابته الى ذلك وامره ان يبنى بسكان يكون بينه وبين القلعة مقدار حجر
المنجنيق ، فبنى داره الاولى ، وهي اليوم مدرسة وقفها ام الملك الصالح (٣) .
وعلى هذا فان المدرسة كانت تقع في الأرض القريبه من الميدان الذي
كان امام دور المسلكة ونحن نرجح بانها كانت تقع قرب الامام عبدالرحمن .

(١٥) المدرسة النفيسية

لا ندرى من الذي بنى هذه المدرسة ، وقد عثرنا على عدة نصوص

(١) مجموع الكتابات (٦٩-٧٠)

(٢) سيرة صلاح الدين (ص : ٤٤) حرة الزمان (٨ : ٢٣٤) الباهر
(ص : ٣٣١ ، ١٣٠)

(٣) الباهر (ص : ١٣٠)

تذكر وجود المدرسة النيسية • ومن درس فيها عماد الدين بن يونس التوفى سنة ٦٠٨ هـ (١) • اذا فقد كانت المدرسة قبل هذا التاريخ • وما لاشك فيه ان بدر الدين لؤلؤ اتخذ فيها مقاما للمست نفيسة كما اتخذ في غيرها مقامات ، وفي الموصل عدة اماكن تسمى باسم المست نفيسة •
ففي محلة باب السراى دار فيها مجراب وهي موقوفة ، وتسمى عاتلة فقيرة يروى انها كانت مدرسة يدرس فيها • ومقابل حمام السراى بناء قديم متصل بمسجد حمام السراى وهو على شكل المدرسة وفيه مجراب يقابل الداخل اليه ، وقد اتخذ فيه مقام للمست نفيسة ايضا • والذي نراه انها كانت مدرسة ثم اخذت مقاما للمست نفيسة •

وذكر صاحب منهل الاولياء عند كلامه عن مقام المست نفيسة : انه يوجد مكان آخر قريب من السور في مسجد قديم ومكان آخر قريب من السوق ، ومكانان آخران وليس فيهما قبور وكلها مقامات للمست نفيسة • ومن المحتمل ان المدرسة كانت في احد هذه الامكنة •

(١٦) المدرسة العلالية

لا تدري من اسس هذه المدرسة (٢) • جاء عن عماد الدين بن يونس (٥٣٥-٦٠٨) انه « كانت اليه الخطابة في الجامع المجاهدى ، مع التدريس في المدرسة السودية والعزية والزينة والتفسية والعلالية » (٣) • فالعلالية اذا كانت مبنة قبل سنة ٦٠٨ •

وجاء عن اخيه كمال الدين بن يونس « ولما توفى اخوه عماد الدين - المقدم ذكره - تولى الشيخ المدرسة العلالية موضع اخيه ، ولما فشت القاهرة تولاهما ، ثم تولى المدرسة البدرية في ذي الحجة سنة ٦٢٠ هـ » (٤) •

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٧٦) (٢) سمر (١٠ : ١٠٦)

(٢) لعل الذي بناها هو علاء الدين خرمشاه بن مسعود بن مودود .
(مخطوطات الموصل : ص ١٠)

(٣) وفيات الاعيان (١ : ٤٦٧)

(٤) وفيات الاعيان (٢ : ١٣٤) ، السبكى (٥ : ١٦١)

(١٧) مدرسة ابن بلدجي

تقدم الكلام عن ابن بلدجي^(١) والذي يسمى المدرسة ودرس فيها هو
ابو محمد محمود بن مودود بن محمود البلدجي الموصل (٥٤٣ - ٦٢٣ هـ)
وتخرج على يده اولاده وغيرهم من الطلاب الذين كانوا يدرسون بها • وصار
اولاده من بعده من علماء الحنفية البارزين وتركوا مؤلفات قيمة في فقه
المذهب الحنفي^(٢) ولا اثر للمدرسة في الوقت الحاضر •

(١٨) باب المسائل :

جاء في الانصار الاولياء عند كلامه عن النبي دانيال • وهو في مسجد
قديم من بناء المتقدمين والآن مهجور لا يصل فيه يسميه العامة باب المسهلات
لتسهيل الامور المعسرة فيه • • وعلى هذا فانني تراء انه كان في النبي
دانيال مدرسة مشهورة وان باب المسهلات محرف عن باب المسائل •
جاء في منهل الاولياء عند كلامه عن منجى علي • وفي الموصل مكان
آخر يسميه العوام باب المسائل يزوره ويقولون انه كان هناك مدرسة
لبعض العلماء الصالحين كانت تأتبه الناس للسؤال وكشف المضللات • •
وفي المحقق الغربي من تل قلععات جدار قديم • في دار مبنية
في الحنف التل المذكور يسمونه باب المسائل • يزوره الناس ويشركون
به • ويدعون كما قال العمري انه كان من الاماكن المقصودة في الموصل •
وتحت ترجح انها كانت مدرسة مقصودة من الناس ثم صار لها صبغة دينية
فصار محلًا يزور للتبرك وبقيت على هذا •

على ان المساجد لم تخل من حلقات علمية وخزائن كتب موقوفة فيها
ومن المساجد التي وقفنا على وجود تدريس فيها هو مسجد العماد بن الجلابين
وكان به خزانة كتب موقوفة على أهل العلم •

ومن درس به ثابت بن قرة الحارثي وقد أخذ عنه محي الدين بن
العربي عندما كان في الموصل سنة ٦٠١ هـ وذكر ابن العربي انه قرأ عليه
من كتبه تأليفه ووقفها ثابت بروايتها بمسجد العماد بن الجلابين بالموصل •^(٣)

(١) (٢) انظر (ص : ٩٨ - ٩٩)

(٣) جامع كرامات الاولياء (١ : ١٢٢)

وجاء عن علي بن خليفة بن علي النحوي المعروف بابن النقي وهو من اهل الموصل انه توفي سنة ٥٦٢ هـ وكان اماماً فاضلاً تأدب عليه اكثر اهل عصره من اهل بلده . وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) بالموصل (١) . ولعله مسجد النبي جرجيس الذي توسع فيما بعد وصار جامعاً .

وجاء عن الشيخ المقرئ ابو اسحاق ابراهيم بن يوسف بن بركة الكشي انه كان له مسجد بالموصل يعرف به ، وكان يحدث في مسجده هذا وممن اخذ عنه الرسعني الكنجي (٢) .

٣ - دور الحديث

دار الحديث المهاجرة

اشأها ابو القاسم علي بن مهاجر بسكة أبي نجيج في الموصل . ولم تقف على سنة تأسيسها . والذي نراه انه كان في النصف الاول من القرن السادس للهجرة - فقد تولى شيخها ابو اسحاق البرقي المتوفي ٥٥٢ هـ (٣) وأقام بها سنة ٥٨٥ هـ عبد المظيف البغدادي سنة كاملة . وكان يدرس على العلامة كمال الدين بن يونس .

وممن تولى مشيخة الدار المذكورة سنة ٦٢٣ أبو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الرسعني القرشي . وكان يحدث في فضائل آل البيت وذلك على عهد بدر الدين لؤلؤ (٤) .

دار الحديث المظفرية

بناها مظفر الدين كوكبوري صاحب أربيل المتوفي سنة ٥٤٩ هـ . وممن تولى مشيخة الدار المذكورة : عبد القادر بن عبد الله بن عبد الرحمن الرهاوي (٥٢٦ - ٦١٢) ولد بالرها ونشأ بالموصل وتنقل في البلاد ثم عاد الى الموصل وأقام بها بدار الحديث المظفرية مسعدة يحدث . ثم مات بجران (٥) .

(١) معجم الادباء (١٣ : ١٥) (٢) كفاية الطالب (ص : ٢٦٠)

(٣) . (٤) شذرات الذهب (٥ : ١٠٠) مناقب الامام علي (ص: ٢٠١)

(٥) شذرات الذهب (٥ : ١٠٠)

وأبو عبد الله الحسين بن عمر بن باز المحدث الموصل المتوفى سنة
٦٢٢ هـ فانه ولي مشيخة دار الحديث التي بناها صاحب اربل بالموصل . (١)

٤ - الرباطات

رباط سيف الدين غازي

جاء عن سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١ - ٥٤٤) انه
بنى رباطا للصوفية على باب المشرقة ووقف عليه وعلى المدرسة الوصفى
الكثيرة .

ويذكر العمري في منهل الاولياء عند كلامه عن قرية سراي (دور
السلطان) . . . وتحت بمسافة خاتقاء للصوفية ولم تزل الخاتقاء موجودة الى
اليوم وهي التي تعرف بسقام عيسى دده وتقع على نهر دجلة على باب المشرقة .

الرباط الزينى

بناه زين الدين أبو الحسن علي كجك بن بكتكين صاحب اربل المتوفى
سنة ٥٦٣ هـ ولانعلم موقع هذا الرباط ومن تولاه .

رباط ابن الشهرزورى

لانبرى من الذى بنى هذا الرباط - ولعل الذى بناه هو كمال الدين
بن الشهرزورى (٤٩٢ - ٥٧٢) الذى بنى المدرسة الكمالية القضائية .
فقد ذكر عنه المؤرخون ، ووقف أوقافا كثيرة بالموصل ونصيبين ودمشق . (٢)
وجاء عن ولده محي الدين بن كمال الدين الشهرزورى (٥١٠ - ٥٨٦)
ذكر ابن الدينى انه دفن في داره بسجلة القلعة ثم نقل الى تربة عملت له
ظاهر البلد . وذكر ابن خلكان ثم تحققت ذلك فوجدته كما قال ابن
الدينى وتربيته خارج باب الميدان بالقرب من تربة قضيب البان صاحب
الكرامات . (٣)

فلعلهم اتخذوا التربة في الرباط المذكور . وما يجعلنا نميل الى هذا

(١) شذرات الذهب (٥ : ١٠٠) (٢) . (٣) وفيات الاعيان (١ : ٤٣٥)
(١ : ٤٧٤)

ما ذكره ابن خلكان عند كلامه عن « ابي العباس الحضر بن نصر بن عقيل بن نصر الادبي الفقيه الشافعي وممن تخرج عليه ابن أخيه عز الدين أبو انقاسم بن عقيل بن نصر (٥٣٤ - ٦١٩) قال - فانتقل عز الدين الى الموصل وسكن ظاهر الموصل في رباط ابن الشهرزوري وقدر له صاحب الموصل راتبا ولم يزل هناك حتى توفي . (١)

فان صح هذا فان رباط ابن الشهرزوري كان يقع قريبا من رباط قضيب ائان الموصل .

الرباط المجاهدي

جاء عن مجاهد الدين قيسار (- ٥٩٥) أنه بعد ان بنى الجامع المجاهدي بنى الرباط والمدرسة والبيمارستان وكلها متجاورات .
فبناء الرباط كان بعد سنة ٥٧٦ هـ وهي السنة التي انتهى فيها من بناء الجامع .

ويظهر لنا مما ذكره المؤرخون ان الرباط والمدرسة والبيمارستان كانت متجاورة للجامع المجاهدي - وهي في الرض الاسفل من الموصل .
ذكر ابن الساعي عند كلامه عن مجاهد الدين قيسار (. . . .) بنى جامعاً بظاهر الموصل وبنى الى جنبه مدرسة للشافعية ورباطاً للصوفية ومارستاناً للمرضى . (٢)

رباط درب دراج

درب دراج مجلة في وسط الموصل وقد تقدم الكلام عنها . وكانت دار أبي السعادات مجد الدين بن الاثير فيها . اتخذها رباطاً ودفن فيه ، ووقف أملاكه على هذا الرباط وعلى قصر حرب . (٣)

ذكر ابن خلكان عنه أنه توفي سنة ٦٠٦ هـ ودفن برباطه بدرب دراج داخل الموصل . ولا نعلم موقع هذا الرباط - يرى الدكتور داود الجلي

(١) وفيات الاعيان (١ : ١٧١) (٢) الجامع المختصر (٩ : ٨ ، ٩)

(٣) وفيات الاعيان (١ : ٤٤١)

ان الرباط كان في الموقع المسمى اليوم بدوسة على - قطرة الاعام على -
 لان الموقع المذكور في درب دراج ويقربه مقبرة ربما كانت المقبرة التي
 دفن فيها ابن الاثير * يؤيد هذا انه كان يقابل دوسة على من الشرق مسجد
 صغير يفصل بينهما شارع (١) ويقابلها من الشمال مرقد يسمى الصالح بن
 الصالحين وقد اتخذ دارا في الوقت الحاضر ولم يزل المقام موجودا *
 والذي نراه ان المسجد والمرقد كانا يسميان مقام دوسة على وما يجاورها
 من المقابر * وانها كانت رباط ابن الاثير المذكور *

رباط قصر حرب

اول من بنى هذا القصر جعفر بن ابي جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ *
 ذكر أبو زكريا الأزدى عن قصر حرب في حوادث سنة ١٤٥ هـ وفيها عزل
 أبو جعفر المنصور مالك بن الهيثم عن الموصل - ثانية - وولى ابنه جعفر بن
 أبي جعفر المنصور فبنى القصر المشرف على قطائع بني وائل في الرض
 الاسفل وسكنه * وفي هذا القصر ولدت له زبيدة ابنته * وكان على شرطته
 بالموصل حرب بن عبد الله الرويدى صاحب الحزبية ببغداد واليه ينسب
 وكان حرب هذا في ألقى فارس مقبلا بالموصل على روايتها *

وكان جعفر بن أبي جعفر الوالى على الصلاة والأحداث والأعمال *

ويذكر ابن الاثير المتوفى سنة (٦٣٠) عن قصر حرب * فهو يعرف
 الى اليوم بقصر حرب وفيه ولدت زبيدة بنت جعفر وزوجة الرشيد * وعنده
 يومنا هذا قرية كانت ملكا لنا فبنينا رباطا للصوفية * ووقفنا عليه القرية وقد
 جمعت كثيرا من هذا الكتاب - الكامل - في هذه القرية في دار لنا بها ، وهي
 من انزه المواضع واحسنها وائر القصر باق الى الآن ، (٢) وعلى هذا
 فالذى اتى الرباط هو ابن الاثير *

(١) هو مسجد محمد بن طلي مدم سنة ١٩٥٢ عندما فتح شارع

القاروق ، انظر عنه (مجموع الكتابات * ص : ١١٧)

(٢) الكامل (٥ : ٢٣٦)

ويذكر ابن خلكان عند كلامه عن أبي السعادات بن الأثير * وأثنى رباطا
بقرية من قرى الموصل تسمى قصر حرب ووقف أملاكه عليه وعلى داره
التي يسكنها في الموصل * (١)

وقصر حرب يقع قرب الزكرونية ، ولم تزل بقايا القصر موجودة .

رباط الشيخ قضييب البان

بني الرباط أبو عبد الله الحسين قضييب البان بن أبي ربيعة عيسى بن
أبي النضر يحيى الحسنى الموصلى * (٤٧١ - ٥٧٣) كان من مشايخ القرن
السادس للهجرة * وكان الرباط يقع بالمعلاة ظاهر المدينة خارج باب سنجار
تجاوز منيرة المعافي بن عمران الموصلى .

وكان تحت الرباط بستان واسعة للشيخ قضييب البان - والذي نراه ان
الارض المنبسطة الواسعة التي تقع جنوب مسجد قضييب البان والتي تسمى
أرض « الصليانية » هي الارض التي كانت عليها بستان الشيخ قضييب البان *
بعد وفاته دفن في رباطه هذا * وقبره في حجرة تجاور المصلح
من الجهة الغربية . (٢)

وفي سنة ١٩٥٧ هدمت مديرية الاوقاف العامة المسجد المذكور وهي
جادة في بانه جامعا كبيرا .

٥ - المراقد والمشاهد

الختيمى

هو من الصحابة الذين دفنوا في الموصل * ذكر الهروى : وظهر داخل
الميدان بعض الصحابة لم أعرف أسمه والله اعلم * (٣) وموقع قبر الختمى
هو قريب من الميدان في المحفة الجنوبي للتل الذي يقع عليه مشهد الامام
الباهر .

(١) وفيات الاعيان (١ : ٤٤١)

(٢) لذا بحث عن قضييب البان ومسجده هذا في سمر (٨ : ٩٩ -

١٠٦)

(٣) الزيارات (ص : ٧٠)

ومن دفن من الصحابة - في الموصل - من خُتم هبلاً : عبد الرحمن الخُتمى - كان من أنصار الامام على وقتل قريباً من الموصل . (١) وكريم بن عفيف الخُتمى : كان من أنصار الامام على أيضاً . وعفا عنه معاوية بن أبي سفيان بعد مقتل الامام على ونزل الموصل وتوفي فيها . (٢)
ولعل قبر الخُتمى الذى يسميه العامة - الشيخ عامر - هو قبر أحد الصحابين المذكورين .

وعلى القبر قبّة - فى انوقت الحاضر - تسمى قبّة الخُتمى او قبّة الشيخ عامر . وهى خالية من الكتابة . داخلها قبر ينزل اليه بعدة دركات ويسميه العامة (ابو الجواوين) واذا مرضت فرس فانهم يدورونها حول القبّة لتشفى . ويدعون انه كان من سعاة رسول الله (ص) وهذا غير ثابت . والذى يراه ان المدفون فيه هو احد الخُتميين كما ذكرنا آنفاً .

مرقدة الشيخ ابراهيم المهرانى الجراحى

كان صاحب قلعة الجراحية ومن أتباع الشيخ عدى بن مسافر الهكاري يحضر عند الساعات التى كان يقسمها الشيخ عدى باللائى ويجهبها شديداً . (٣)

والمسجد المعروف بالامام ابراهيم هو من تغير الامير ابراهيم المذكور . واتخذ بجانبه تربة لزوجه حسنة خاتون بنت القرايلى وذلك سنة ٤٩٨ هـ ثم ان الشيخ ابراهيم دفن فيه بعد موته وعرف بمسجد الشيخ ابراهيم المهرانى الجراحى كما هو مكتوب على باب التربة . ثم ان بدر الدين لؤلؤ اتخذ فيه مشهداً للامام ابراهيم المجاب بن جعفر بن محمد بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب كما هو مكتوب على شبك العرقة الغربية منه . ويظهر ان بدر الدين لؤلؤ جدد المسجد والتربة ورينهما بالرخسام المطعم والكتابات المختلفة وأبقى الباب الخشبى الثمين الذى كان فى المسجد

(١) . (٢) الكامل (٣ : ٣٠٩ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦)

(٣) قلانه الجواهر (ص : ٨٦ ، ٨٧)

والذي عليه كتابة تشير الى صنعه في سنة ٤٩٨ والباب يتألف من مصراعين مساحة المصراع الواحد منهما (١٩٣ × ٤٥ سم) والمصراعان غنيان بالكتابات الجميلة وهي آيات من القرآن الكريم • صنعه الاستاذ نوري بن يونس كما هو مكتوب عليه • ووصلنا هذا الباب سالما • نقلته مديرية الآثار القديمة العامة وحفظته في القصر العباسي ببغداد^(١) وهو من أجمل الأبواب التي وصلتنا من القرون الوسطى •

كما ان في المرقد حجرا أسود مساحته (٣٣ × ١٥ سم) • منقوش عليه صورة الكعبة المشرفة ومكتوب حوله (بسم الله الرحمن الرحيم ان اول بيت (الى) مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا) • وتحتها : هذا المسجد الذي عسره الأمير ابراهيم الجراحى • وهذه التربة المجاورة له تربة حسنة خاتون بنت القرايلى^(٢) راحة الله عليهما وعلى ابراهيم الجراحى - عمل عبد الرحمن بن ابي حسرة • نقلته مديرية الآثار القديمة العامة الى بغداد • وحفظته في متحف الآثار العربية - خان مرجان -^(٣)

مرقد الفتح الموصل

أشتهر في الموصل عابدان باسم الفتح - أحدهما الفتح بن سعيد الزاهد المتوفى سنة ٢٢٠ هـ والثاني الفتح بن محمد بن وشاح الأزدي المتوفى سنة ١٧٠ هـ •^(٤)

ويذكر الأزدي في حوادث سنة ١٦٥ توفي الفتح بن محمد بن وشاح الموصلى • وعند وفاته غلقت الأسواق وخرجوا مثل يوم العيد يكون ويصرخون وكان أهل القرى يأخذون من تراب قبره فيذهبون به الى منازلهم • وذكر ياقوت عند كلامه عن الكار - وكار أيضا قرية مقابل الموصل من شرقها قرب دجلة ينسب اليها أبو محمد الفتح بن سعيد الكارى الموصلى •

(١) سومر (٥ : ٦٠) وصف الباب المذكور

(٢) • (٣) دليل متحف الآثار العربية - لوحة : ٣٦

(٤) حصة الادب (ص : ١١٧)

وكان زاهدا من أقران بشر الحافي وأسررى السفطى مات سنة ٢٢٠ • وليس
بفتح بن محمد بن وشاح الموصل ^(١) •

ويذكر الهرزوى أن في جبانة الموصل قبر الشيخ فتح الكاوى وقبر
الشيخ فتح الموصل وهو من كبار الأولياء ^(٢) فكلاهما مدفون في جبانة
الموصل •

وكثيرا ما تختلف أخبارهما في كتب السير والتاريخ فتسبب أعمال
أحدهما إلى الآخر والذي يراء أن المدفون في المرقدة المشهورة - بسرقة الشيخ
فتحى - هو الشيخ بن محمد بن وشاح الموصل الأزدى وهذا هو المتواتر عند
أهل المدينة • وسيت المحلة المجاورة له بحلة الشيخ فتحى • وحواشه
مقابر كثيرة تحيط به وهي من مقابر الموصل منذ العهد الأتابكى ودفن بها
أبو بكر الهرزوى وغيره •

مرقد العناز

جاء عنه في مهمل الأولياء : الشيخ عناز الأسود هكذا يقول الناس أنه
أسود حبشى كان يسكن الموصل • من أهل العصر الأول ^(٣) •
ويذكر بعضهم أنه كان يسكن مسجد الشافعى - مسجد آيين حاضر -
وهو من مساجد الموصل القديمة التى تسمى (مساجد الصوفية) • وجدت
حاشية في تاريخ الموصل للأزدى يذكر فيها : وجد على فرشة - رخامة -
مكتوبا على قبر بصحراء عناز وجاء باب العراق : هذا قبر الشيخ الصالح
عناز بن حماد المدنى الثابى موقت هذه الجبانة • توفي سنة سبع وتسعين
ومائة •

والعناز هو الذى أوقف الجبانة التى تحيط بقبره فى الوقت الحاضر •
وكانت من مقابر الموصل فى العهد الأتابكى ودفن فيها كثير من أعلام الموصل •
ويظهر لنا مما جاء فى الحاشية المذكورة أيضا أن القبر كان قد اندرس

(١) معجم البلدان (٧ : ٣٠٤)

(٢) الزيارات (ص : ٧٠)

(٣) انظر عنه : منية الادباء (ص : ١١٤)

وانه ظهر لهم في صفر سنة اثنين وستين وخمسمائة فتوا عليه قبة • وجدد القبة في شعبان سنة ٦٠٥ محمد بن أبي طالب بن علي العلوي • وجدها بعد هذا سنة ٦٥٧ سعد الدين سنيك البدرى دزدار قلعة الموصل •
وحالة القبة في الوقت الحاضر غير عريضة قد اوسكت على الانهدام -
يحيط بها مقابر كثيرة •

مرقد الخلال

يقع في محلة الميدان منسوب الى محمد بن حسن بن عثمان الخلال المتوفى سنة ٦٣٦ هـ وبنتهى نسبه بأبي بكر الصديق • ودفن بمسجده بعد موته ، وفيرده في غرفة على يسار الداخل الى المصلى ، جددت عمارته سنة ١٠٣٩ وجدد بعد ذلك في فترات متباعدة ولم يزل هذا المسجد عامرا تقام به الصلاة • (١)

مرقد الشيخ محمد الغزالي

هو محمد بن علي بن خضر بن أحمد بن جرجيس بن محمد بن سلمان الموصلى الطائى الغزالي المعروف بالغزالي تخرج بصحبة السيد أحمد الرفاعي الكبير بام عبيدة • ثم عاد الى الموصل فمكث في مغار بنقح التل المعروف باسمه ، واشتهر بالتصوف توفى سنة ٦٠٥ م • ودفن في رباطه الذي اتخذ في الغار المذكور •

وولده أحمد بن محمد الغزالي ، تخرج بالشيخ عبد الملك بن حماد الموصلى الرفاعي • وروى عنه الحزب الأعظم ، وكان من أعيان المشايخ الصالحين توفى سنة ٦٢٠ هـ •

ومرقد الشيخ الغزالي داخل مسجد تحت (تل الغزالي) وهو مدفون في غرفة عليها قبة متداعية ، كان قد بناها على قدم باشا والى الموصل سنة ١٠٩٥ ثم جددت سنة ١١٤٨

وعلى يمين المصلى غرفة صغيرة يصعد اليها بعدد درجات ، داخلها دكة

(١) حية الادباء (ص ١١٨) ، مجموع الكتابات (ص ٦٩ ، ٦٨)

منحوتة من المرمر • وفي الجهة القبليّة منها محراب صغير مكتوب فوقه «الله»
ويقابل الداخل إلى المسجد نفق يستند تحت آل الغزلاني ، حدث من
حين إلى مياه الأمطار ، وهو نفق واسع يضيق كلما سرائفه • (١)

مرفد عمر الموصل

الشيخ عمر بن محمد الملاء هو شيخ نور الدين محمود زلكي ، كان
يسكن الموصل • وهو الذي أشرف على بناء الجامع النوري ، وقد تقدم الكلام
عنه • وهو مدفون في مسجد يقع في المحلة التي سميت باسمه (محلة الشيخ
عمر) •

تخطيط بالمسجد مقابر كثيرة أكثرها للسابلة • والمسجد
في الوقت الحاضر خال من الكناية والزخارف وكان المرحوم محمد بانسا
أصابونجي قد جدد بنائه (٢) •

مسجد النبي يونس

من المشاهد الكبيرة التي يفتسدها أهل الموصل - لتبرك والفضالة
بـه • (٣)

وهو من المساجد القديمة التي أنسها المسلمون بعد فتح الموصل • ثم
أخذ يتوسع على مر السنين • ويذكر عنه المبعودي أنه (سنة ٣٣٣ هـ) كان
مسجدا يأوي إليه التماسك والزهاد والعباد ثم صار يعرف بمسجد التوبة
لوقوعه فوق « تل توبة » •

وهي أواخر القرن الرابع للهجرة بنته الأميرة جميلة الحمدانية • أخت
ناصر الدولة الحمداني • وبنت إلى جنبه دورا للمجاورين وأوقفت عليه
أوقافا جليلة وصار يعرف « بمسجد يونس » •

(١) مسية الأدباء (ص : ١١٥ ، ١١٦) روضة الناظرين (ص : ١٣٣)

(٢) مجموع الكتابات (ص : ١٥٨ ، ١٥٩)

(٣) جامع النبي يونس من مختلف العصور (مؤمر : ١٠ : ٢٥٠ -

وفي القرن السادس للهجرة صار رباطا كبيرا يضم دورا وسقايات ومطاهر • وصار به محل مقدس يسدل عليه ستر وينفلق عليه باب مرصع وهو المحل الذي وقف به النبي يونس • وكان أهل الموصل يقصدونه للزيارة ويأتون به ليلة الجمعة •

وفازدة الرحالة الأندلسي ابن جبير سنة ٥٨٠ هـ وبات فيه كما تظهر بعين يونس - الدملج - وحلى بالمسجد الذي كان متصلا بها • وقال في وصفه : وصفا خص به هذه البلدة الى الشرق منها • اذا عبرت دجلة نحو الميل • تل توبة • وهو التل الذي وقف به يونس - عليه السلام - بقومه • ودعاودعوا حتى كشف الله عنهم العذاب • وبمقربة منه على قدر الميل أيضا العين الماركة المنسوبة اليه • ويقال انه أمر قومه بالتطهر فيها وأظهر التوبة • ثم صعدوا على التل داعين • وفي هذا التل بناء عظيم هو رباط يشمل على بيوت كثيرة ومقابر ومطاهر وسقايات • يضم الجميع باب واحد • وفي وسط البناء بيت يسدل عليه ستر وينفلق دونه باب كبير مرصع كله • يقال انه كان الموضع الذي وقف فيه يونس - صلى الله عليه وسلم - ومحراب هذا البيت يقال أنه كان بيته الذي كان يتعب فيه • ويطلق بهذا البيت شمع كأنه جذوع النخل عظما • فيخرج الناس الى هذا الرباط كل ليلة جمعة ويتبعون فيه • وحول هذا الرباط قرى كثيرة • •

ثم توسع بناء المشهد فأضيف اليه بنايات جديدة وصار بجامع النبي يونس • وذلك في القرن الثامن للهجرة •

مشهد النبي جرجيس

يقع قرب سوق الشعارين وفيه مشهد داخل غرفة هو مشهد النبي جرجيس • ولاعلم متى بني هذا المشهد اول مرة • وقد عثرنا على بعض النصوص تذكر اسم مسجد النبي في الموصل فلا ندرى هل انه أريد به هذا أم غيره •

وذكره ابن جبير فقال : فيها مشهد جرجيس صلى الله عليه وسلم وقد

يسمى به مسجد وقبره في زاوية من أحد بيوت المسجد عن يمين الداخل إليه • وهذا المسجد هو بين الجامع الجديد وباب الجسر • يجده المار الى الجامع من باب الجسر عن يساره • فبئر كنا بزيارة هذا القبر المقدس والوقوف عنده نفعنا الله بذلك^(١) • كما ذكره الهروي ايضا^(٢) •

أما الآن فقد تحول المشهد الى جامع كبير وهو من الجوامع المعدودة في مدينة الموصل •

مشهد الطرح

وهو الذي يسمى (بنجة على) كان يقابل الخارج من الباب العمادي الى الرض الاعلى وأقدم من ذكر هذا المشهد هو الهروي قال : ومشهد الطرح وبه كف على بن ابي طالب (رض)^(٣) •

وادركنا المشهد وفيه محراب نفيس مزخرف بزخارف محفورة بالرخام وقد نقل المحراب الى بغداد وحفظ في القصر العباسي • وعلى جانبي المحراب طاقنان كان في الطاقة اليسنى اثر كف محفور بالرخام يذكرون أنها آثار كف الامام على كرم الله وجهه^(٤) •

وكان حول المشهد مقبرة تسمى مقبرة الباب العمادي • ويحيط بالمشهد ارض واسعة كانت من متزهات الموصل في فصل الربيع • ثم سقطت القبة وما حولها من البناءات قبل ربع قرن وسطا عليها الحجارون فهدموا ما كان شاخصا منها وعفوا أثرها ولم يبق منها شيء •

مشهد النقطة الحسينية

يقع قرب دبر سعيد جنوب الموصل • وأقدم من ذكره هو الهروي قال : وبالموصل مشهد رأس الحسين (رض) كان به لما عبروا بالنسبي • وسب بناء المشهد المذكور - فيما ذكره صاحب الانتصار الاولياء - أنه بعد

(١) • (٢) رحلة ابن خلدون (ص : ١٨٩) (٣) الزيارات (ص : ٦٩)

(٣) الزيارات (ص : ٦٩ ، ٧٠)

(٤) مجموع الكتابات (ص : ٢١٢ - ٢١٦)

قتل الامام الحسين حملوا رأسه الى الشام ومروا من دير سعيد وباتوا بقربه .
وكان رأس الحسين في مخالاة فعلم به أحد رهبان الدير . فأتخذه
وعسله وطيبه وبنه عنده ليلة واحدة . وفطرت من الرأس فطرة دم على
الأرض حتى باتوا فيها فبنى الراهب مشهدا في المكان المذكور وسمى «مشهد
النقطة الحسنة» (١) وصار مدفنا لثقباء الموصل .

ومن دفن فيه الثقب شرف الدين أبو منصور الحسيني جد السادات
الحسينية في الموصل (- ٥٧٩) وكان رحمه الله ثقب الثقباء ، ولي وزارة
السلطان مسعود بن مودود بن عماد الدين زنكي ، وأمه السيدة عفاف بنت
قاضي القضاة بهاء الدين علي بن أبي القاسم الشهرزوري قاضي الموصل . (٢)
وكان له عقار ومزارع موقوفة لعبادته ويتولى نظارته أحد السادات .
ولا تزال آثاره بارزة للعيان قرب دير مار أيليا - دير سعيد - .

مشهد عمرو بن الحمق الخزاعي

كان من أنصار الامام علي وثبت على أخلاصه له بعد قتل الامام . طلبه
معاوية مع جماعة حجر بن عدي ففر عمرو الى الموصل وأختفى فيها فلبسته
حبة ومات . ويذكر بعضهم بأنه مات بالاستسقاء . ومهما يكن من امر موته
فانه مات في الموصل . قرب مشهد النقطة الحسنة . فقطع رأسه وحمل الى
معاوية بالأساء . وأما حبه فدفنوها في الميدان أمام الدير الأعلى .

وكان الحمدانيون يتبعون المذهب الشيعي . ولما تولوا امر الموصل بنى
أبو عبد الله سعيد بن حمدان - وهو ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة -
سنة ٣٣٦ مشهدا على قبره وجرت في الموصل فتنة بين الشيعة والسنة
بسبب هذا .

ويذكر باقوت الحموي عند كلامه عن الدير الأعلى وإلى جانبه مشهد
قبر عمرو بن الحمق صحابي . وموقع الدير هو قريب من بئس طابية فيكون

(١) (٢) الانتصار للأولياء (مخطوط) ومنهل الأولياء ، (مخطوط)

المشهد امام باب طابية *

وجاء في بحر أسباب السادات في الموصل عند كلامه عن قبب الموصل
محمد بن الحسن بن احمد انه خلف تاسرا وفاطمة وان فاطمة خرجت الى
السيد العظيم شهيد الدين كمال اشرف بن أبي البركات محمد بن زين
العنلى وقبرا عند أبيها بمشهد عمرو بن الحقيق *

وعلى هذا قال قبر عمرو بن الحقيق يقع في مقبرة الست فاطمة وهي
مقبرة أسرة القبب في الموصل * ولم تزل المقبرة المذكورة خاصة بهم *
وكذا قد حققنا موقع قبر عمرو بن الحقيق في بحث نشرناه
بسجلة الجزيرة الموسمية (١)

مشهد ابن الحسن

ويسمى أيضا مشهد الامام عون الدين وهو من أهم المشاهد التي بناها
بدر الدين المؤيد سنة ٦٤٦ هـ أي بعد بناء مشهد يحيى بن القاسم بثلاث سنوات *
وبناؤه يشبه بناء مشهد الامام يحيى بن القاسم * وقته من أجمل القباب التي
وصلتنا من العهد الاتراكى تستاز بزخارفها الكثيرة المتسوعة * يحيط بأسفل
القبة من الداخل وعلى ارتفاع متر واحد عن مستوى الأرض شريط من
الكتابة المحفورة بالرخام والمطعمة بالزمرر الأبيض *

ومحاراب الحضرة من المحاراب النحيفة الموجودة في الموصل *
تستند القبة على مقرنصات مزخرفة بالجبس * وداخل القبة مزخرف
بزخارف هندسية متناثرة ، وهي تحفة فنية في هذا الباب * ويعلو القبة
الداخلية قبة أخرى معقودة بالأجر المزليج ولكن القسم الكبير من هذا الأجر
قد زال ، ولم يبق الا آثار منه ، ويفصل بين القبتين فراغ واسع *
والقبة الخارجية تحفظ ما في القبة الداخلية من زخارف ونقوش وهي

(١) السنة الأولى - العدد الخامس سنة ١٩٤٦ (ص : ٩ ، ١٠)

الزيارات (ص : ٧٠)

تشبه قبة الإمام يحيى بن القاسم . وقبة الجامع النوري التي بنيت سنة ٥٥٦٨ هـ .
والحضرة باب مصنف بالنجاش مزخرف بشرائط نحاسية تؤلف اشكالا
هندسية جميلة ومكتوب عليه اسم العامل الذي صنعه وهو « عمر بن
الحصري » إلى آل محمد سنة ٦٤٠ هـ .

ولابدري هل ان بدر الدين لؤلؤ بنى هذا للذكرى الامام عون الدين
ام انه كان مدرسة ثم بنى فيه مشهدا للإمام ابن الحسن - عون الدين - كما
اتخذ مشاهد أخرى في المدارس التي بناها الأتابكيون . وعلى كل فان بناء
هذا المشهد من الأبنية الجميلة في الموصل والتي تستحق العناية والحفاظه عليها
وحالة الحاضر ليست مرضية فقيته الخارجية قد تصدعت ، وقد تهدم بعضها ،
والزخارف التي في سقف القبة الخارجية قد تلف الكثير منها وهي تحتاج
إلى صيانة .

واتخذ العلويون فيه مقبرة لحاوري الحضرة وذلك في القرن السادس
للهجرة ، وتسمى مدفن البرمي أو مدفن الجعفري ودفن فيها بعض
نقاء الموصل ، ولم تزل المقبرة معروفة بهم (١)

مشهد الإمام يحيى بن القاسم

يقع أمام بائن طابية على شاطئ دجلة وهو من أجمل المشاهد الموجودة
في الموصل وقد تقدم الكلام عنه عند كلامنا عن المدرسة النورية .

مشهد علي الهادي

وهو من المشاهد التي اتخذها بدر الدين لؤلؤ للإمام علي الهادي المتوفى
في سامراء . يقع في محلة المحموديين ، والمشهد في سرداب شمال المسجد ،
وبه قبر من المرمر الأزرق المطعم برمر ايض على شكل زخارف دقيقة
وكتابات بالخط النسخي وهي بحروف بارزة تحيط بجوانبه الأربع .

ومكتوب على القبر « قبر حسين بن شريف الياء . . . رحمه الله » ولهذا

(١) منية الادباء (ص : ١٠٧ ، ١٠٨) ومجموع الكتابات (٩٩ ، ٩٨)

يرى بعضهم ان المدفون في هذا القبر لم يكن يدعى علي الهادي * وان
بدر الدين أولؤ اتخذ به مشهدا للإمام علي الهادي - وقد بسطنا القول عما
هو مكتوب عليه في سيرة الادباء (١) ومجموع الكتابات المحررة في ابيسة
مدينة الموصل * (٢)

مشهد الامام الباهر

وهو من المشاهد التي اتخذها بدر الدين أولؤ للإمام الباهر بن الامام
جعفر الصادق - واعلم انخذ المشهد في إحدى المدارس الانايكية *
جددت عمارته سنة ٦٨٩ هـ والآثار الموجودة فيه ترجع الى هذا التاريخ *
وأهم ما فيه الباب الرخامي للحضرة وهو من الابواب الجميلة في
الموصل * وكذا الباب الخشبي الذي كان في الحضرة * قلته منيرة
الآثار القديمة الى بغداد وقد تقدم الكلام عنهما *
ولم يزل داخل الحضرة بعض الرخارف والكتابات الجسيمة الجميلة ،
وقد أساب اكثرها العطب والتلف ، يصعب قرائتها وهي تعود الى القرن
السابع للهجرة * (٣)

مشهد اولاد الحسن

يقع في سوق الصاغة ، وهو أحد المشاهد التي أقامها بدر الدين أولؤ
لابناء الامام علي - كرم الله وجهه - * ويذكر البعض ان العدو طلب اولاد
الحسن ، فطرحوا أنفسهم في بئر فأتخذ مشهد على البئر وهذا لا يصح عقلا
ولا شرعا *

ويتألف المشهد - في الوقت الحاضر - من مسجد صغير فيه مصلى
وغرفة للتدريس وفي غربي المسجد سرداب به بئر وكان فيه محراب من
المرمر الازرق المطعم بالمرمر الابيض ومكتوب حوله البسلة وآية الكرسي *

(١) (٢) (٣) (١٠٥ : ١٠٨) ص : (٢٢٠ : ٢١٩)
(٢) منية الادباء (ص : ١٠٧ . ١٠٨) ومجموع الكتابات (١٩٤، ١٩٦)

وقد نقل هذا الحجاب الى منحرف الموصل والمحراب من أجمل المحارب
التي في الموصل . (١)

شهد العباس

تقع في سوق الحافة وفيه قبر يذكرون عنه انه قبر عباس المستعجل
وسمي بعضهم العباس بن مرداس السلمي . وان الكتابة التي كانت على
القبر تشير انه كان مكتوبا عليه : العباس بن علي جذدت عمارته في سنة ٤٠٥ هـ .
ثم جذدت عمارته في فترات متباعدة وهو في الوقت الحاضر جامع صغير
فوق الحضرة التي فيها القبر (٢) .

٦ - البيع والديارات

وفي الموصل بيع كثيرة وهي منتشرة في الاحياء التي يسكنها المسيحيون
يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل الاسلام مثل بيعة يوحنا بار قسوى التي بنيت
حوالي سنة ٥٧٠ م كانت تقع شمال الحصن الغربي للموصل ، (٣) واسم
تزل تسمى بيعة مار انعيا . على ان اختار هذه البيع قليلة في كتب التاريخ ،
كما اننا لم نجد من عني بالبحث عنها في مختلف العصور الا ما قل .

ومن كتب عنيها في الوقت الحاضر هو المطران سليمان
سائع ، فان فسمنا كثيرا من الجزء الثالث من كتابه ، تاريخ الموصل ، مقصور
عليها . ولكن اكثر بحثه لم يعمد ذكر الشهداء والقديسين وما قاموا به من خوارق
العادات . ونشر عنها ايضا المطران بولس بننام والمطران روفائيل بيدوييه
ابحاثا في مجلتي المشرق والنجم .

وأما اختار البيع في مختلف العصور فان هذا قليل ومتعصب فسي
ابحاثهم ، واهم البيع التي كانت في العصر الانابكي والتي لم تزل موجودة
هي :-

(١) عتبة الادباء (ص : ١٠٤) مجموع الكتابات (ص : ١٩٢ ، ١٩٣)

(٢) عتبة الادباء (ص : ١٠٠) ، مجموع الكتابات (ص : ٥٣ ، ١٧٣)

(٣) الدبورة في مملكتي العرب والفرس (ص : ٥٠) تاريخ كلدوي وآثور

(٢٦٥ : ٢)

والديارات التي حول الموصل هي : (١)

دير مسعود

من الديارات القديمة في جنوب الموصل - كان أول تأسيسه في القرن الأول للهجرة ، وكان من منتهزات أهل الموصل في العصر الآتابكي وما قبله بقي هذا الدير عامرا إلى سنة ١١٤٥ هـ حيث خربه ترجس خان أحد قواد الفرس عندما غزا الموصل في التاريخ المذكور . ولا يزال الدير مهجورا خاليا من الرهبان .

دير ميخائيل

وهو من منتهزات مدينة الموصل وكان الشعراء يقصدونه في أوقات فراغهم يستمعون بحسب موقعه ، وطيب شرابه ، وعذوبة هوائه ، وهو يقع شمال الموصل قرب دجلة . وله ذكر كثير في كتب الديارات . وكان في الدير مدرسة يدرس بها الرهبان مختلف العلوم والآداب ، وبقيت المدرسة في تقدم تارة وتأخر أخرى ، حتى القرون المتأخرة ، فلم يبق في الدير أحد وهو غير مأهول في الوقت الحاضر .

دير مار كوركيس

وهو من الديارات القديمة ، وأخباره قليلة في العصر الآتابكي ، وليس فيه ما يستحق الذكر من الآثار .

دير الربان هرمزد

وهو من الديارات القديمة في القوش إحدى نواحي الموصل ، يبعد عنها قرابة كيلو مترين شرقا ، وفيه بعض الغرف المنقورة بالصخر ، وليس فيه ما يستحق الذكر من الآثار ، وقد ألف عنه الأستاذ كوركيس عواد كتابا اسمه « أثر قديم في العراق دير الربان هرمزد » وهذه الديارات الأربعة هي لطائفة الكلدان .

(١) انظر عن الديارات : الديارات للشايشتي . مسالك الأبصار . معجم البلدان . منية الأدباء ، تاريخ الموصل ، الجزء الثالث .

دير هنتي

ويعرف بدير النسخ حتى وهو من أقدم ديارات الموصل يقع في سفح جبل مقلوب، وكان في العهد الاتاكي من الديارات المقصودة للفرقة وترويح النفس كما كان به مدرسة دينية تحوى كتابسية ، ونقل اليها التكريتيون كثيرا من كتبهم بعد ان هاجروا الى هذه الديار ، ولم يزل قسم منها باقيا الى اليوم .
وسكن الدير المذكور ابن العبري ، المؤرخ المشهور ، ولاتزال الغرفة التي سكن بها تسمى قلاية ابن العبري ، وهي مقورة بأصخر ومزينة بكتابات سطر تجيلية . والدير عاصر في الوقت الحاضر ، يقصده الناس في فصل الربيع والصيف طلبا للمراحة والاستجمام ، وهو من الديارات الخاصة بالادرنة كس .

دير الجب (ماربهنام) :

يعد الدير قرابة ٣٥ كيلو مترا جنوبي شسر في الموصل ، ذكره البلدانون الذين تكلموا عن هذه الديار ، وهو من الديارات الكثيرة للسريان وتعد آثاره التي تفنن بها التكريتيون من أجمل ما خلفه الفنانون في القرون الوسطى .

وفي هذا الدير آثار كثيرة بعضها منحوتة في المرمر ، وزخارف متنوعة ، وصور بارزة بالرخام والجبس والآجر المزليج وغير ذلك .

فواجهة الكنيسة مزينة بقوش وكتابات عربية وسريانية نافذة ، وبعضها محفورة ، تحيط بالابواب والشبابيك ، وتعلو أقواس الابواب صور أسود وحيوانات غريبة الأشكال وهذا ما كان شائعا حفره فوق الابواب في عهد السلاجقة . وفي الجانب الايمن للباب قطعة من الآجر المزليج الأذرق فيها صورة ثلاث غزلان بيضاء وهي من صناعة التكراتة ايضا .^(١) وفي وسط الواجهة رناج مزخرف بزخارف نباتية متشابكة قلدها زخارف محراب الجامع النوري^(٢) وداخل الكنيسة آثار مختلفة من النحت على الرخام ، والكتابات المحفورة

(١) ، (٢) انظر (ص : ١٤ ، ٤٣ ، ٧٠)

بعضها أفر وبعضها عائر ، تحيط بالأبواب والمدخل .

وفي داخل الكنيسة صورة القديس مار بهنام مستطبا صهوة جواده ،
وهي مصنوعة من الجبس ، وناهضة في الجدار ، تقابلها صورة أخته سارة ،
وهي من نفس الصور الخشبية التي وصلتنا من ذلك العهد .

واقعة الفيل من أجمل القباب التي وصلتنا من العهد الآتابكي ، فهي
تستند على مقرصات كثيرة مكتوب عليها كتابات عربية وسريانية مزخرفة ،
وترتفع القبة بمقدار (١١) مترا وينتهي اعلاها بدائرة تتجمع فيها الزخارف
الهندسية ، وفي وسطها فتحة للنور . وهي تحفة فنية خالدة وهذه الآثار
وغيرها من الآثار الكثيرة التي في المير هي من العهد الآتابكي ، بناها
التركمان الذين ارتحوا الى فرقوقس وبارطلي وما يجاورهما ، وابتدعوا في
أخراج هذا المير فهو بحق أجمل كنيسة في الموصل . ومن الآثار التي
ستحق العناية والمشاهدة .

وقد ألب الخوري ابراهيم عبدال كساب واسعا عنه اسمه « المؤلف النصيب
في أخبار ما بهنام الشهيد » وسبب فيه آثاره بصورة مستقيمة ، كما أصدر
كتابا آخر اسمه بعض آثار دير مار بهنام الشهيد في جوار الموصل طبع
في بيروت سنة ١٩٥٤ م .

٧ - المقابر

وأهم المقابر التي وقفنا على ذكرها في الموصل هي :

مقابر قريش

وهي تجاور جامع النبي جرجيس في الوقت الحاضر ، وكانت هذه
المقابر من أقدم الأماكن التي دفن فيها المسلمون موتاهم ، وفيها دفن الحر بن
يوسف الأموي المتوفى ١١٣ هـ ومن دفن بها في العصر العباسي هو الشيخ
عبد الملك بن حماد الكنتاني الموصل المتوفى ٥٧١ هـ .^(١) ولم يزل الى اليوم
يحيط بجامع النبي جرجيس مقابر كثيرة لاسر معلومة في الموصل .

(١) روضة الطاهرين (ص ١٢٢)

مقبرة الجامع العتيق

وهي تجاور الجامع الأموي المعروف بالجامع المنصفي ، ومن دفن فيها هو أبو زكريا يحيى بن سالم بن مفلح البغدادي تزيل الموصل توفي سنة ٦٠٩ ودفن بمقبرة الجامع العتيق .^(١) ولم تزل بقايا هذه المقبرة موجودة ، وهي تشمل أرضا واسعة فيها مقابر خاصة ومقابر للسابلة . وكانت تحيط بالجامع .

تربة غسان

وهي تقع خارج باب العراق تجاور مقام العزاز ولعل هذه التربة منسوبة الى غسان بن الربيع الأزدی الموصلی المتوفى سنة ٢٢٦ هـ كان ورعا صالحا سلا فاضلا .^(٢) ومن دفن فيها في العصر الأتابكي الشيخ بوس بن منعة العالم المشهور ودفن فيها ابنه كمال الدين بن بوس أيضا المتوفى سنة ٦٣٩^(٣) ولم تزل هذه المقبرة من مقابر الموصل . وتسمى مقبرة العزاز .

مقبرة الباب العمادي

وهي تقع خارج الباب العمادي تجاور مشهد الطرح (راحة على) ومن دفن فيها قطب الدين قيسار المتوفى سنة ٥٧٠ ويذكر عنه ابن الأثير أنه دفن بظاهر الباب العمادي وقبره مشهور هناك .^(١)

وإدركنا مشهد الطرح وحولته مقابر كثيرة تحيط به من الغرب والجنوب وفي هذه المقابر دفن الأتراك العثمانيون في الحرب العالمية الأولى من باب من جنودهم فيها وصارت تعرف بمقبرة الشهداء وقد درست القبور مع المشهد وصارت أملاكا خاصة .

(١) شذرات الذهب (٥ : ٣٩)

(٢) لسان الميزان (٤ : ٤١٨) (٣) وفیات الاعيان (٢ : ١٣٤) منية

الادباء (ص : ١١٥)

(٤) الكامل (١١ : ١٧٣)

مقبرة المعافي بن عمران الموصل

وهي تقع خارج باب سنجار على الأرض التي أنشئ عليها ملعب معارف الموصل وتمتد إلى مقام قضيب البان الموصل . سميت بمقبرة المعافي بن عمران الموصل المتوفي سنة ١٨٤ هـ بعد أن دفن فيها . ودفن فيها أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المشهور المتوفي سنة ٢٣٢ هـ وصارت تعرف في العصر الإنابكي بمقبرة باب الميدان ، لأنها تقع خارج باب الميدان - باب سنجار - كما عرفت بمقبرة قضيب البان بعد أن دفن فيها الشيخ قضيب البان الموصل المتوفي سنة ٥٧٣ هـ من أشهر مقابر الموصل فقد دفن فيها كثير من علمائها وأدبائها وفضلائها منذ صدر الإسلام إلى القرن الثامن للهجرة . ومن دفن فيها . (١)

١ - سعيد بن المبارك المعروف بالدهان النحوي الموصل المتوفي سنة

٥٦٨ هـ ١١٧٣ .

٢ - محمد الدين أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسي

الغلب بالموصل توفي سنة ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م) ودفن بمقبرة باب الميدان .

٣ - أبو حامد محمد بن القاضي كمال الدين الشهرزوري الملقب محي

الدين المتوفي سنة ٥٨٦ (١١٩٠) دفن في داره ثم نقل إلى تربة عملت له بالقرب من تربة قضيب البان صاحب الكرامات .

٤ - أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بشميم الحلي المتوفي سنة

٦٠١ هـ (١٢٠٤)

٥ - أبو الحزم مكّي بن ريان النحوي المتوفي سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م)

ودفن جوار أبي بكر القرطبي وابن الدهان النحوي .

٦ - العليّس مذهب الدين بن هبل المتوفي سنة ٦١٠ (١٢١٣) ودفن

بالقرب من القرطبي .

٧ - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن القسم بن أبي العز

الوراق الموصل المعروف بابن الخروف .

(١) سيمر (٨ : ١٠٣ - ١٠٥) عن هذه المقبرة

٨ - عز الدين بن الاثير المؤرخ المشهور المتوفى سنة ٦٣٠ (١٢٣٢م) وكان القبر داخل غرفة مربعة الشكل طول ضلعها ٣/٥ م يؤدى اليها باب يقابل جهة الشرق يعلو الغرفة قبة ارتفاعها أربعة أمتار وهى قبة بسيطة مبنية من الحجر والجص *

وقد أعلمنى بعض المعمرين انهم أدركوا قبة قديمة كانت فوق قبر ابن الاثير ثم سقطت فبجدها المرحوم الحاج عبد الله جلبي بن حمو القدو سنة ١٣٠٦ هـ = (١٨٨٨م) كما يتضح لنا من الكتابة التى كانت فوق قطعة من الرخام مثبتة فوق باب الغرفة . والكتابة عبارة عن ثلاثة أسطر بالخط النسخي وهى « عز الدين ابو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزرى رحمه الله » عمر هذا القبر عبد الله بن حمو القدو سنة ١٣٠٦ هـ *

وأعلمنى البعض ان العمارة التى كان قد عمرها الحاج عبد الله جلبي بن حمو القدو تهدمت فبجدها المرحوم محمد بيوض بن الحاج مصطفى آل الحاج طالب *

وكان فى داخل الغرفة قطعة رخام كتب عليها آية الكرسي وهى محفوظة فى المتحف العراقى ببغداد . وهى من بقايا العمارة القديمة التى كانت قبل سنة ١٣٠٦ هـ *

وفى سنة ١٩٣٨ م ردمت بلدية الموصل الخندق الذى كان يحيط بالمدينة وسوت الارض وعبدت شارعاً يتدنى من باب البيض وينتهى بالمستشفى ويسمى الشارع بقبر ابن الاثير وجعلت القبر داخل دائرة وسط الشارع وبنت فوقه قبة تستند على دعائم من المرمر وسميت الشارع « شارع ابن الاثير » تخليداً لذكرى هذا العالم الجليل *

ويظهر ان هذه المقبرة كانت تمتد شمالاً الى مقام الشيخ الفتح الموصلى المعروف بالسوم بالشيخ فتحى . فقد ذكر الهروى عنده كلامه عن الموصل ما يأتى « وبجاية الموصل قبر الشيخ

المعافي بن عمران من كبار الأولياء * * * وبها قبر السراج المقرئ
وقبر ابي بكر الهروي - والد مؤلف هذا الكتاب - وبقي أربعين سنة يصوم
تبارا ويقوم ليلا وقبر الساج وقبر الشيخ فتح الكاري وقبر الشيخ فتح
الموصلى من كبار الأولياء وقبر الطويل * * * (١)

مقابر العلويين

وكان العلويون يدفنون موتاهم في مقابر خاصة لهم منها : مشهد الثقله
الحسنة - ومشهد الطرح ومشهد الامام ابن الحسن المعروف بمشهد البرمي
ومشهد عمرو بن الحقيق الخزاعي ، ولم تزل هذه المقبرة من مقابر نقباء
الموصل وتسمى مقبرة الست فاطمة ، وقد تكلمنا عنها عند كلامنا عن المشاهد
المذكورة .

وهناك مقابر أخرى حول بعض المشاهد والمقامات وهي كثيرة فلي
الموصل .

مقابر تل توبة

تقع فوق تل توبة الواقع عليه جامع النبي يونس في الوقت الحاضر ،
وهي من مقابر الموصل القديمة دفن فيها المسلمون تبركا ببل توبة الذي وقف
عليه قوم يونس لما ائذروا بالعذاب ، وتابوا الى الله تعالى مما كانوا فيه .
وفوق هذا التل كان مشهد النبي يونس وحوله مقابر كثيرة منذ القرن
الثالث للهجرة ، ومن دفن فيها قبل العصر الانابكي : -

ناصر الدولة الحمداني المتوفى سنة ٣٥٨ هـ وقرواش بن المقلد العقيلي
المتوفى سنة ٤٤٥ هـ والوزير فخر الدولة بن جهمر العلبي المتوفى سنة ٤٨٣
وابو الهجاء عبد الله صاحب قلعة آشوب والجزيرة وتوش المتوفى سنة ٥٢٨ هـ (٢)
وابو العباس الخضر بن نصر بن عقيل الاربلي المتوفى سنة ٦٠٩ هـ (٣)

(١) الزيارات (ص : ٧٠)

(٢) سحر (١٠ : ٢٥٢) الكامل (٩ : ٢١٩)

(٣) الكامل (١١ : ٥) رقيات الاعيان (١ : ١٧١)

وأدركنا فوق السفح الشمالى لتل توبة مقابر كثيرة متصلة مع بعضها
يدفن فيها أهل الموصل وأهل نينوى والقرى المجاورة لها وقد نسفت بلدية
الموصل القسم الكبير منها عندما قامت بتوسيع الشارع الممتد من الشرق الى
الغرب تحت تل توبة ولم تزل بقايا هذه المقابر موجودة فى التل المذكور
وخاصة فى الجهة الشمالية منه •



شكل (١١) صندوق من المرمر لضريح الامام على الهادى

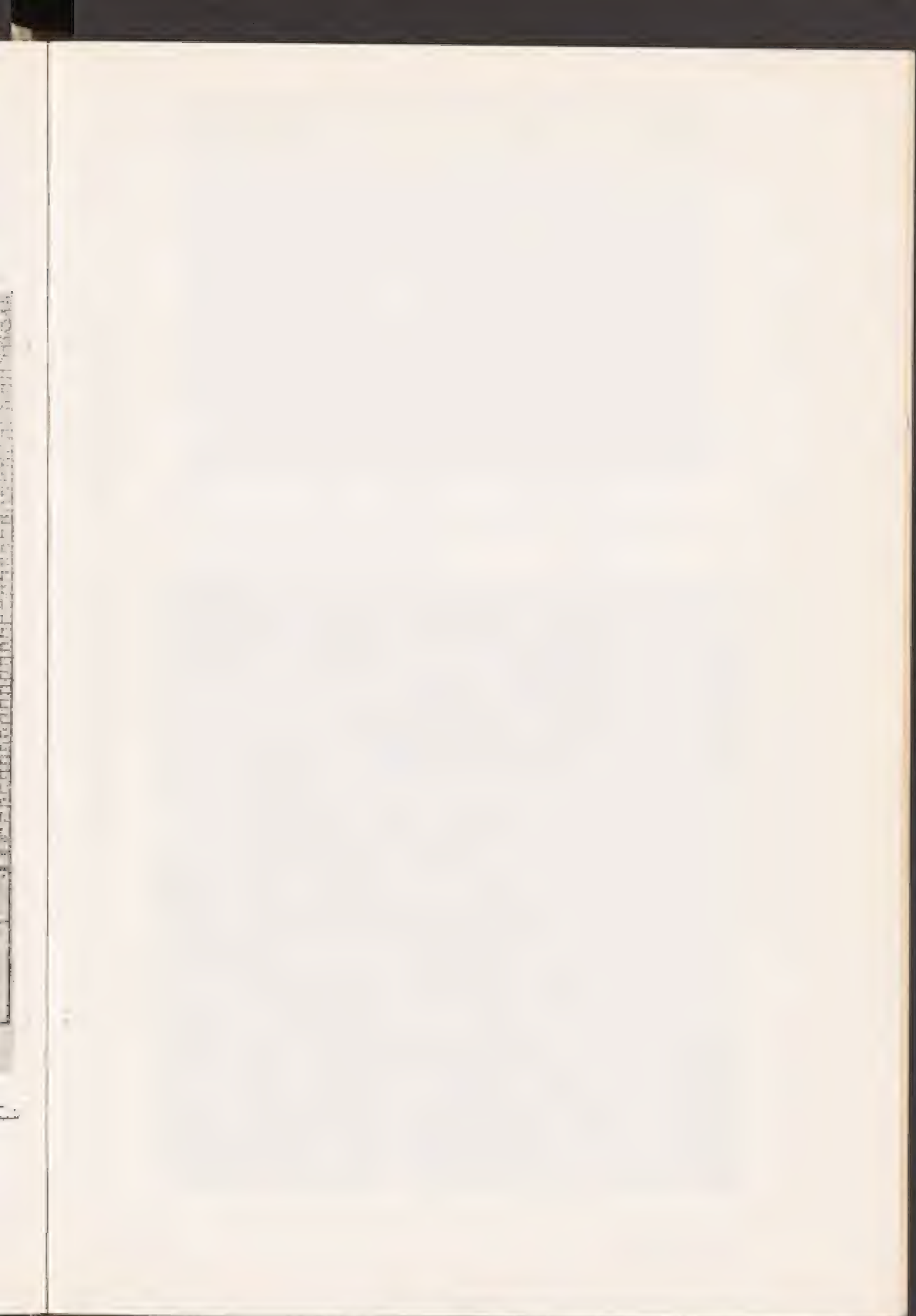




شكل (١٢) الزخارف الرخامية في أعلى المحراب الذي كان في الجامع
الاموي ثم نقل إلى الجامع النوري



شكل (١٣) أحد المحاريب التي كانت في الجامع النوري
(كنيسة مديرة الأنار العامة)



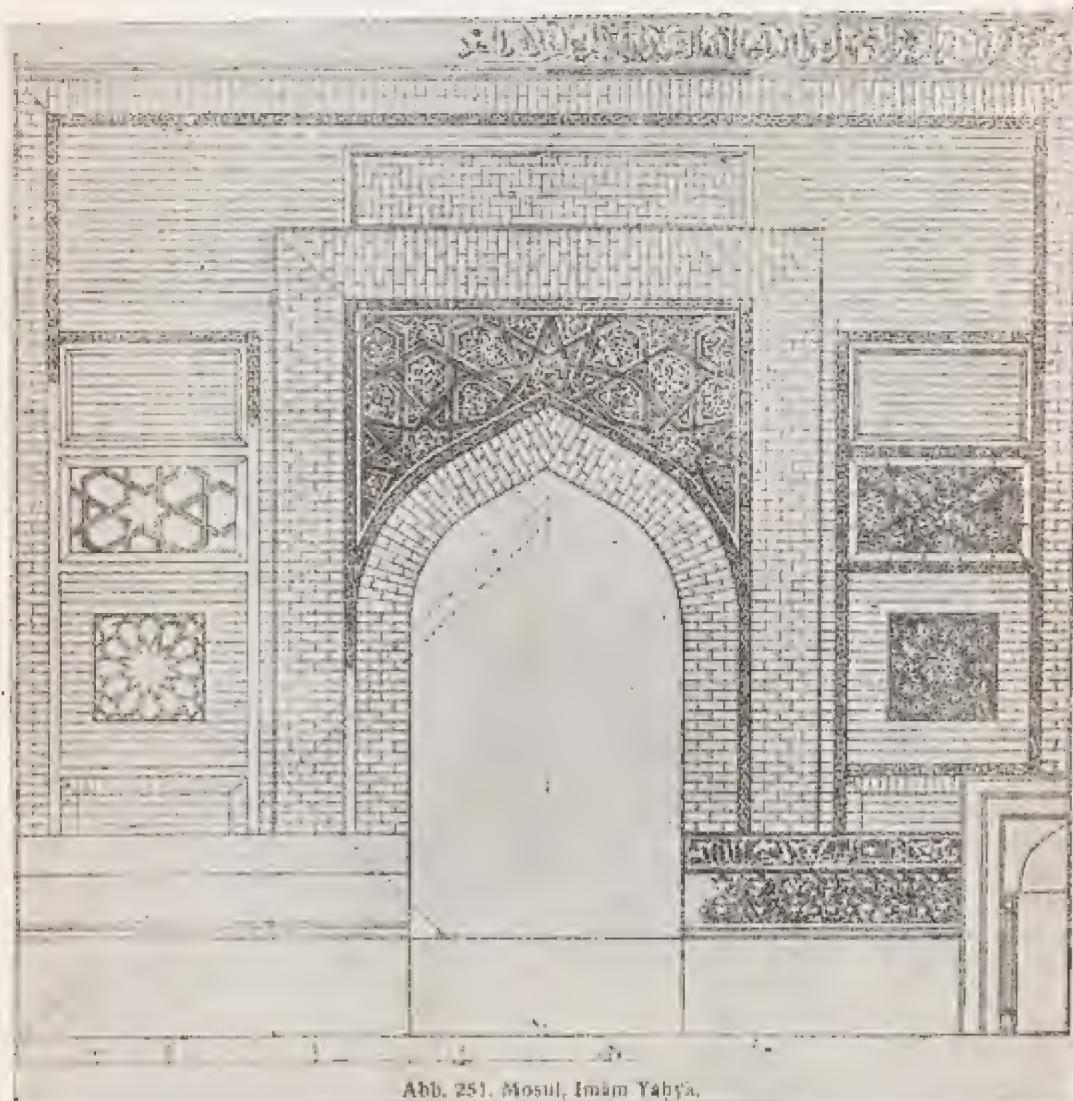


Abb. 251. Mosul, Imam Yahya.

شكل (١٤) توضيح للزخارف الاجرية التي تزين مدخل مشهد الامام يحيى بن القاسم (عن حرز قلند)
(كليشة مديرية الانار القديمة العامة)



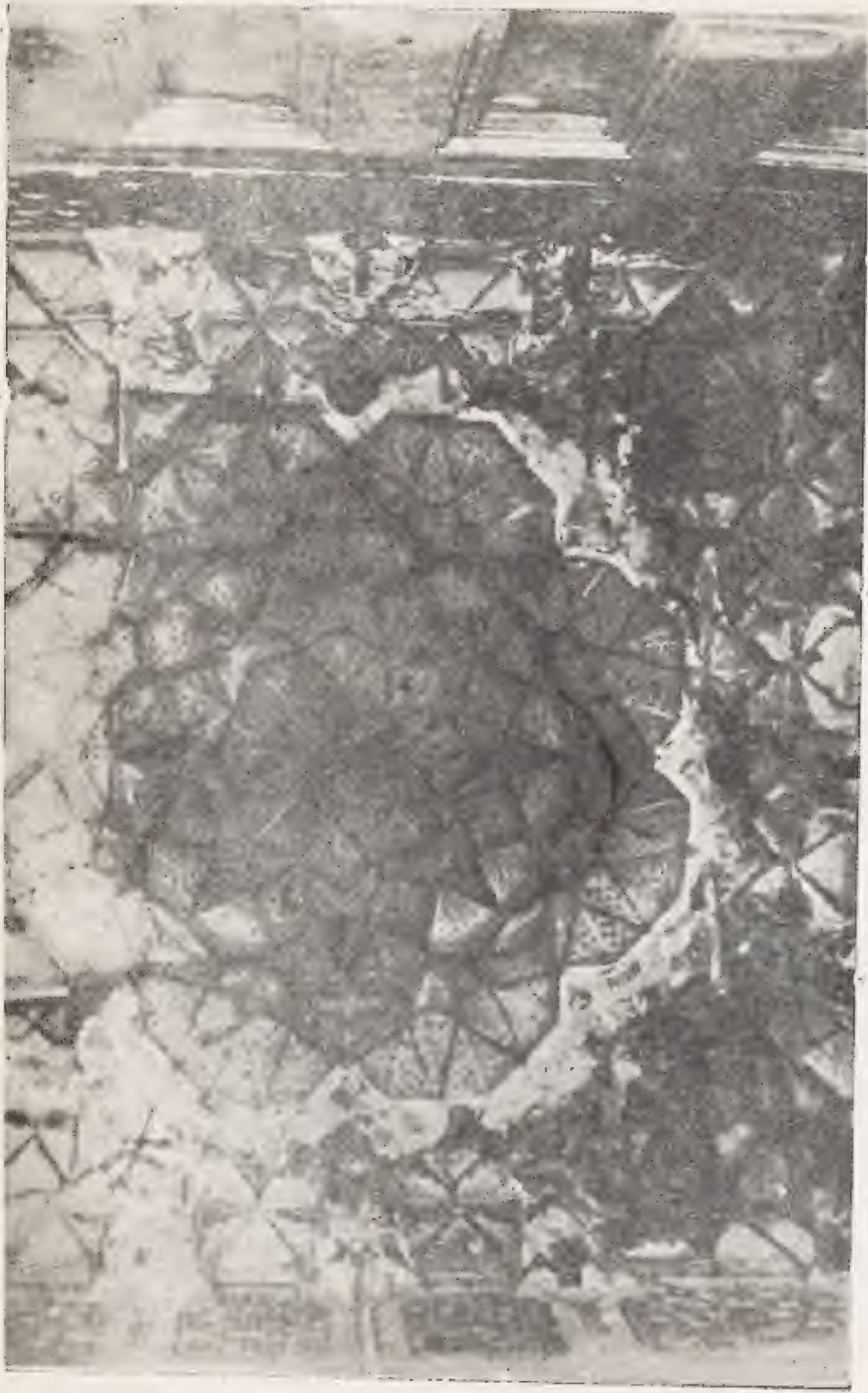


(١٥)

زخارف بالاجر في مشهد الامام يحيى بن القاسم

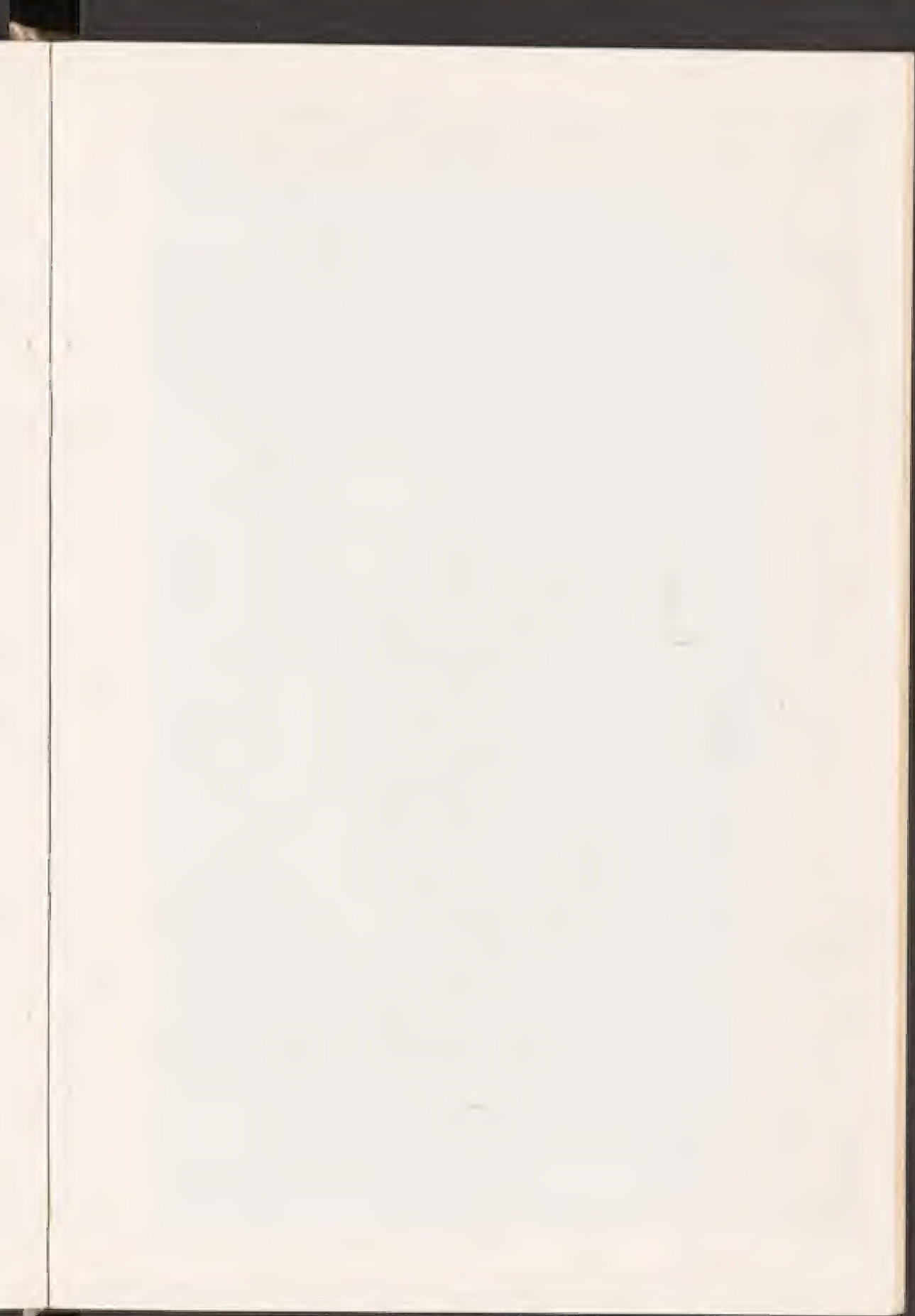
(كليشة مديرية الآناز العامة)





(كنيسة مديرية الآثار القديمة العامة)

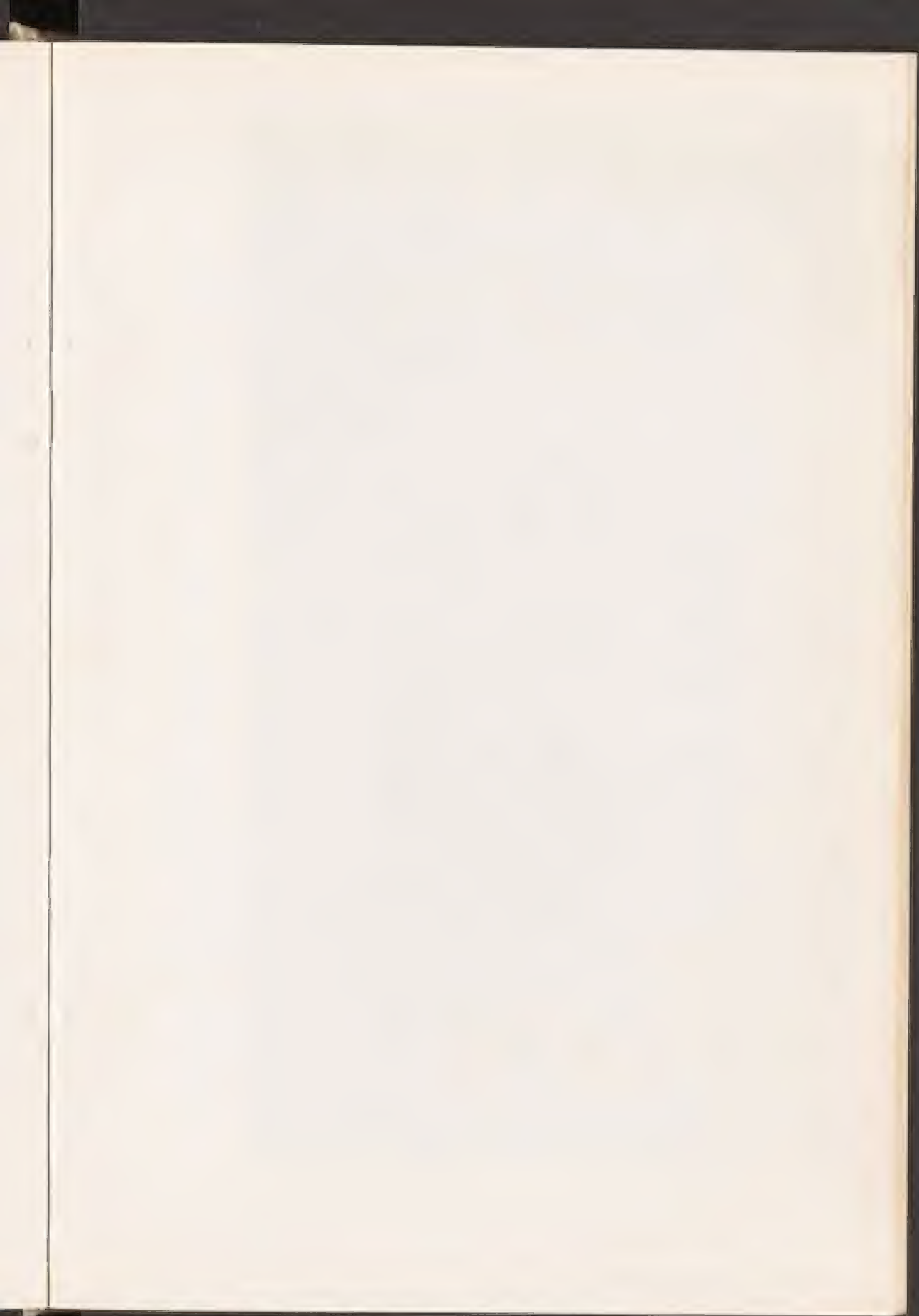
شكل (١٦) : داخل قبة مشهد الامام يحيى بن القاسم





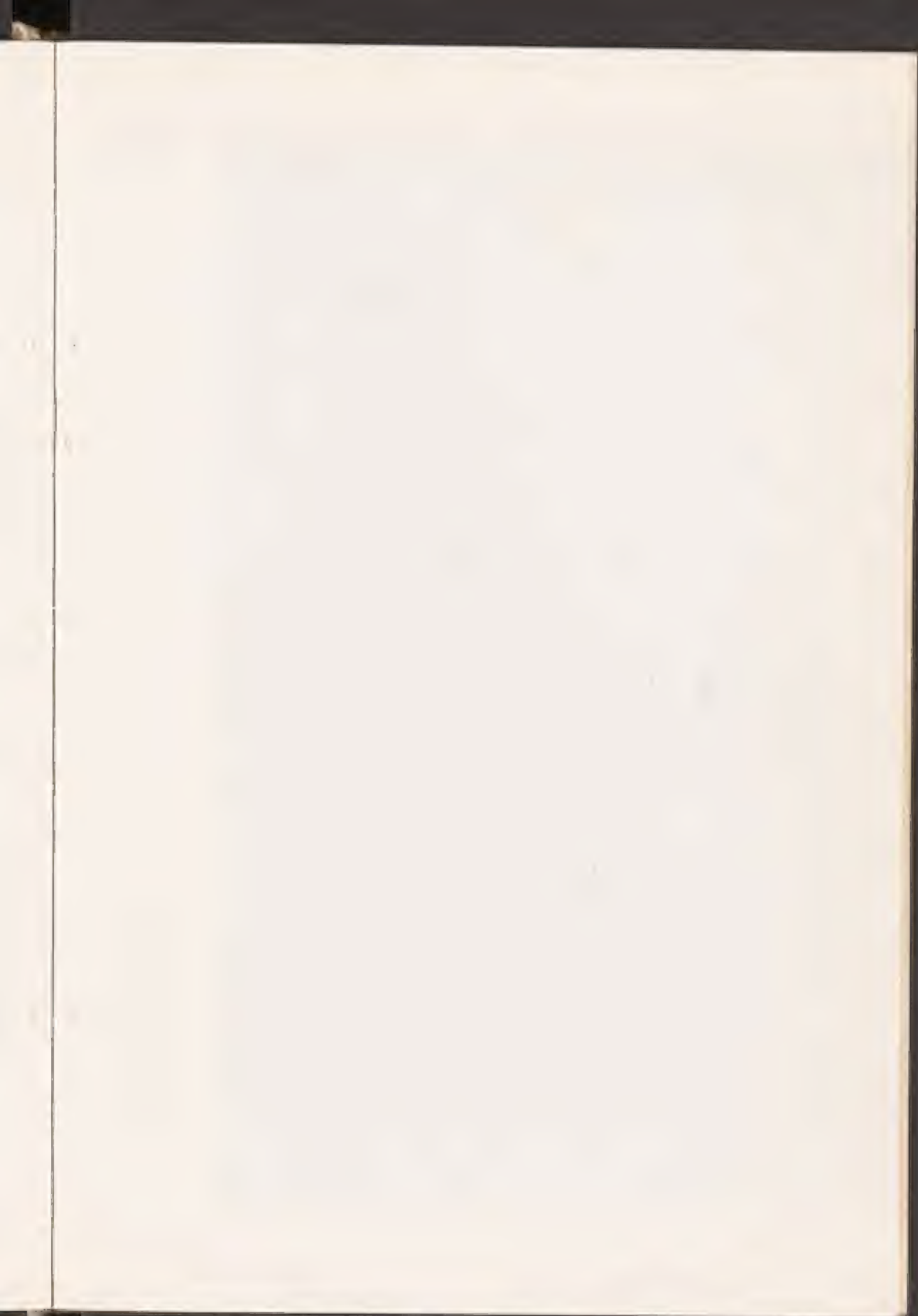
شكل (١٧)

توضيح بعض الزخارف الاجرية في مشهد الامام يحيى بن القاسم
(كليشة مديرية الآثار العامة)





شكل (١٨) نماذج من الزخارف والكتابات المطعمة التي تزين جدران داخل قبلة الإمام يحيى بن القاسم
(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)

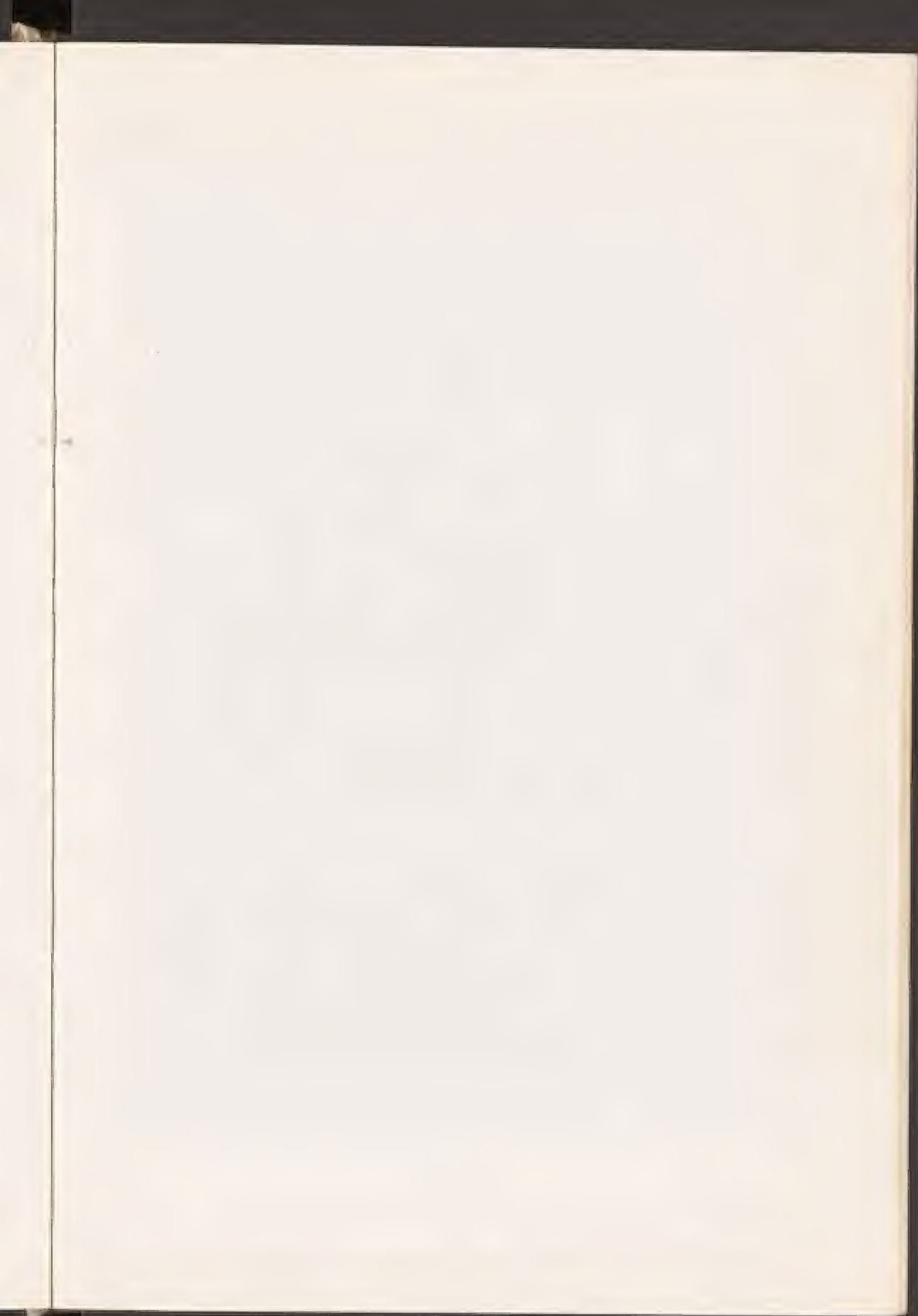




شكل (١٩)

قبة مشهد الامام يحيى بن القاسم

(كليشة مديرية الآبار القديمة العامة)



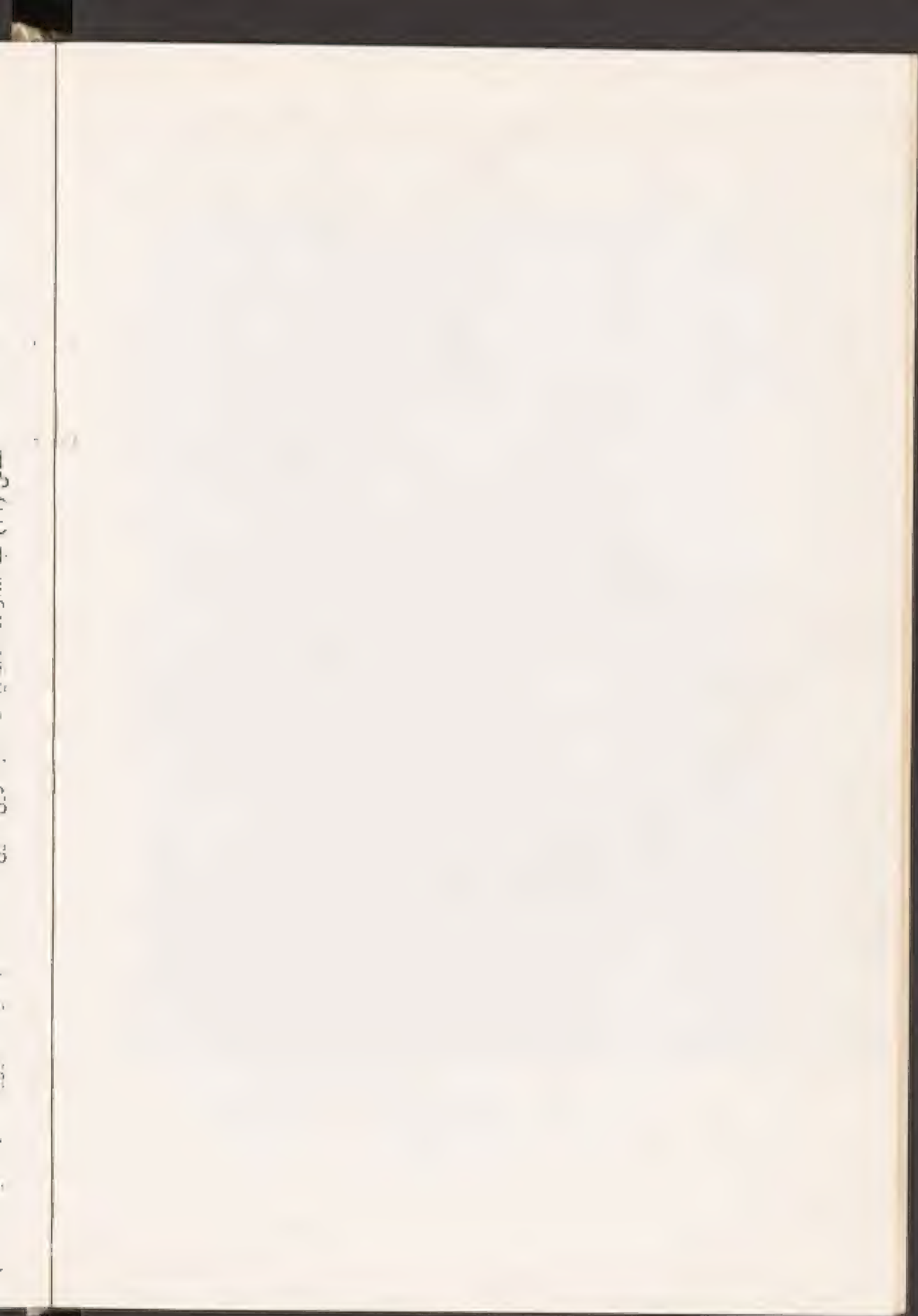


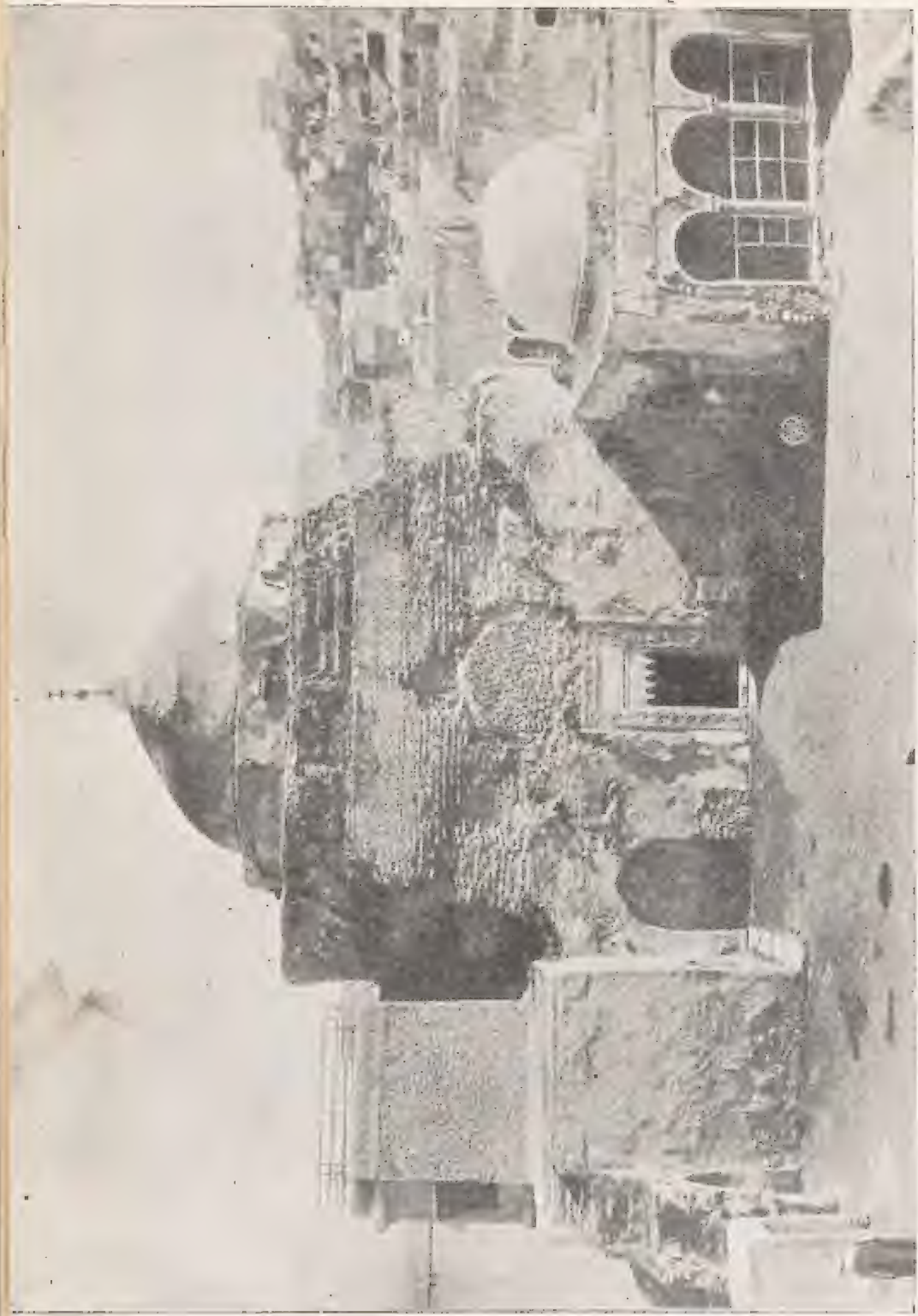
شكل (٢٠)

زخارف مطعمة بالمرمر كانت تزين جدران المدرسة النورية

— الامام محسن —

(كلية مديونية الآثار العامة)



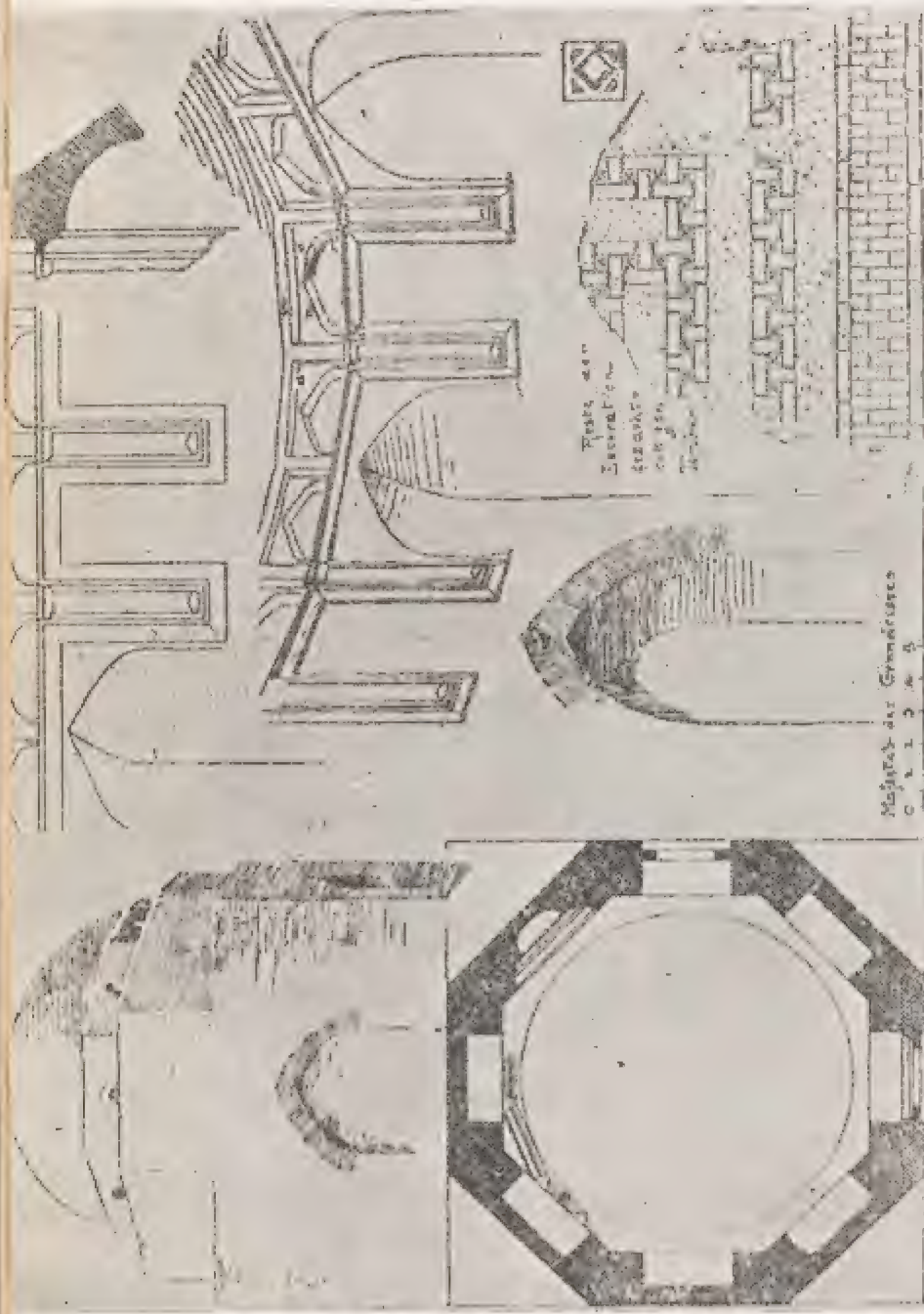


(كنيسة عذوة الآوار القديمة العامة)

شكل (٢٦) قبة المدرسة الكمالية - مسجد زين الدين

التي (تحتار في ترتيبها)

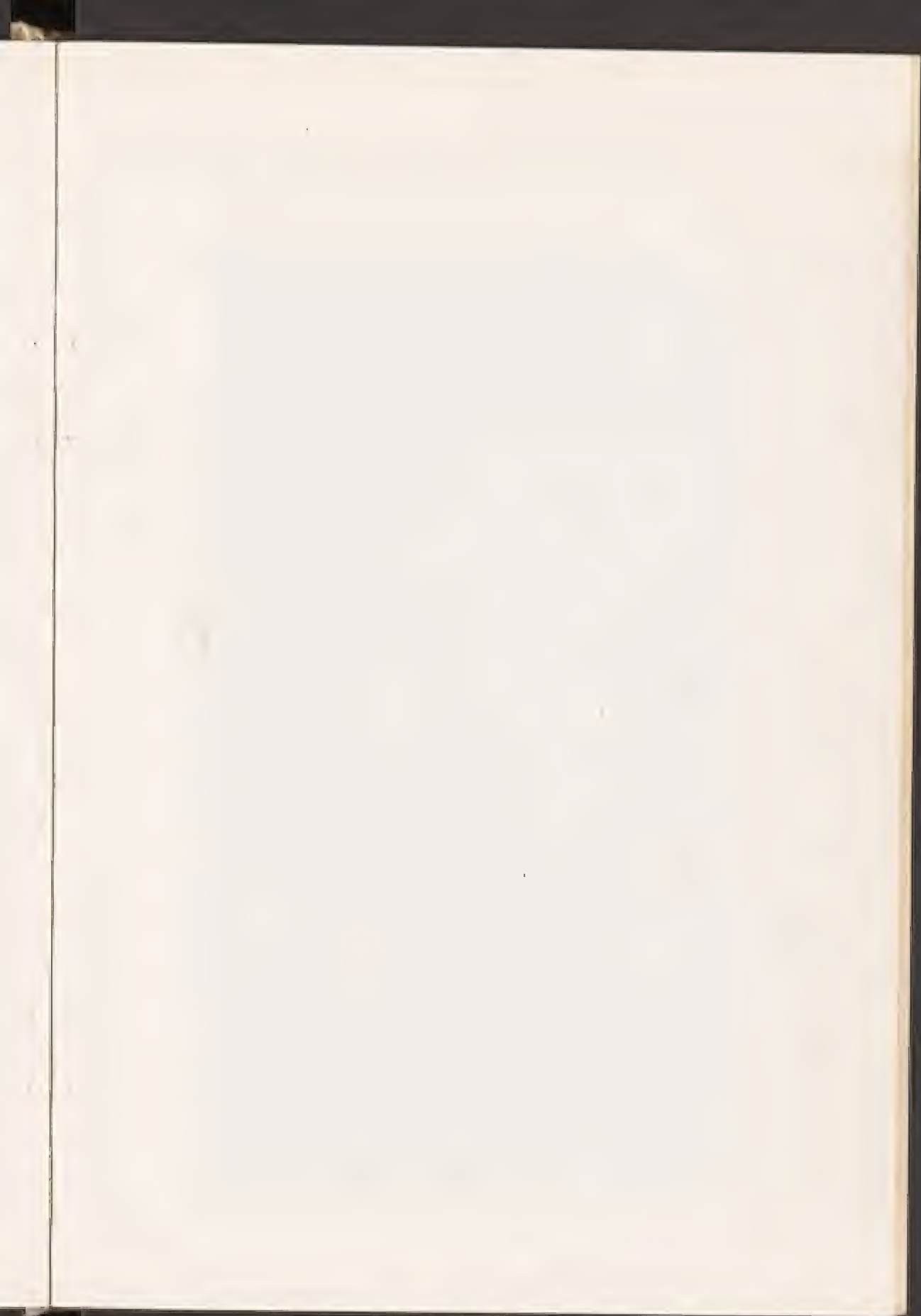
(تحتار في ترتيبها أو في ترتيبها)



Abd. 243, Mesul, Stahlh al-Sham.

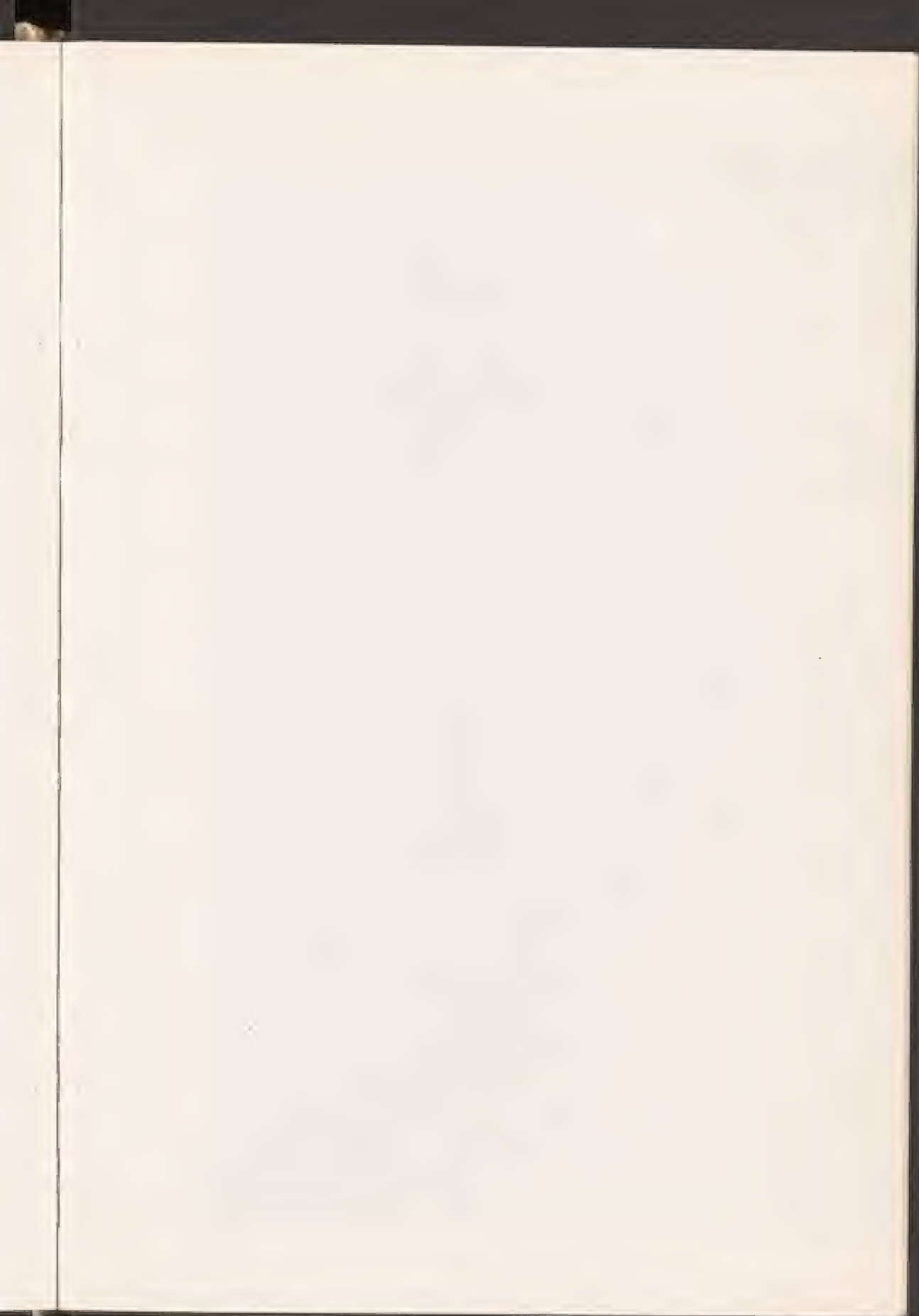
(11) 25

(١) مخطط خارجي لقبة المدرسة الكمالية (٢) مخطط داخلي للقبة المذكورة (٣) مخطط المقاصات . والرخاف
التي فيها (نقلا عن عز تقي)
(كليشة مدينة الآثار القديمة العامة)



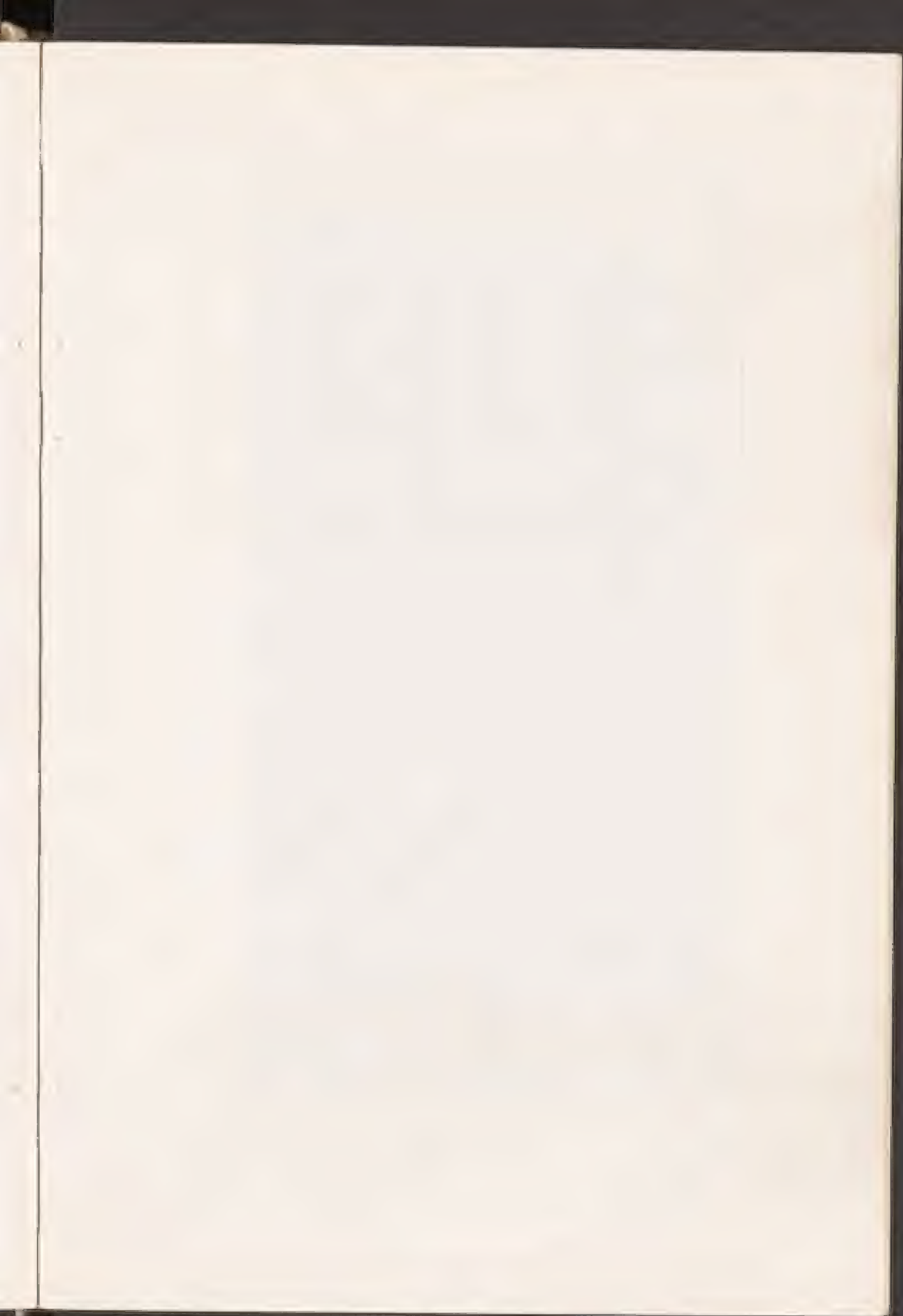


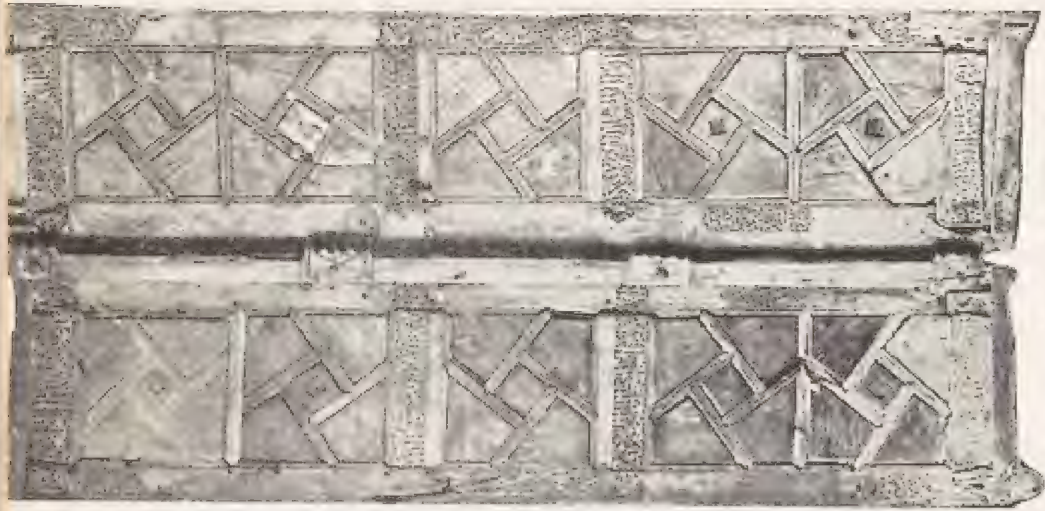
شكل (٢٣) جامع مجاهد الدين قيمان - الجامع الاحمر - في الوقت الحاضر (كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)





شكل (٢٤) باب خشبي كان في جامع العمادية
(كليشة مديرية الأنار القديمة العامة)





باب خشبي كان في مقام الامام ابراهيم
شكل (٣٥)



كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)
شكل (٣٦) مصراع الباب الخشبي الذي كان
في مشهد الامام الباهر



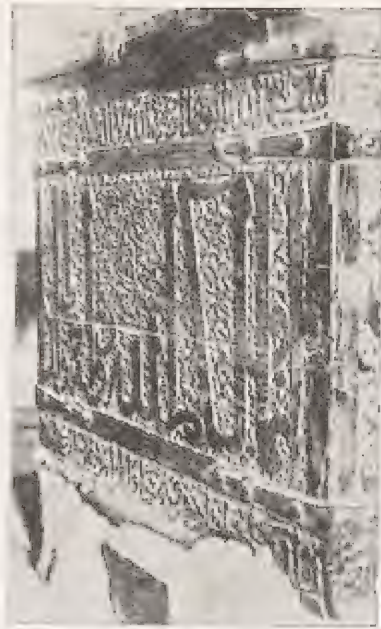


شكل (٢٧) صندوق خشبي في مشهد الإمام يحيى بن القاسم



شكل (٢٨) منظر جانبي للصندوق

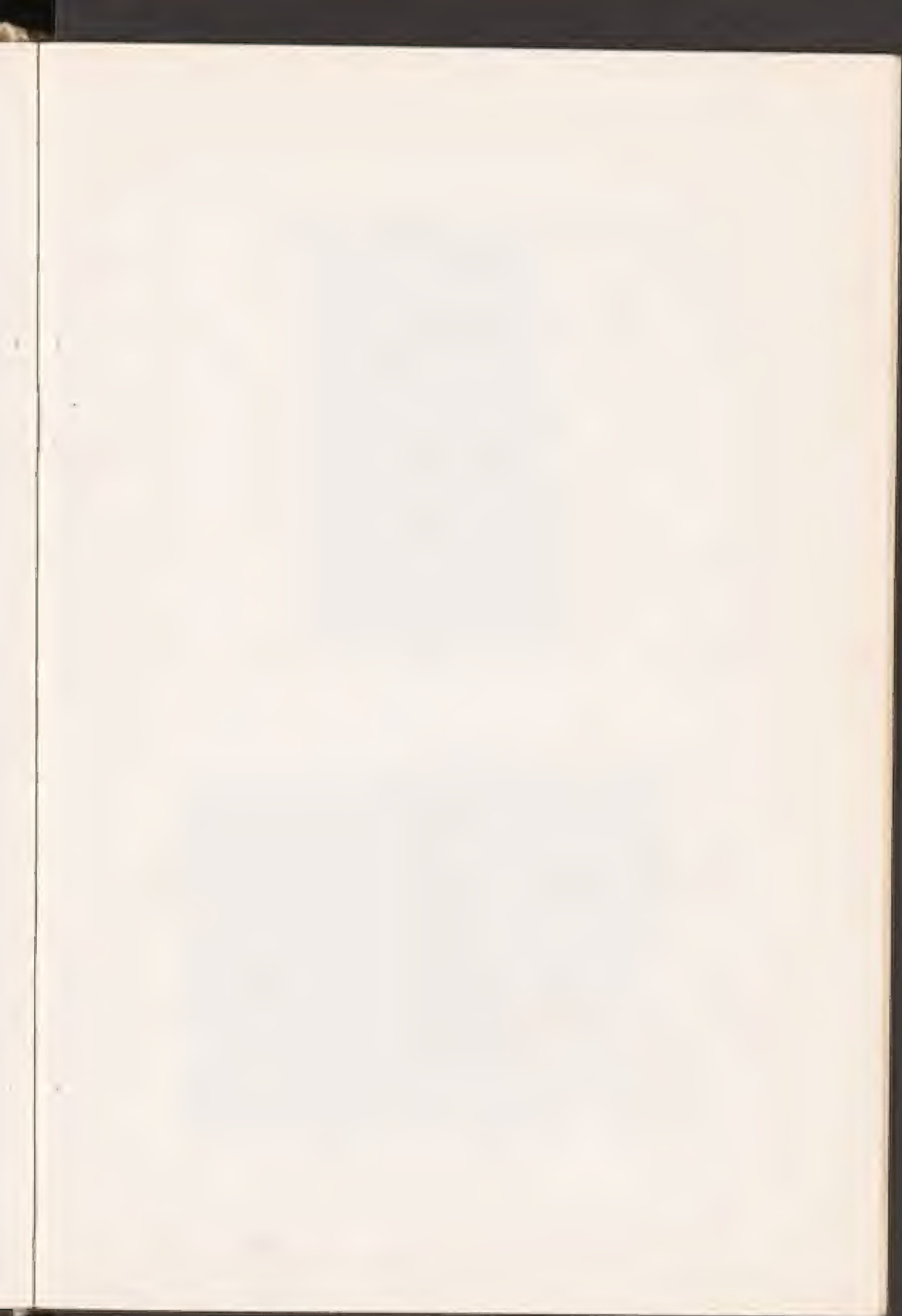




شكل (٢٩)
صندوق خشبي لمشهد الامام عون الدين - ابن الحسين -



شكل (٣٠) منظر جانبي من الصندوق المذكور
(كنيسة مديرة الأناضول القديمة العامة)



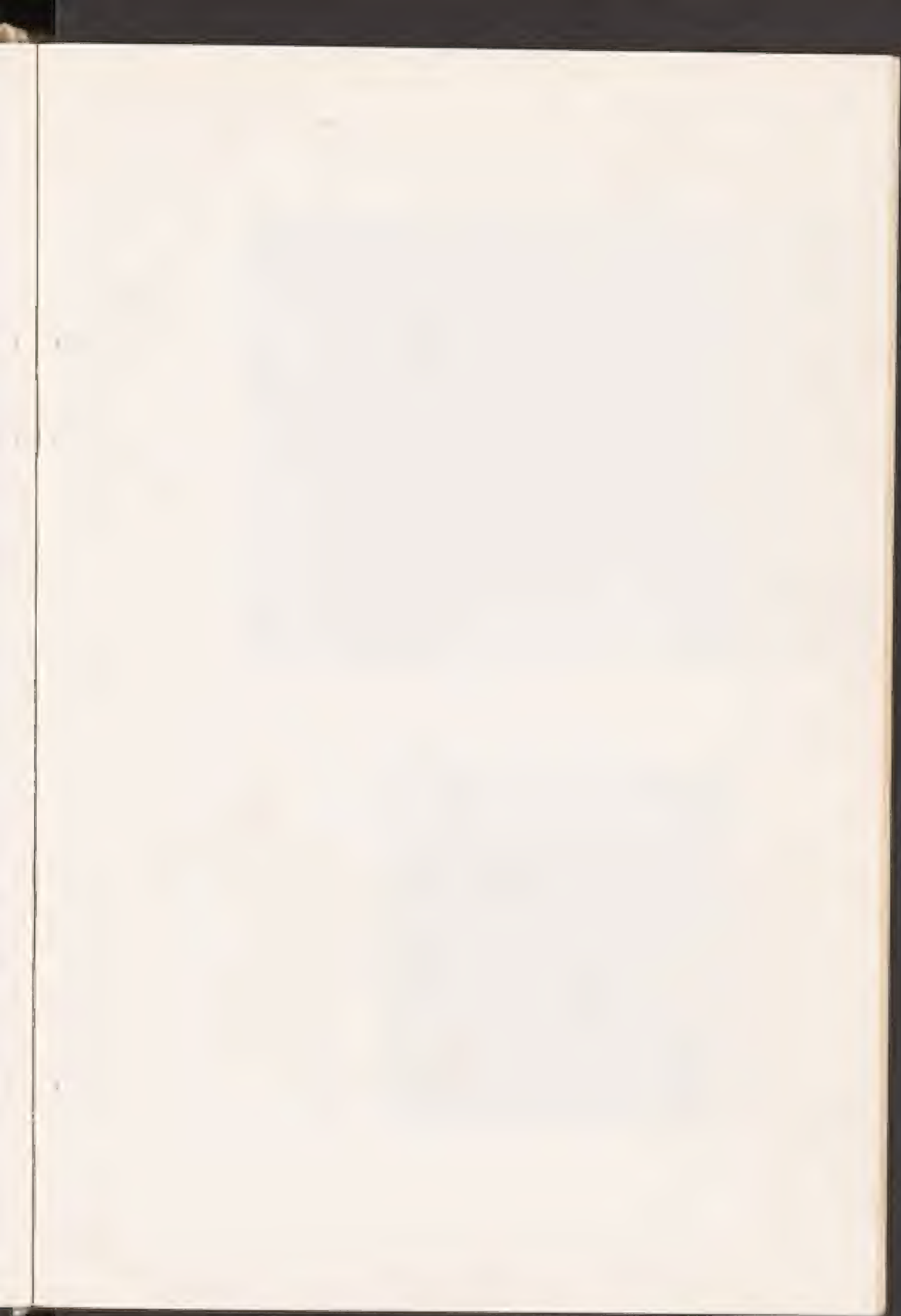


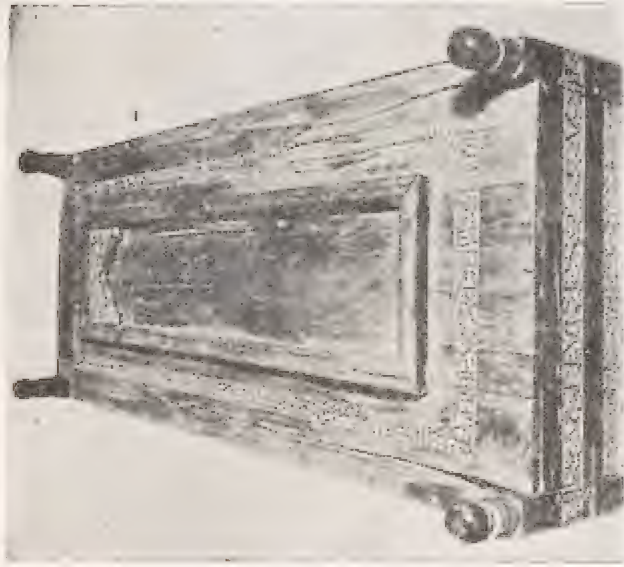
شکل (۳۱)
نمونه من الزخارف والكتابات التي تزين
ظاهر صندوق مشهد الإمام علي الهادي



شکل (۳۲)
جانب من صندوق مشهد الإمام علي الهادي

(کلیشه مدیریه الآثار العامة)

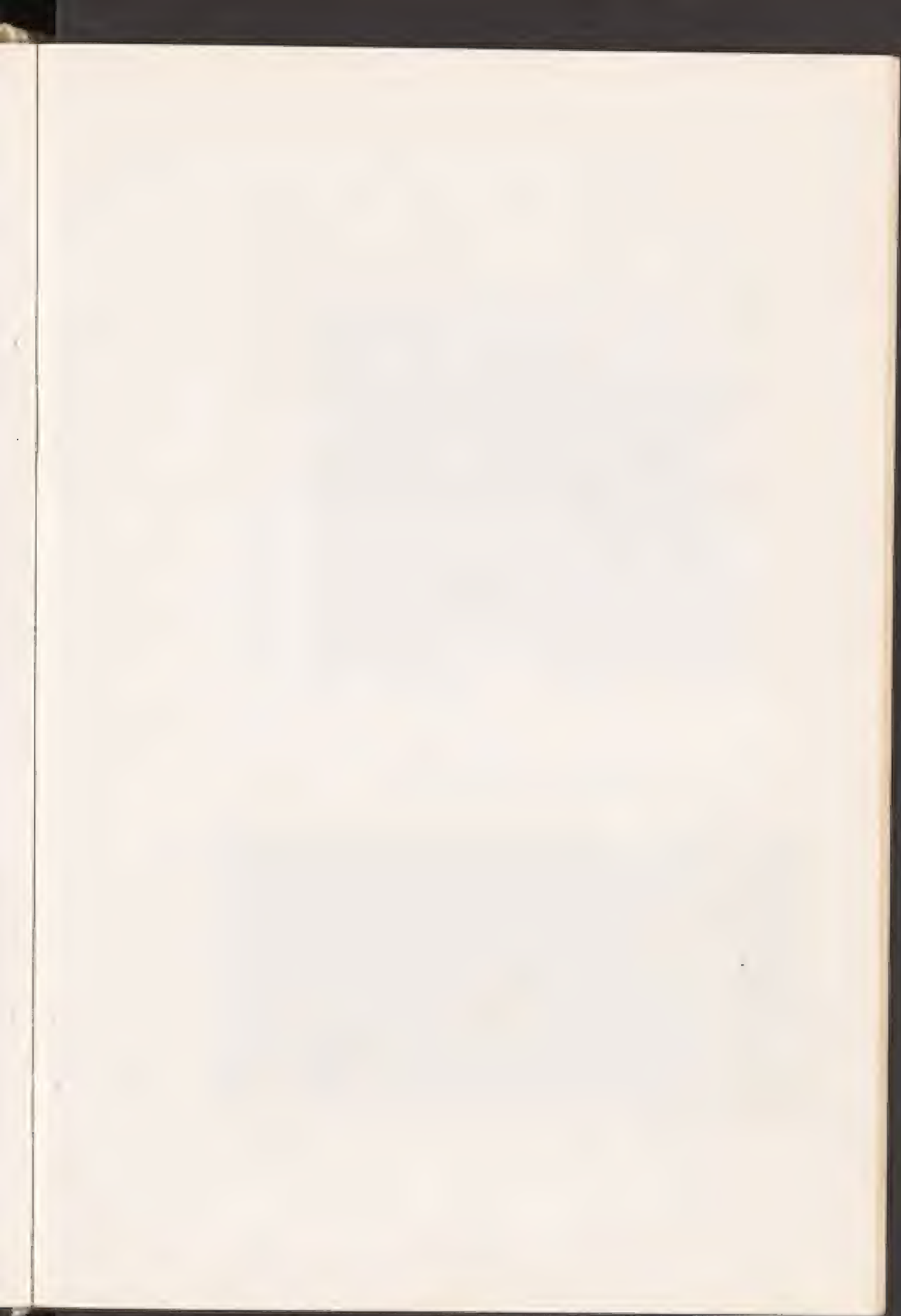


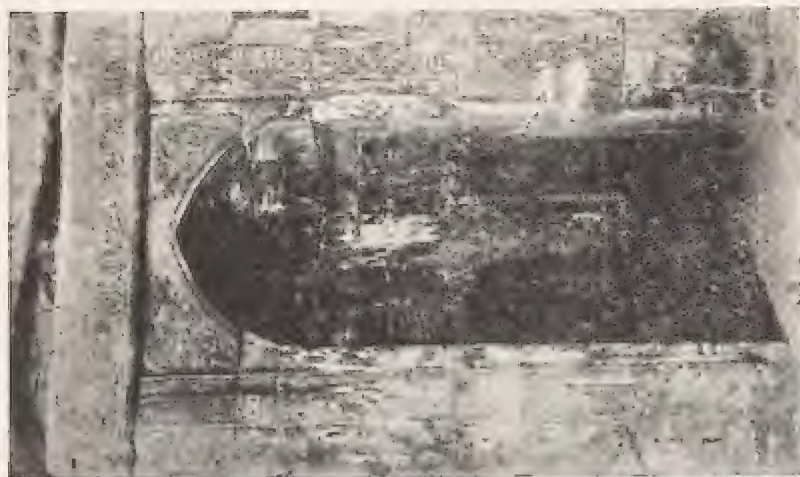


شكل (٣٣) القسم الأعلى من صندوق مشهد
الاهام يحيى بن القاسم



شكل (٣٤) محراب المدرسة العزمية
- الاهام عماد الرحمن -

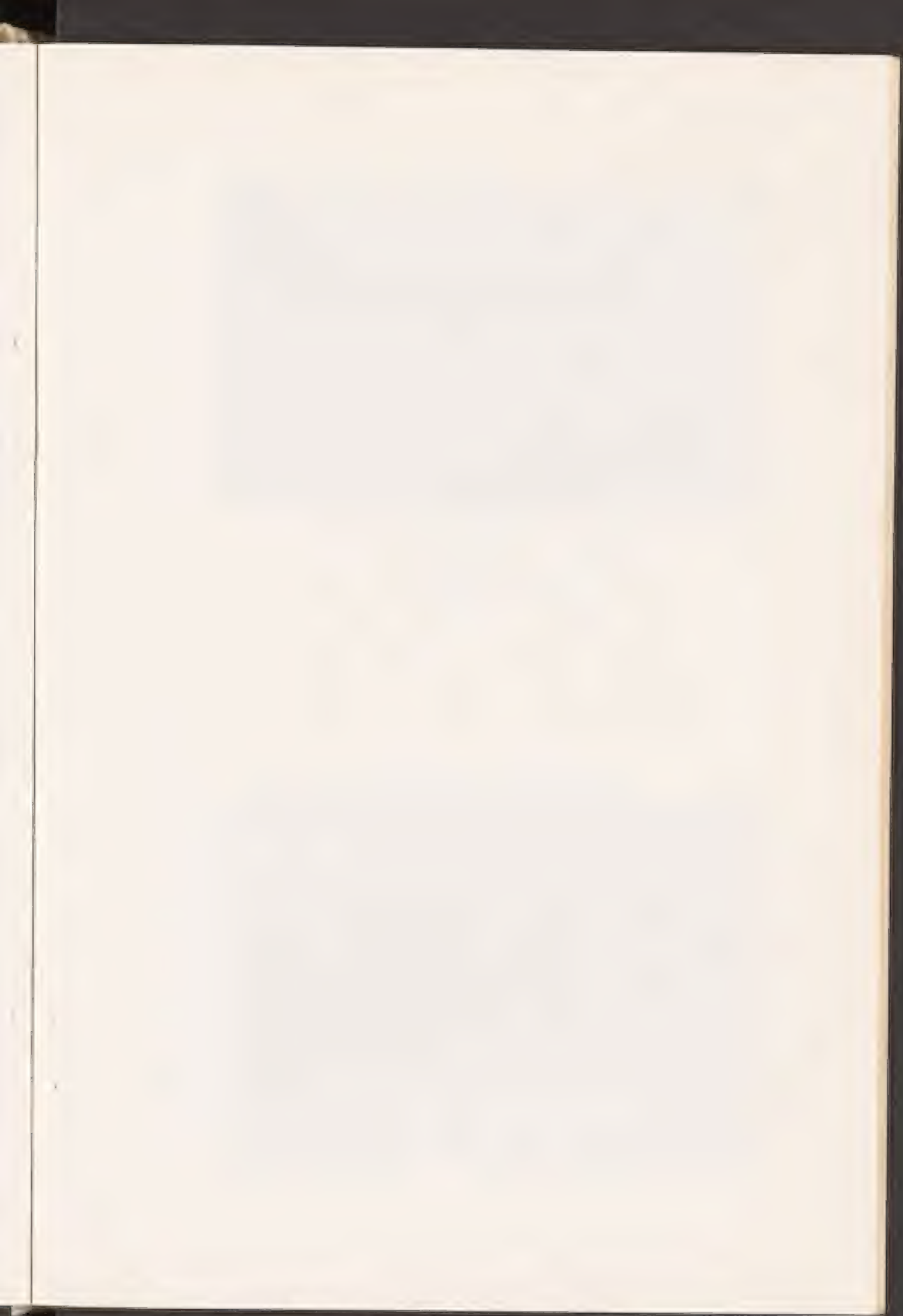


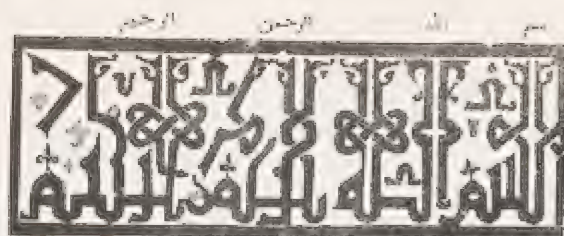


شكل (٣٥) معراب مشهد الإمام الباهر



شكل (٣٦) باب مشهد الإمام الباهر
(كنيسة صديرة الآثار القديمة العامة)





شكل (٣٧) البسملة مكتوبة بالجيس كانت في الجامع النوري

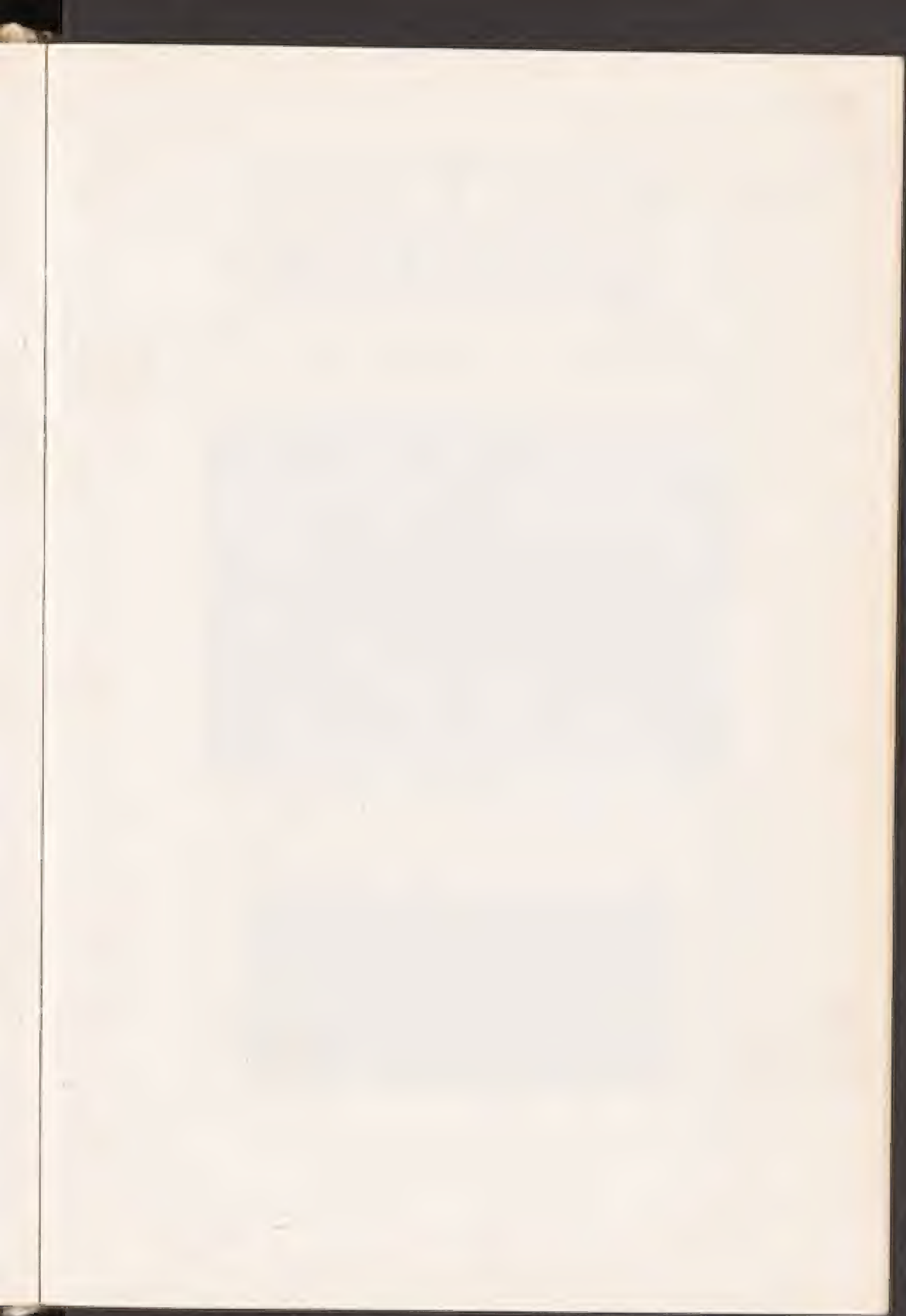


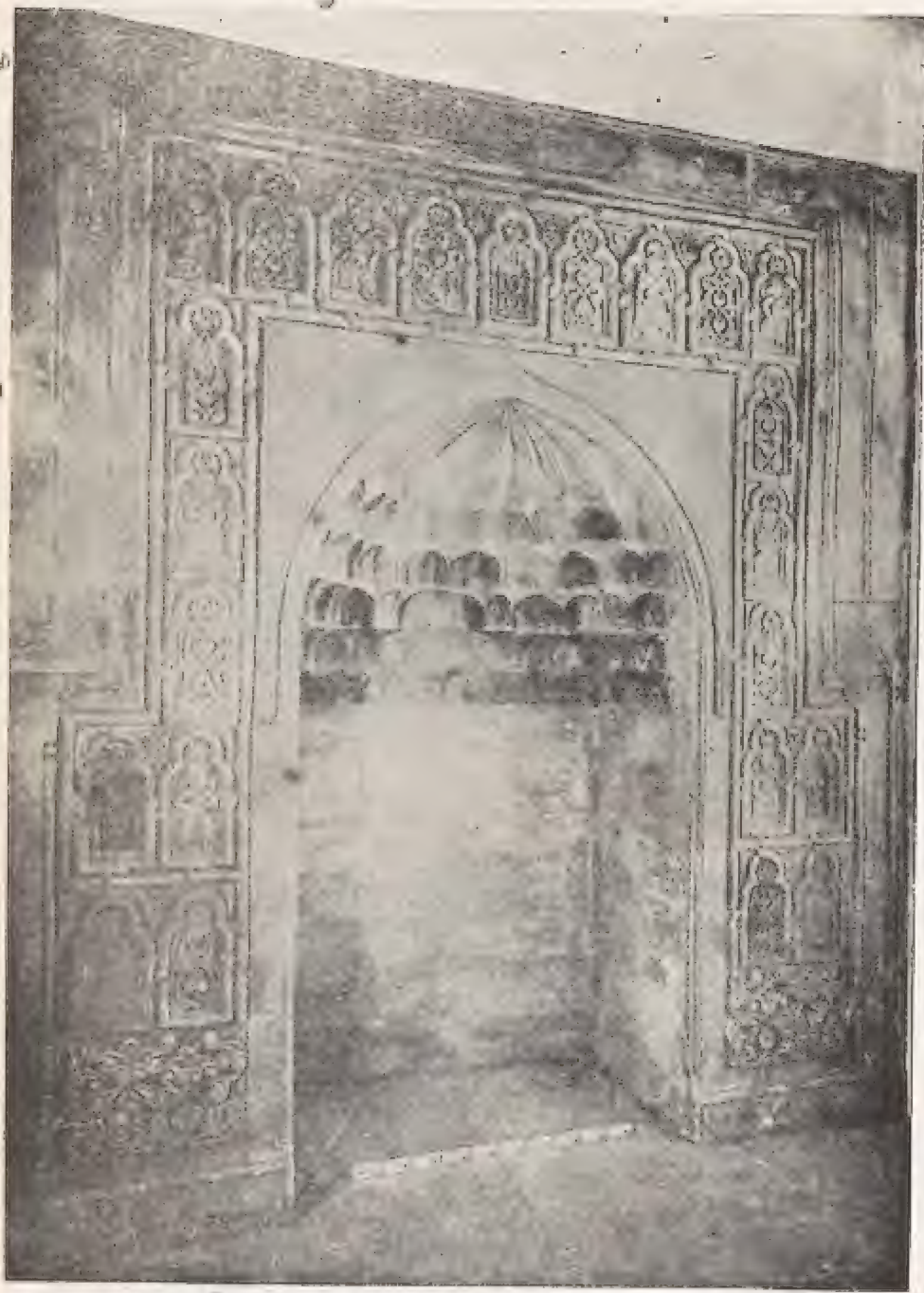
شكل (٣٨) خزانة حبيسة كانت في الجامع النوري



شكل (٣٩)

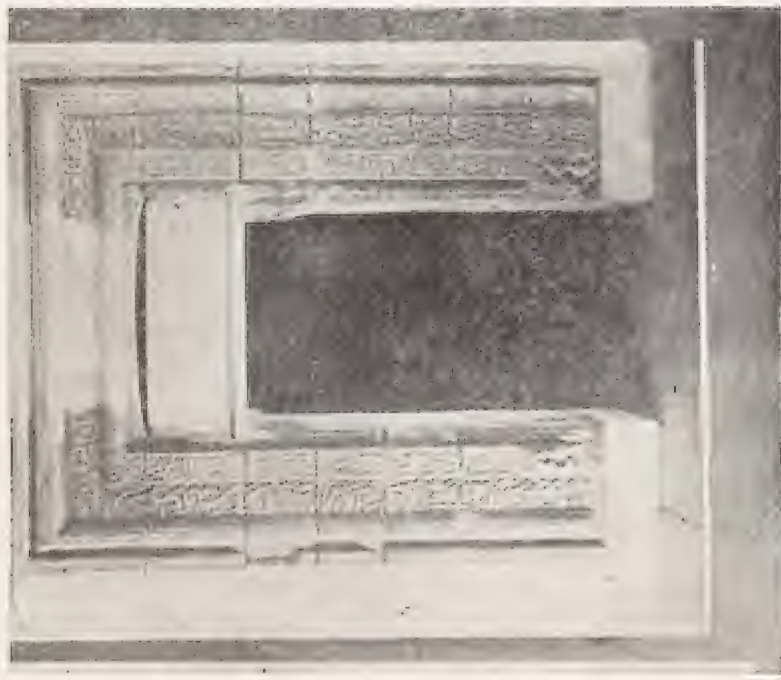
نماذج من الكتابات التي تزين صناديق
مشهد الأمام عبد الرحمن



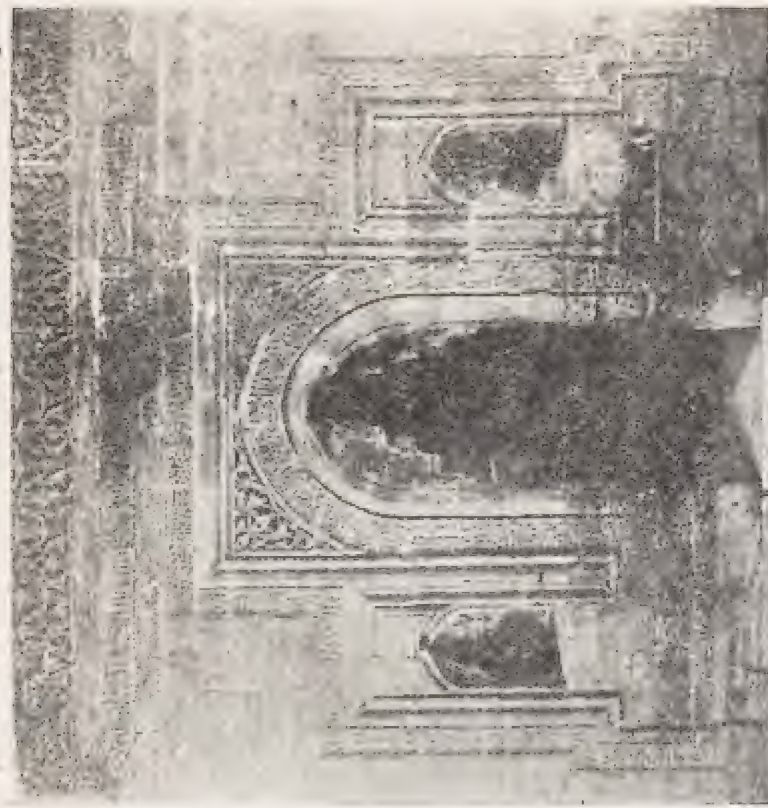


شكل (٤٠) محراب مزین بصنور محفورة حوله - عثر عليه خارج مدينة سنجان -
(کلیشة مدبریة الآثار القدیمة العامة)

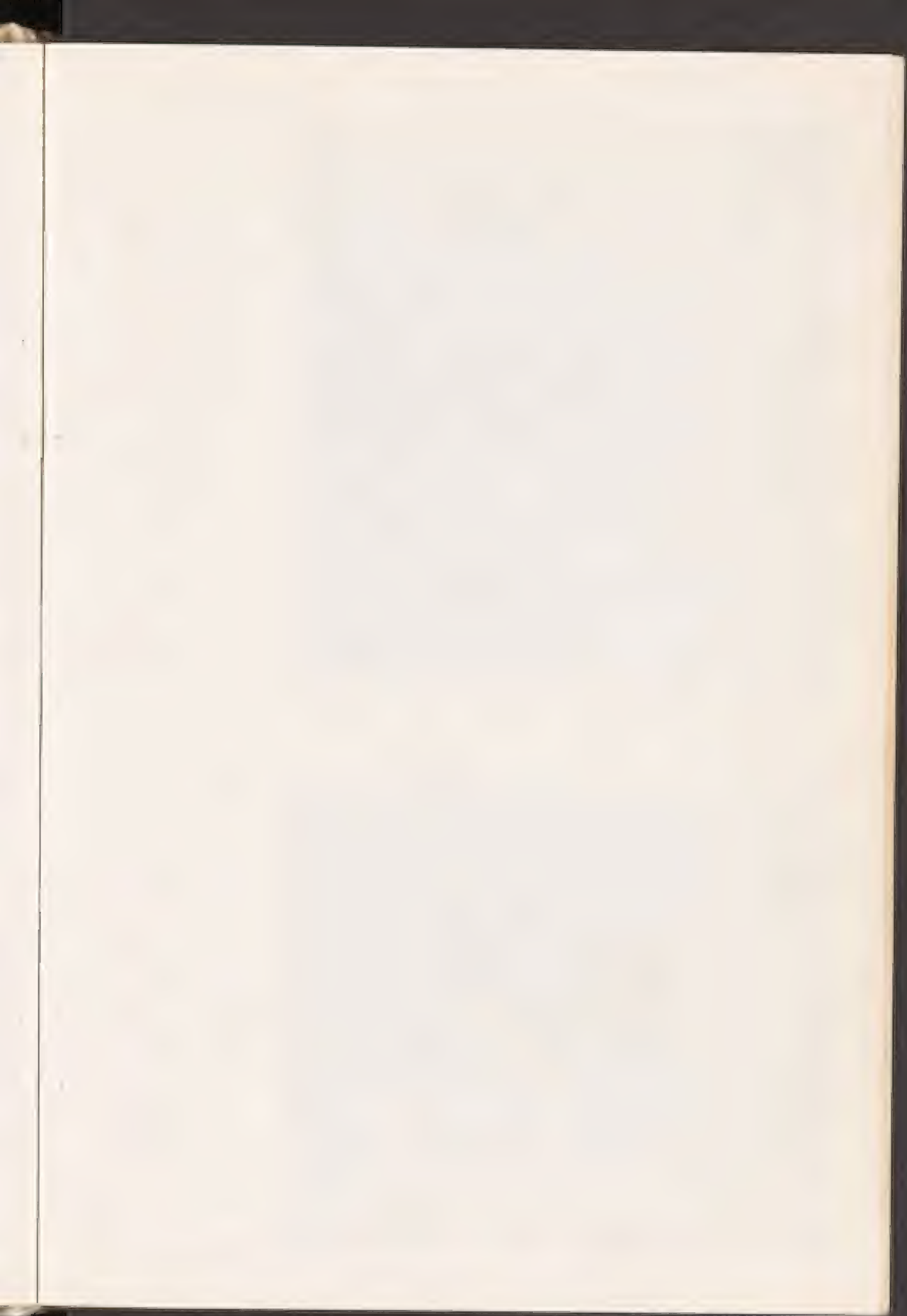




شكل (٤٢)
مدخل مشهد الطرح - بنتجه على -
(كليشة مديرية الآثار القديمة العامة)



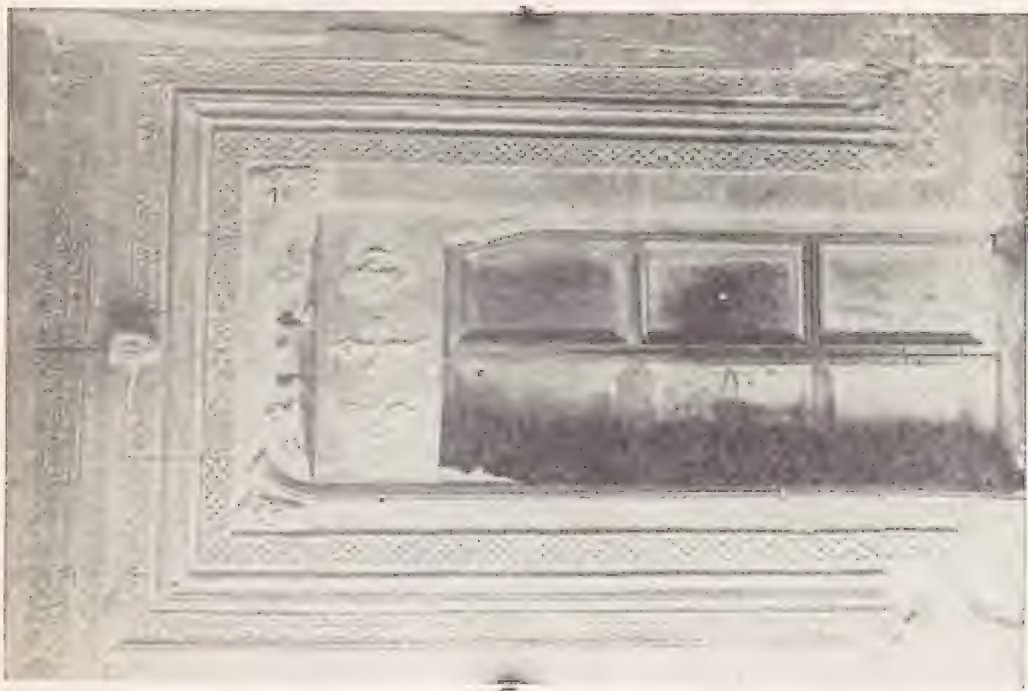
شكل (٤١)
محراب مشهد الطرح - بنتجه على -
(كليشة مديرية الآثار العامة)



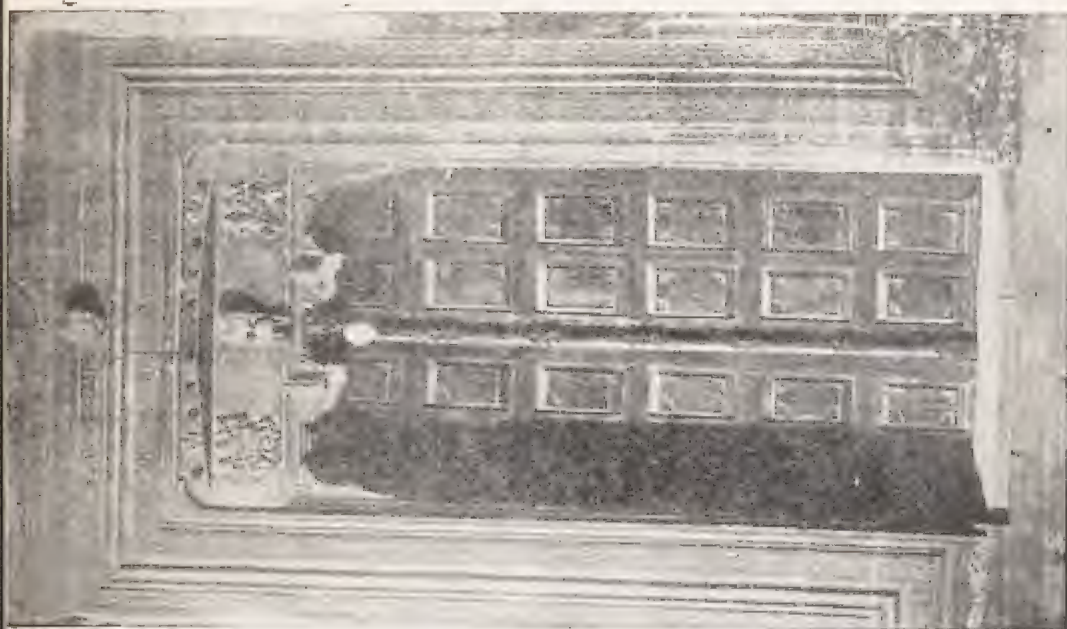


شكل (٤٣) تمثال من الجبس لمار بهنام الشهيد وهو في كنيسة دير الجب





شكل (٤٤) الباب الأيسر لكنيسة دير الجب

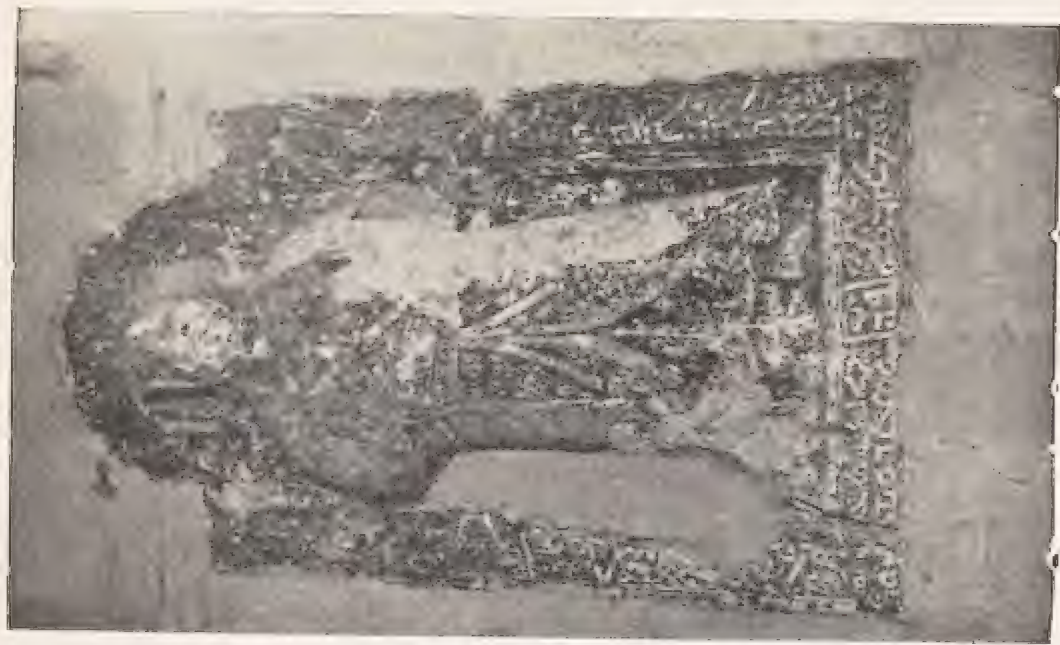


شكل (٤٥) باب قدس الاقداس في كنيسة دير الجب

شكل (٤٦) تمثال الأميرة سارة - وهو في دير الحب

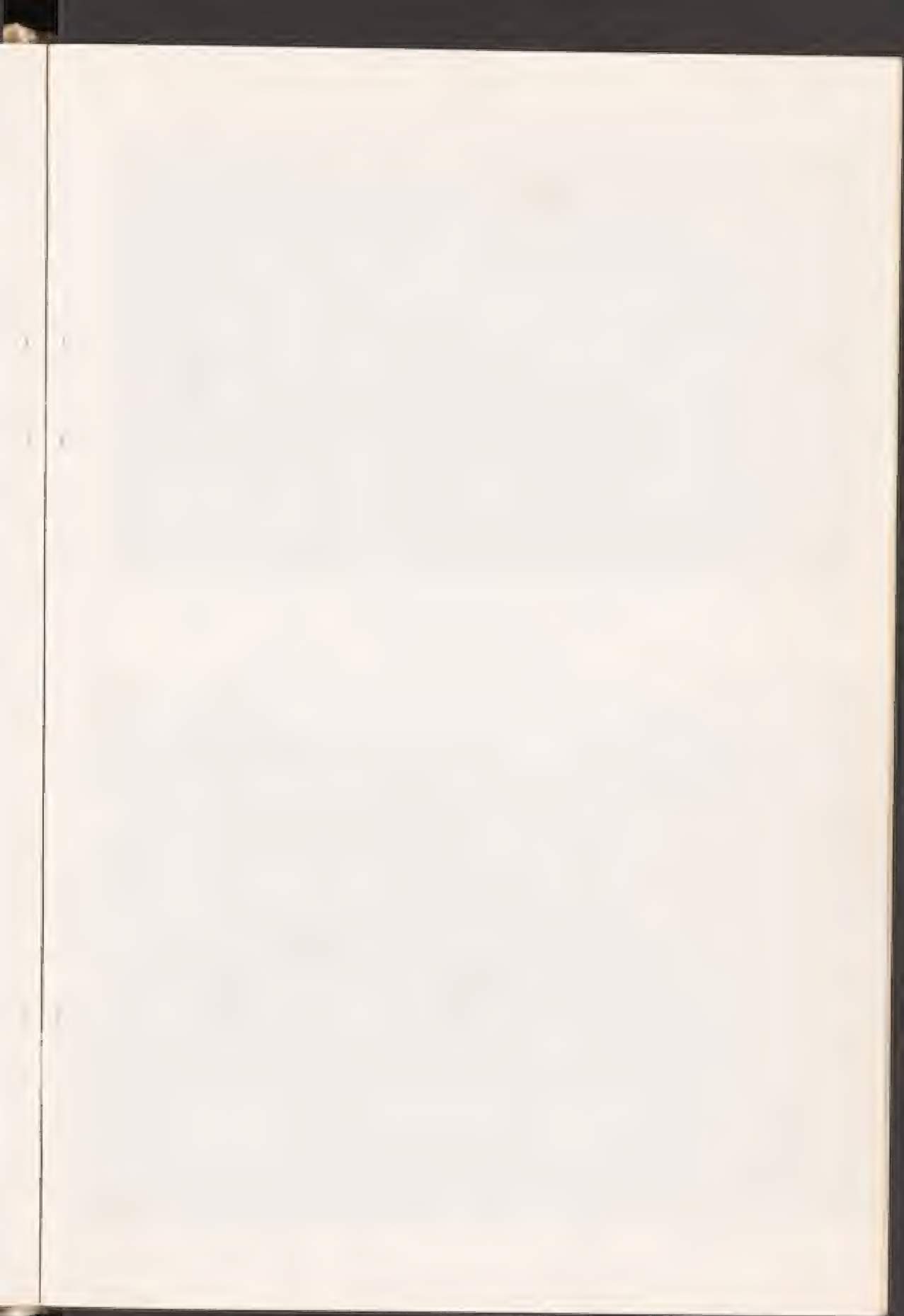
شكل (٤٧) ضريح مار يهنا - في دير الحب -

شكل (٤٦) تمثال الأميرة سارة - وهو في دير الحب



شكل (٤٧) ضريح مار بهنام - في دير الحب -







قلاع الموصل ودور الإمارة فيها

- | | |
|------------------------------|-----------------------------------|
| ١- الجامع الأموي | ٦- الجسر الخشبي |
| ٢- باب القلعة | ٧- قصور الأتابكيين |
| ٣- باب السر | ٨- قلعة الموصل - القلعة الأتابكية |
| ٤- برج قلعة - القلعة الدغلية | ٩- باب ملح - القلعة |
| ٥- باب الجسر | ١٠- باب السر |

المصادر

آدم مقرر -

١ - الحصار الاسلامي في القرن الرابع الهجري *

ابن ابي اصيبعة (احمد بن القاسم) *

٢ - عيون الانباء في طبقات الاطباء - مصر سنة ١٩٢٩ هـ *

ابن الاثير (عز الدين) *

٣ - اسد الغابة في اخبار الصحابة - مصر

٤ - الباهر في اخبار الدولة الاتاكية - مكتبة الحروب الصليبية -

باريس سنة ١٨٨٦ م

٥ - الكامل في التاريخ - مصر سنة ١٢٥٠ هـ *

٦ - اللباب في الانساب - مصر سنة ١٢٥٧ هـ *

ابن بطوطة (احمد) *

٧ - تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار - مصر سنة

١٣٥٢ هـ *

ابن تغري بوردى (يوسف) *

٨ - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - مصر سنة ١٣٥٠ هـ *

ابن جبير (محمد بن احمد) *

٩ - رحلة ابن جبير - مصر *

ابن الجزري (شمس الدين محمد) *

١٠ - غاية النجابة في طبقات القراء - مصر سنة ١٩٣٣ م *

ابن الجوزي (ابو الفرج عبد الرحمن) *

١١ - صفة الصفوة * طبعة حيدر اباد

١٢ - المنتظم في تاريخ الملوك والامم - حيدر آباد سنة ١٣٥٧ هـ *

ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين احمد) *

١٣ - الاصابة في اخبار الصحابة - مصر ١٣٢٥ هـ *

١٤ - الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة - حيدر آباد سنة

١٣٤٩ هـ *

ابن حوقل (ابو القسم) *

١٥ - صورة الارض - لندن سنة ١٩٢٨ م *

- ابن الساعى (على بن انجب) •
 ١٦ - الجامع المختصر - بغداد سنة ١٩٣٤ م - حققه مصطفى جواد (الدكتور)
 ابن خلدون (عبدالرحمن) •
 ١٧ - الغبر وديوان المبتدأ والخبر - مصر سنة ١٢٨٤ هـ •
 ابن خلكان (احمد) •
 ١٨ - وفيات الاعيان - مصر ١٣١٠ هـ •
 ابن شاکر الکتبی - (محمد)
 ١٩ - فوات الوفيات - مصر سنة ١٢٩٠ هـ •
 ابن شداد - (بهاء الدين)
 ٢٠ - النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الايوبي) مصر سنة ١٩٠٧ م •
 ٢١ - تكملة اكمال الاكمال (التكميل) حققه الدكتور مصطفى جواد بغداد سنة ١٩٥٧
 ابن الطقطقى (محمد بن على بن طباطبا) •
 ٢٢ - الفخرى فى الآداب السلطانية - مصر
 ابن طولون - (محمد بن على)
 ٢٣ - اللغات البرقية فى التكت التاريخية - دمشق سنة ١٣٤٨ هـ •
 ابن عبد الحق - (صفى الدين)
 ٢٤ - مراصد الاطلاع فى معرفة الامكنة والبقاع •
 ابن العبرى (غريغوريوس)
 ٢٥ - التاريخ الكنسى بالسريانى - نشره ايولوس - ولامى - طبع بلجيكا سنة ١٨٧٢ م - مع الترجمة اللاتينية •
 ٢٦ - تاريخ مختصر الدول - بيروت سنة ١٨٩٠ م •
 ابن العديم (كمال الدين عمر) •
 ٢٧ - زبدة الحلب فى تاريخ حلب - طبعة المعهد الفرنسى بدمشق
 ابن عساكر (ابو القاسم على بن الحسن) •
 ٢٨ - التاريخ الكبير - دمشق سنة ١٣٢٢ هـ •
 ابن العماد الجنبلى (عبدالحق) •
 ٢٩ - شذرات الذهب فى اخبار من ذهب - مصر سنة ١٣٥٠ هـ •

ابن فضل الله العمري (شهاب الدين)

- ٣٠ - التعريف بالمصطلح الشريف - مصر سنة ١٣١٢ هـ .
- ٣١ - مسالك الابصار في ممالك الاعصار - طبعة دار الكتب المصرية .

ابن الفوطي (عبدالرزاق) •

- ٣٢ - الخواص الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة - بغداد سنة ١٣٥١ هـ حققه مصطفى جواد (الدكتور)

ابن قتيبة الدينوري (عبدالله بن مسلم) •

- ٣٣ - الامامة والسياسة مصر ١٣٢٨ هـ .
- ٣٤ - الاخبار الطوال - مصر ١٣٣٠ هـ .
- ٣٥ - المعارف - مصر ١٣٥٣ هـ .

ابن القلانسي (حمزة) •

- ٣٦ - ذيل تاريخ دمشق - بيروت سنة ١٩٠٨ م .

ابن كثير (اسماعيل) •

- ٣٧ - البداية والنهاية - مصر سنة ١٣٤٨ هـ .

ابن مسكويه (احمد بن محمد) •

- ٣٨ - تجارب الامم - مصر ١٣٣٢ هـ .

ابن المقرب (ابو عبدالله محمد) •

- ٣٩ - ديوان ابن المقرب - مصر سنة ١٣٠٠ هـ .

ابن واصل (جمال الدين محمد)

- ٤٠ - مغرر الكروب في اخبار بني ايوب - مصر سنة ١٩٥٣ حققه الدكتور جمال الدين الشيال

ابن الوردي (عمر) •

- ٤١ - تمة المختصر في اخبار البشر - مصر سنة ١٢٨٥ هـ .
- ٤٢ - خريدة العجائب وفريدة الغرائب - مصر .

ابو شامة المقدسي (عبدالرحمن) •

- ٤٣ - الروضتين في اخبار الدولتين - مصر سنة ١٢٨٧ هـ .

ابو الفداء (اسماعيل) •

- ٤٤ - تقويم البلدان - مخطوط - (نسخة في المدرسة الاحمدية) في الموصل

- ٤٥ - المختصر في تاريخ البشر - المطبعة الحسينية .
- ابو نعيم (احمد بن عبدالله) .
- ٤٦ - حلية الاولياء وطبقات الاصفياء - مصر سنة ١٣٥١ هـ .
- ابو الوفاء القرشي (عبدالقادر بن ابي الوفاء) .
- ٤٧ - الجواهر الخفية في طبقات الحنفية - حيدر آباد .
- احمد تيمور باشا -
- ٤٨ - كتاب التصوير عند العرب - مصر ١٩٤٠ م .
- ٤٩ - اعلام المهندسين في الاسلام - مصر ١٩٥٧ .
- احمد عيسى بك
- ٥٠ - معجم الاطباء - سنة ١٣٦١ هـ .
- ٥١ - البيمارستانات في الاسلام
- ارملة (النفس استحقاق)
- ٥٢ - انباء الزمان في جبالقة المشرق ومفارقة السريان - بيروت سنة ١٩٢٤ م .
- السير توماس ارنولد
- ٥٣ - تراث الاسلام (الفنون الزخرفية الاسلامية واثرها في الصناعة) الاوربية - ترجمة المحامي جرجيس فتاح الله - الموصل سنة ١٩٥٤
- الازدي (ابو زكريا يزيد بن محمد)
- ٥٤ - تاريخ الموصل (مخطوط) نسخة منقولة في خزائنا
- الاصطخري (ابو استحقاق ابراهيم)
- ٥٥ - المسالك والممالك - لندن سنة ١٩٢٧ م .
- الاصفهاني (عماد الدين الكاتب) .
- ٥٦ - الفتح القسبي في الفتح القدسي - مصر سنة ١٣٢٤ هـ .
- ٥٧ - خريدة القصر وجريدة العصر - حققه الاستاذ محمد بهجت الانري - بغداد سنة ١٩٥٥ .
- عبدال (فرام)
- ٥٨ - الملوك الضيعة في تاريخ مار بينام الشهيد - موصل سنة ١٩٥١ م .
- برصوم (اغناطيوس فرام الاول)
- ٥٩ - الملوك المنشور في تاريخ العلوم والآداب الرياضية - حمص سنة ١٩٥٦

البشارى المقدسى (شمس الدين ابى عبدالله) .

٦٠ - احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم - ابريل سنة ١٩٠٩م .

البندارى (الفتح بن على بن الفتح قوام الدين البندارى الاصفهاني) .

٦١ - تاريخ دولة آل سلجوق (اختصر كتاب الامام عماد الدين محمد بن

محمد بن حامد الاصفهاني) سنة ١٣١٨ هـ .

البكرى (عبدالله) .

٦٢ - معجم ما استعجم من اسماء البلاد والمواضع - مصر سنة

١٣٦٤ هـ .

البلاذرى (ابو الحسن احمد) .

٦٣ - فتوح البلدان - مصر سنة ١٣٥٠ هـ .

بنيامين التطيلي -

٦٤ - رحلة بنيامين - ترجمة عزرا حداد - بغداد سنة ١٣٦٤ هـ .

التادفى (محمد بن يعقوب) .

٦٥ - قلائد الجواهر فى مناقب الشيخ عبدالقادر - مصر سنة

١٣٥٦ هـ .

الجاحظ (عمرو بن بحر) .

٦٦ - التبصر فى التجارة - مصر سنة ١٣٥٤ هـ .

جرجى زيدان -

٦٧ - تاريخ آداب اللغة العربية - طبع دار الهلال .

٦٨ - تاريخ التمدن الاسلامى - مصر سنة ١٩١٤م .

الجلبى (الدكتور داود) .

٦٩ - مخطوطات الموصل - بغداد سنة ١٣٤٦ هـ .

٧٠ - زبدة الآثار الجلية فى الحوادث الارضية (مخطوط) . نسخة

فى خزانتنا .

الجهشياري (محمد بن عيلوس) .

٧١ - الوزراء والكتاب - طبعة الصاوى .

حاجى خليفة - (مصطفى بن عبد الله)

٧٢ - كشف الظنون عن اسامى الكتب والفنون - استانبول

سنة ١٩٤٣م .

الحسيني (علي بن ابن الفوارس) •

٧٣ - اخبار الدولة السليخوية - لاهور سنة ١٩٣٣ •

الخطيب البغدادي (احمد بن علي) •

٧٤ - تاريخ بغداد - مصر سنة ١٣٤٩ هـ •

دي طرازي (الفيكونت فليب) •

٧٥ - عصر السريان الذهبي - بيروت سنة ١٩٤٦ م •

الديوهجي (سعيد) • مؤلف الكتاب

٧٦ - بيت الحكمة - الموصل سنة ١٩٥٤ م •

٧٧ - الفتوة في الاسلام - الموصل سنة ١٩٤٠ م •

٧٨ - سور الموصل - سومر المجلد الثالث سنة ١٩٤٧

٧٩ - الجامع النوري - سومر المجلد الخامس سنة ١٩٤٩

٨٠ - الجامع الاموي - سومر المجلد السادس سنة ١٩٥٠

٨١ - صناعة الموصل وتجارقتها في القرون الوسطى - سومر

المجلد السابع سنة ١٩٥١

٨٢ - خطط الموصل في العهد الاموي - سومر المجلد السابع

سنة ١٩٥١

٨٣ - مسجد الشيخ قضيبي البان الموصل - سومر المجلد الثامن

سنة ١٩٥٢

٨٤ - قلعة الموصل في مختلف العصور - سومر المجلد العاشر

سنة ١٩٥٤

٨٥ - جامع النبي يونس - سومر المجلد العاشر سنة ١٩٥٤

٨٦ - الجامع المجاهدي في الموصل - سومر المجلد الحادي عشر

سنة ١٩٥٥

٨٧ - جسر الموصل في مختلف العصور - سومر المجلد الثاني عشر

سنة ١٩٥٦

٨٨ - مدارس الموصل في العهد الاتاكني سومر - المجلد الثالث

عشر سنة ١٩٥٧

الذهبي (ابو عبد الله محمد بن احمد) •

٨٩ - دول الاسلام - حيدر آباد سنة ١٣٦٤ هـ •

٩٠ - المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الديلمي • حققه الدكتور

مصطفى جواد

الرسعنى الكنجى -

٩١ - كفاية الطالب فى مناقب آل ابن طالب - التجف .

الروذراورى (محمد بن الحسين) .

٩٢ - ذيل تجارب الامم - مصر ١٣٣٤ هـ .

٩٣ - يديه قطعة من تاريخ ابن هلال الصابى .

زكى محمد حسن (الدكتور) .

٩٤ - الفنون الايرانية فى العصر الاسلامى مصر سنة ١٩٥٠

٩٥ - اطلس الفنون الاسلامية - نشرته كلية العلوم والآداب

القاهرة سنة ١٩٥٨

سبط ابن الجوزى (ابو محمد يوسف) .

٩٦ - مرآة الزمان - نسخة منقولة بالفوستات سنة ١٩٠٧ م .

السيكى (عبدالوهاب) .

٩٧ - طبقات الشافعية - مصر ١٣٢٤ هـ .

٩٨ - معيد النعم ومبيد النقم مصر ١٣٦٧ هـ .

السغاوى (على بن احمد) .

٩٩ - تحفة الاحباب وبغية الطلاب - مصر سنة ١٣٥٦ هـ .

السراج (محمد بن جعفر بن احمد) .

١٠٠ - مصارع العشاق - القسطنطينية سنة ١٣٠١ هـ .

السيوطى (جلال الدين) .

١٠١ - بغية الوعاة فى طبقات النحاة - مصر سنة ١٣٢٦ هـ .

سيوفى (نقولا) .

١٠٢ - مجموع الكتابات المحررة فى ابنية مدينة الموصل حققه

ونشره سعيد الديوجى - بغداد ١٩٥٦

الشابستى (ابو الحسن على) .

١٠٣ - الديارات - حققه ونشره كوركيس عواد - بغداد ١٩٥١

الشنطوفى (على بن يوسف) .

١٠٤ - بهجة الاسرار ومعدن الانوار - مصر سنة ١٣٣٠ هـ .

الصائغ (القس سليمان)

١٠٥ - تاريخ الموصل - مصر

الصفدي (صلاح الدين خليل بن ابيك)

١٠٦ - الوافي بالوفيات - استانبول سنة ١٩٣١ م

١٠٧ - تكت السميان بنكت العميان - مصر سنة ١٢٢٩ ع

الطبري (محمد بن جرير)

١٠٨ - تاريخ الامم والملوك - مصر سنة ١٢٢٣ ع

عبد اللطيف البغدادي -

١٠٩ - الاقادة والاعتبار - نشر ما يخص منه فصر في المجلدات

الجديدة تحت عنوان (عبد اللطيف البغدادي في مصر)

العزاوي (عباس)

١١٠ - تاريخ العراقي بين احتلالين - بغداد

عمرو بن متى

١١١ - اخبار قطاركة كرسى المشرق

العمري (محمد امين خير الله الخطيب)

١١٢ - منهل الاولياء ومشرق الاصفياء في ذكر سادات الموصل

الحنباء (مخطوط)

العمري (ياسين بن خير الله الخطيب)

١١٣ - منية الادباء في تاريخ الموصل الحنباء - الموصل سنة ١٩٥٥

حققة ونشره سعيد الديوهجي

١١٤ - الدر المكنون في مآثر الماضية من القرون (مخطوط)

نسخته منه في خزانة السيد ناظم العمري

١١٥ - غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام نسخة مخطوط في

خزانة المرحوم الحاج امين بك الجليلي

الغزولي (علاء الدين علي بن عبد الله البهائي)

١١٦ - مطالع البدور في منازل السرور - مصر سنة ١٢٩٩ ع

فؤاد سيد -

١١٧ - فهرس المخطوطات المصورة - اصدره معهد احياء المخطوطات

العربية بجامعة الدول العربية - القاهرة سنة ١٩٥٤ م

- القزويني (أحمد) •
 ١١٨ - اخبار الدول وآثار الاول - بغداد ١٢٨٢ هـ •
 القزويني (زكريا بن محمد) •
 ١١٩ - آثار البلاد واخبار العباد •
 ١٢٠ - عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات •
 قطلوبغا - (ابن قاسم)
 ١٢١ - تاج التراجم في طبقات الحنفية - نسخة مخطوطة • في خزانة
 مدرسة الحجيات في الموصل •
 القلقشندي (ابو العباس احمد) •
 ١٢٢ - صبح الاعشى في صناعة الانشا - طبع دار الكتب المصرية •
 الكتائب البغدادي (محمد بن الحسن بن محمد) •
 ١٢٣ - كتاب الطببخ • الموصل سنة ١٢٥٢ نشره الدكتور
 داور الجليبي
 م • س • ديواند
 ١٢٤ - القنن الاسلامية - ترجمة احمد محمد عيسى •
 المسعودي (علي) •
 ١٢٥ - مزوج الذهب ومعادن الجواهر - مصر سنة ١٣٤٦ هـ •
 المقرئ (احمد بن علي) •
 ١٢٦ - السلوك في معرفة دول الملوك - دار الكتب بالقاهرة سنة
 ١٩٣٤ م •
 ١٢٧ - المواعظ والاعتبار (خطط المقرئ) - مصر •
 الواقدى (محمد) •
 ١٢٨ - فتوح الشام - مصر سنة ١٩٥٤ م •
 الوترى (احمد بن محمد) •
 ١٢٩ - روضة الناظرين وخلاصة مناقب الصالحين - مصر سنة
 ١٣٠٦ هـ •
 الهروي (ابو الحسن علي) •
 ١٣٠ - الاشارات الى معرفة الزيارات - دمشق سنة ١٩٥٤ م •
 الهمداني (محمد بن الفقيه) •
 ١٣١ - كتاب البلدان • النجف

- اليافعي (عبدالله بن اسعد) .
 ١٣٢ - مرآة الجنان - حيدر اباد سنة ١٣٣٨
 ياقوت الحموي -
 ١٣٣ - معجم الادباء (طبع دار المأمون) .
 ١٣٤ - معجم البلدان مصر سنة ١٣٢٣ م .
 يشموعد ناح - (مطران البصرة)
 ١٣٥ - الديورة في مملكتي القرس والعرب - الموصل . ترجمته
 ونشره الاب لويس شيخو .
 اليعقوبي (احمد) .
 ١٣٦ - تاريخ اليعقوبي - النجف سنة ١٣٥٨ م .
 يوسف بن الملا عبد الجليل الحلبي -
 ١٣٧ - الانتصار للاولياء الاخيار (مخطوط) . نسخة عنه في
 مكتبة الجامع النوري
 × × ×
 ١٣٨ - الف ليلة وليلة .
 ١٣٩ - التاريخ السرياني (الرهاوي) المجهول - القسم المدني
 نشره البطريرك افروم رحمانى - لبنان سنة ١٩٠٠ م .
 ١٤٠ - جوهرة البيان في نسب قضيب البيان (مخطوط) .
 ١٤١ - خان مرجان - اصدرته مديرية الآثار القديمة العامة في
 بغداد .
 ١٤٢ - دائرة المعارف الاسلامية .
 ١٤٣ - دليل تاريخي على مواطن الآثار في العراق - اصدرته
 مديرية الآثار القديمة العامة .
 ١٤٤ - دليل متحف دار الآثار العربية - اصدرته مديرية الآثار
 القديمة العامة .
 ١٤٥ - دليل المتحف العراقي - بغداد سنة ١٩٤٣ اصدرته
 مديرية الآثار القديمة العامة في بغداد .
 ١٤٦ - مجلة الاستاذ (اصدرتها دار المعلمين العالية سنة ١٩٥٥)
 ١٤٧ - مجلة الجزيرة - الموصلية - السنة الاولى سنة ١٩٣٨ م .
 ١٤٨ - مجلة الرسالة .

مجلة سومر

- ١٤٩ - المجلد ٥ سنة ١٩٤٩ - الآثار الخشبية في دار الآثار
العربية - بشير فرنسيس وناصر النعشيني .
١٥٠ - المجلد ٦ سنة ١٩٥٠ - صناديق مراقد الائمة في العراق -
ناصر النعشيني .
١٥١ - مجلة الكتاب المصرية .
١٥٢ - مجلة المجمع العلمي العراقي .
١٥٣ - مجلة المشرق .
١٥٤ - مجلة (المجلة) الموصلية .

- 155 — Islam Metal Works in the British Museum. London
1929
156 — Chamber's Encyclopaedia : London 1888
157 — Encyclopaedia Britannica, London 1910
158 — Travels of Marco-Polo, London 1903



شكل (٥٤) الجامع المجاهدي في سنة ١٣٠٥ هـ

الفهرست

المقدمة : ٢

الموصل قبل العهد الآتابكي : ٤ الموصل قبل الاسلام . فتح الموصل ٧
الموصل في العهد الاموي ٨ . الموصل في العصر العباسي ١٠ .

الملوك الآتابكيون ١٥ ، عماد الدين زنكي ١٧ ، سيف الدين غازي ٢٨ ،
قطب الدين مزدود ، سيف الدين غازي الثاني ٣٠ ، عز الدين مسعود ٣٢ .
نور الدين ارسلان ٣٣ ، القاهرة عز الدين مسعود ٣٤ ، نور الدين ارسلان
شاه ٣٥ ، ناصر الدين محمود ٣٦ .

الزراعة والتجارة : ٣٩

الصناعة والفنون : ٤٤ ، النسيج الموصل ٤٥ ، التحف المعدنية ٥١ ،
الزخارف الجبسية ٦٠ ، الزخارف الخشبية ٦١ ، الرخام ٦٢ ، الخزف ٦٤ ،
الآجر المزجج ٦٥ ، تزويق الكتب ٦٦ ، مطاحن الحبوب ٦٨ ، معاصر
الزيوت ٧٠ .

الجيش والبريد : ٧١ : الجيش ٧٢ ، البريد ٧٣

الحياة الاجتماعية ٧٥ . اخلاق اهل الموصل ، المذاهب ٧٦ ، دار
العدل ٧٨ ، الطرق الصوفية ، احتفالهم بولادة الرسول ٧٩ ، زيارة النبي
يونس ٨٠ ، استقبال الحجاج ٨١ ، الخيام في الربيع ، الشواريق في
الصيف ٨٢ ، الاديرة ٨٣ ، حمام العليل ، الألعاب : الكرة والصولجان ٨٤ ،
العاب الفتوة ، الرمي بالبندق ، الانتساب بالرمي ٨٥ ، الحمام ، الركض ٨٦ ،
حليات الخيل وخيال الظل ٨٧ .

الحياة الصحية : ٩٠

العلم والادب . اهتمام الآتابكيين بهذا ٩٢ . ابناء الاير ٩٦ ، ابناء
يونس بن منعة ٩٧ ، ابناء بلدجي ٩٨ ، بيت الشهروزري ٩٩ ، ابناء
مهاجر ، ابناء هبل ١٠١ ، اسرة النقيب ، المؤرخون ١٠٢ ، الفراء ١٠٣ ،
الاطباء ، المفسرون ، المحدثون ١٠٤ ، الفقهاء ١٠٥ ، النحويون ١٠٦ ،
الشعراء ١٠٧ ، الخطاطون ١٠٨ .

عمران المدينة : اهتمام الآتابكيين بالعمارة ، الربض الاعلى ١١٠ ،
الربض الاسفل ، بعض محلات الموصل ١١١ ، احيائها ١١٤ ، الميدان ١١٦ ،

دور المسكة ١١٧ . القلعة ١١٨ . السور ١٢٠ . الأسواق ١٢٤ .
الشوارع ١٢٥ .

الجوامع : الجامع الأموي ١٢٨ ، الجامع النوري ١٢٩ ، الجامع
المجاهدي ١٣١ .

المدارس : المدرسة النظامية ١٣٣ ، المدرسة الأتابكية العتيقة ، مدرسة
زين الدين (المدرسة الكمالية) ١٣٥ ، المدرسة الزينية ١٣٧ ، مدرسة
الجامع النوري ١٣٨ ، المدرسة الكمالية القبطية ١٣٩ ، المدرسة
السوفية ١٤٠ ، المدرسة العزية ١٤١ ، المدرسة النورية ١٤٢ ، المدرسة
القاهرين ١٤٥ ، المدرسة المجاهدية ١٤٦ ، المدرسة البدرية ١٤٧ ، المدرسة
المهاجرية ١٥٠ ، مدرسة ام الملك الصالح ، المدرسة النفيسية ١٥١ ، المدرسة
العلانية ١٥٢ ، مدرسة ابن بلدجي ، باب المساللات ١٥٣ .

دور الحديث : دار الحديث المهاجرية . دار الحديث المظفرية ١٥٤ .
الرباطات : رباط سيف الدين غازي ، الرباط الزيني ، رباط ابن
الشهريزوري ١٥٥ ، الرباط المجاهدي ، رباط درب دراج ١٥٦ ، رباط قصر
حرب ١٥٧ ، رباط الشيخ قضيبي البان ١٥٨ .

المراقد والمشاهد : الخمسي ١٥٨ ، مرقد الشيخ ابراهيم الجراحي ١٥٩ ،
مرقد الفتاح الموصلي ١٦٠ ، مرقد العزاز ١٦١ ، مرقد الخلال ، مرقد
الشيخ محمد الغزلاني ١٦٢ ، مرقد عمر الحولي ، مشهد النبي يونس ١٦٣ ،
مشهد النبي حرجيس ١٦٤ ، مشهد الطرح ، مشهد النقطة الحسينية ١٦٥ ،
مشهد عمرو بن الحمق الخزاعي ١٦٦ ، مشهد ابن الحسن ١٦٧ ، مشهد
الامام يحيى بن القاسم ، مشهد علي الهادي ١٦٨ ، مشهد الامام الباهر ،
مشهد اولاد الحسن ١٦٩ ، مشهد العباس ١٧٠ .

البيع والديارات : بيعة مار توما ، بيعة مار جودي ، بيعة شمعون
الصفى ١٧١ ، دير سعيد ، دير ميخائيل ، دير مار كوركيس ، دير الربان
هرمزد ١٧٢ ، دير متي ، دير الجب (مار بهنام) ١٧٣ .

المقابر : مقابر قرش ١٧٤ ، مقبرة الجامع العتيق ، تربة غسان ،
مقبرة الباب العمادي ١٧٥ ، مقبرة المعافي بن عمران الموصلي ١٧٦ ، مقابر
العلويين ، مقابر قل توبة ١٧٨ .

الخطأ والصواب

وقعت أخطاء مطبعية لا تخفى على القارىء، نشير إلى ما وقفنا عليه منها :

الصواب	الخطأ	ص	س
الجنوبيون	الجنوبيون	٤١	٢٢
منجزة	شكل ٥ منجزة	٤٣ ب	
الدملحاجة	الدملحاجة	٨٠	٢٤
حيدرة	حيدر	٩٠	١١
ورباطا	ورباط	١٠٠	١١
اربع	اربعة	١٠٠	١
عبدالله	عبدالله	١٠٢	١٣
يستبعد	يستبعد	١١٥	٨
قبل	بعد	١٢٦	١٢
درب الدين الاعلى	درب امير المؤمنين	١٢٧	٩
وكلها فى الرضى	وكلها الرضى	١٣١	٢٣
١١١٤ م	١١٤	١٣٥	١٨
بارقسرى	بارقسوى	١٧٠	١١

آثار المؤلف

(١) المطبوعة

- ١ - الفتوة في الإسلام - طبع في الموصل سنة ١٩٤٥
- ٢ - الأمير خالد بن يزيد - طبع في دمشق ١٩٥٢
- ٣ - بيت الحكمة - طبع في الموصل ١٩٥٤
- ٤ - الخدمات الاجتماعية لطلاب العلم في الإسلام - طبع في الموصل سنة ١٩٥٥
- ٥ - عقائل قريش - طبع في الموصل سنة ١٩٥٥

(٢) المعدة للطبع

- ٦ - الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة
- ٧ - جوامع الموصل - في مختلف العصور
- ٨ - منشأ عقيدة الزيدية وتطورها
- ٩ - معاهد العلم في الإسلام
- ١٠ - أبناء الأئمة
- ١١ - ابن دانيال الموصل
- ١٢ - الموصل في العهد الأموي

(٣) الكتب التي حققها

- ١٣ - منة الأدباء في تاريخ الموصل الجدياء - لياسين بن خير الله الخطيب العمري - طبع في الموصل سنة ١٩٥٥
- ١٤ - مجموع الكتابات المحررة في ابنة مدينة الموصل - لتقولا سوفي - طبع في بغداد سنة ١٩٥٦
- ١٥ - منهل الأولياء ومشرب الأصفياء في ذكر سادات الموصل الجدياء لـ محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري - (معد للطبع)



3 1142 00051 9259



**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**

~18



NYU - BOBST



31142 01682 3166

DS79.9.M6 D39 1958 al-Mawrid fi al-shi'r al-Arabaki